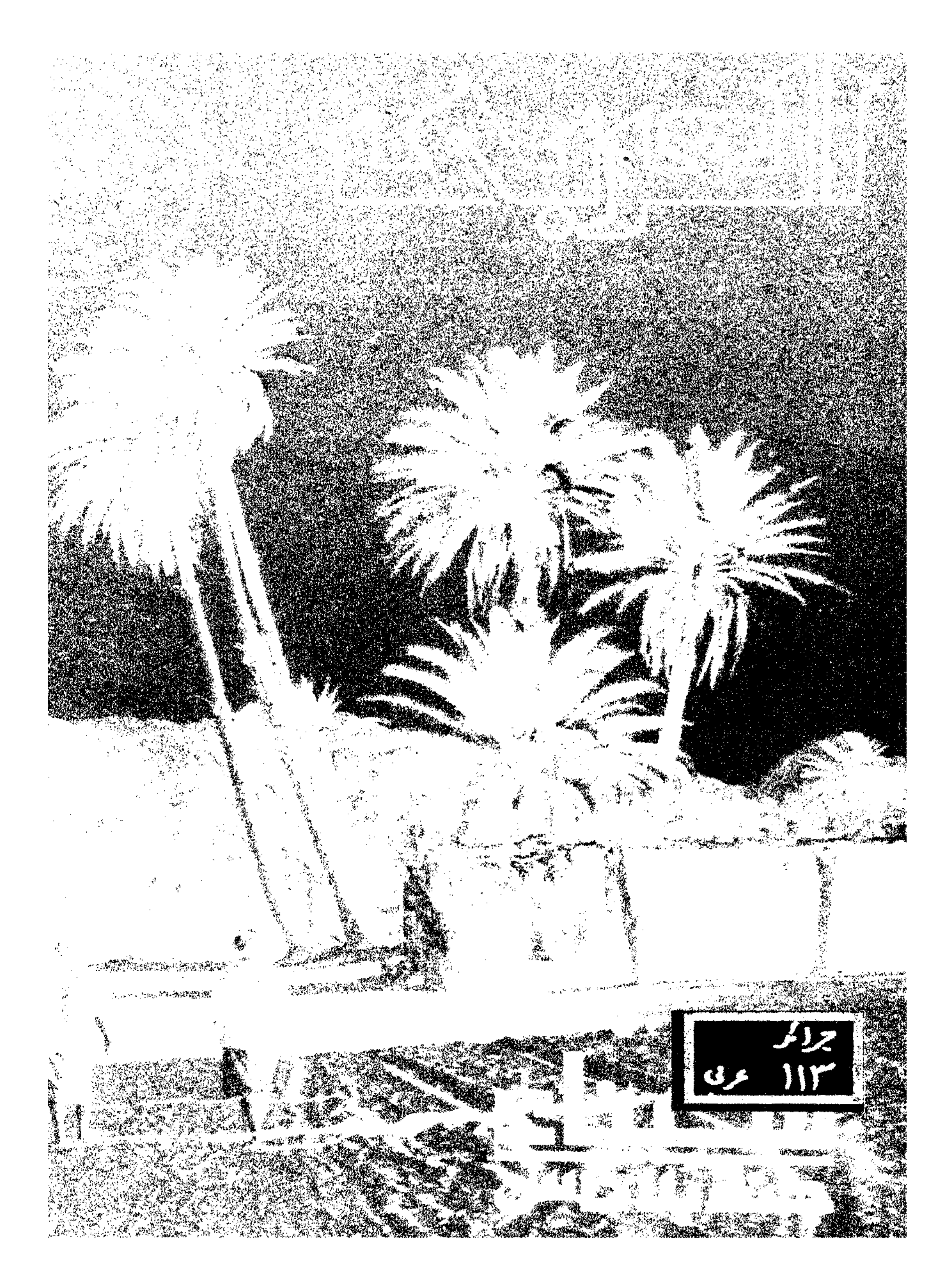
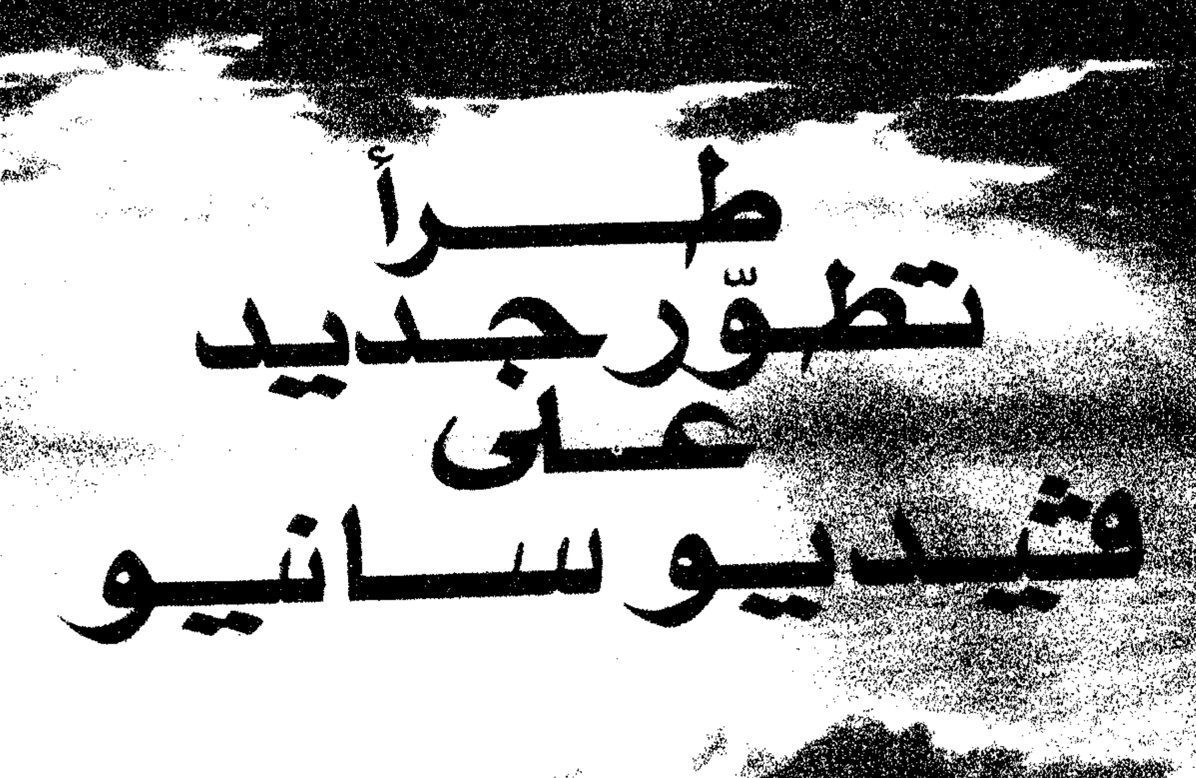
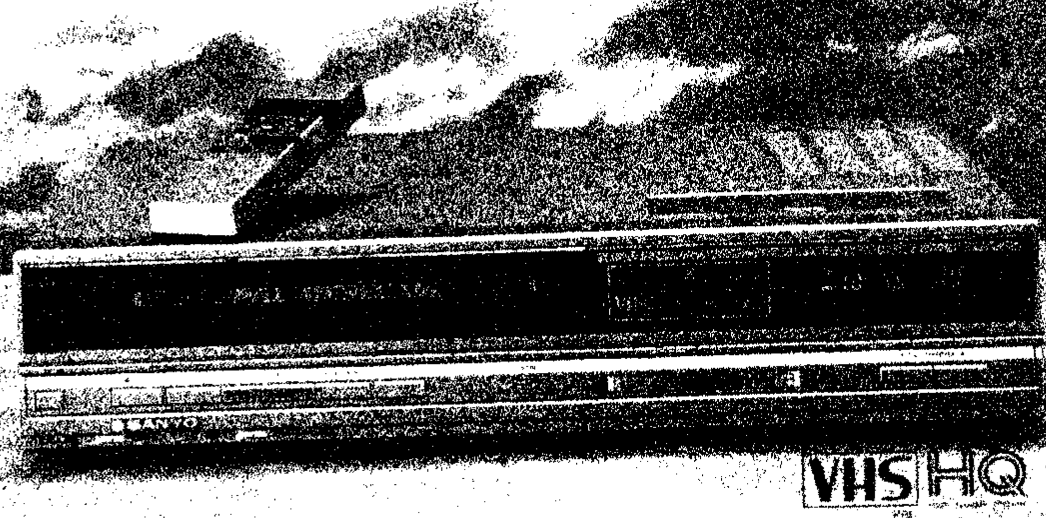


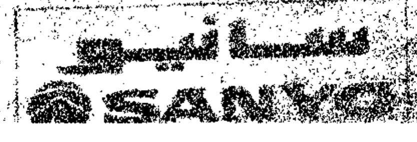


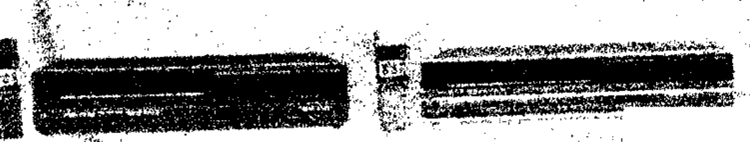


مسجّل ڤيديو كاسيت سانيو نظام VHS يعتمد الصّورة HQ، الأكثر نقاءً

سانيو المعروفة بالأداء العالي المستوى لمسجلات الڤيديو كاسيت بيتا، قدّمت حديثاً مسجل الڤيديو كاسيت VHS.

المسجّل الجديد ليس VHS إعتيادي، بل هو يعتمد صورة HQ (الصّورة الرفيعة المستوى)؛ هذه التكنولوجيا الجديدة تزيد الصّورة وضوحاً وديناميكية. جهاز VHR - 1200PS الجديد من سانيو، يعتمد تسجيل بلمسة زر واحدة، ٩ أزرار تحكّم، جهاز تحكّم عن بُعد ١٢ وظيفة بالأشعة تحت الحمراء، تشغيل الجهاز أوتوماتيكياً، وموقّت برنامج واحد/١٤ يوماً. متوفر باللون الذهبي، الفضي أو الأحمر. سانيو تقدّم لك الآن إختياراً فوق العادة: نظام بيتا أو نظام VHS. وهذا ما تتوقعه من سانيو.





١١٣

لعدد ٣٣١ السنة التاسعة والعشرون يونيـو ١٩٨٦

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

Issue No. 331 Jun. 1986 P.O. Box: 748
Postal Code No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

ص ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٤٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR 44041KT
تليفون فكسيملي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات بإسم رئيس التحرير

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهمًا
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليمًا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشًا	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران





النفس البشرية ذلك الصندوق المغلق الذي حاول العلماء سبر أغواره ، بعضهم أقترب من الحقيقة والبعض الآخر ابتعد عنها ، أما تفسير السلوك البشري فانه لاينبع فقط من التركيب البيولجي للانسان ولكنه أيضا خاضع للثقافة والبيئة التي يحياها الانسان عن هذا الموضوع الشيق ـ النفس والسلوك ـ يصدر كتاب العربي الجديد الذي كتبه أحد الاختصاصيين العرب في مقالات قصيرة وممتعة في مجلة العربي ، وها نحن نجمعه في هذا الكتاب فائدة للقارىء ومتعة

عزيزي القارئ

المطبوعة المتفاعلة بصدق مع بيئتها ، لا بد أن تثير ـ بما تنشره ـ قضايا متعددة ، وهكذا هي « العربي » . .

فقد نشرنا في العدد ٣٢٦ (يناير ١٩٨٦) موضوعا مهما للأستاذ يوسف الحسن وكان عنوانه « مؤتمر دولي للصهاينة المسيحيين أيضا » تناول عرض مادار في المؤتمر الصهيوني المسيحي الدولي الذي عقد في مدينة بازل في أغسطس ١٩٨٥ والذي شاركت فيه فئة محددة من المسيحيين ، الا أن ردود الفعل الاولى كانت متسرعة بعض الشيء . . ورجحنا أن بعض من قرأ الموضوع في ذلك الوقت اكتفى بالعنوان ، ولم يستوعب تفاصيل الموضوع نفسه ، ولكن بعد فترة وجدنا أن من قرأ الموضوع قرأءة جادة متأنية ، وبخاصة بعض اخواننا المسيحيين الوطنيين الغيورين تفهموا الأسباب الحقيقية التي دفعتنا الى نشر الموضوع . ولم يكن القصد ـ كما هو ثابت في المقال ـ تجريح المسيحية كدين بقدر كشف فئة قليلةلها موقف معاد من أمانينا القومية ، وقد تفاعل الموضوع بشكل ايجابي في وقت لاحق ، اذ تلقينا أخيرا رسالة تؤكد ماذهبنا اليه ، فقد كانت الرسالة تضم ملفا كاملا أرسله لنا الدكتور « دانيال كاتبه » من مدينة حمص بسوريا ، يشرح الدكتور دانيال في رسالته مدى اهتمام الكنيسة الانجيلية المسيحية الوطنية بحمص بما نشرته العربي ، وأن الموضوع قد اثير اثناء انعقاد مؤتمر الكنائس الانجيلية المسيحية في لارنكا بقبرص ، وشجب المؤتمرون مادار في مؤتمر بازل وأمثاله من المؤتمرات المشبوهة . وتحدثت الرسالة عن عدد من الأنشطة التي قامت بها كنيسة حمص الانجيلية ، لتفنيد « أضاليل المسيحيين الصهاينة » والتأكيد على بطلانها ، والاشادة بالمثل الانسانية المتسامحة التي يتحلى بها العرب مسلمون ومسيحيون ، استنادا الى مانصت عليه الكتب السماوية المقدسة . . . . .

ويتضمن الملف أيضا بيانا صادرا عن « السينودس الانجيلي الوطني » في سوريا ولبنان ـ وهي الكنائس الانجيلية الوطنية المسيحية في القطرين السوري واللبناني ـ ينطوي على رفض لما دار في اجتماع مؤتمر بازال في اغسطس ١٩٨٥ الذي اشار اليه مقال الاستاذ الحسن كما يرفض فكرة عقد مؤتمرات تتناول موضوعات سياسية هدفها دعم « اسرائيل »

ويتبنى البيان فكرة القيام بحملة من الأنشطة والاتصالات على جميع المستويات مع الكنائس الانجيلية محليا وعالميا ، لتوعية الرأي العام بخطورة مثل هذه المؤتمرات على العقيدة المسيحية .

و« العربي » اذ تشكر كل المواقف التي أسهمت في توضيح بعض الجوانب المهمة حول هذا الموضوع الشائك ، واضاءة الجوانب الأخرى بالمعلومات ، إنما تود أن توضح مرةاخرى احترامها لكافة الاديان والمذاهب ، وتؤكد في الوقت نفسه على ان الموقف الايجابي من قضايا العرب الاساسية معيار اساسي من معايير النشر في « العربي » .

المحرر

محتويات العدد

أشجار النخيل في احدى مدن جنوب سيناء الفة بين الانسان العربي والشجرة التي رافقته رحلة الحياة القاسية فوق رمال الصحراء

ص ٦٨

استطلاعات ومقابلات

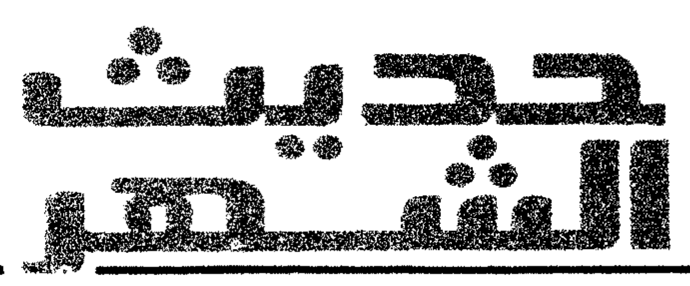
الأبواب الثابتة

المراسلات باسم رئيس التحرير . والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

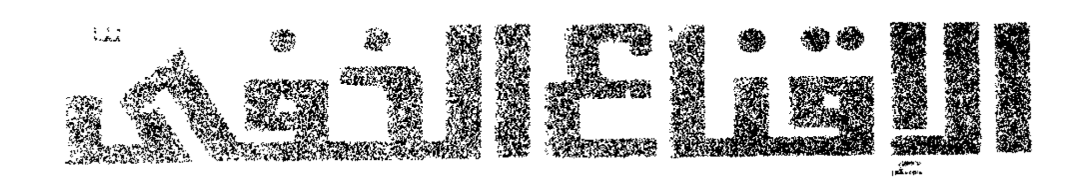


البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع



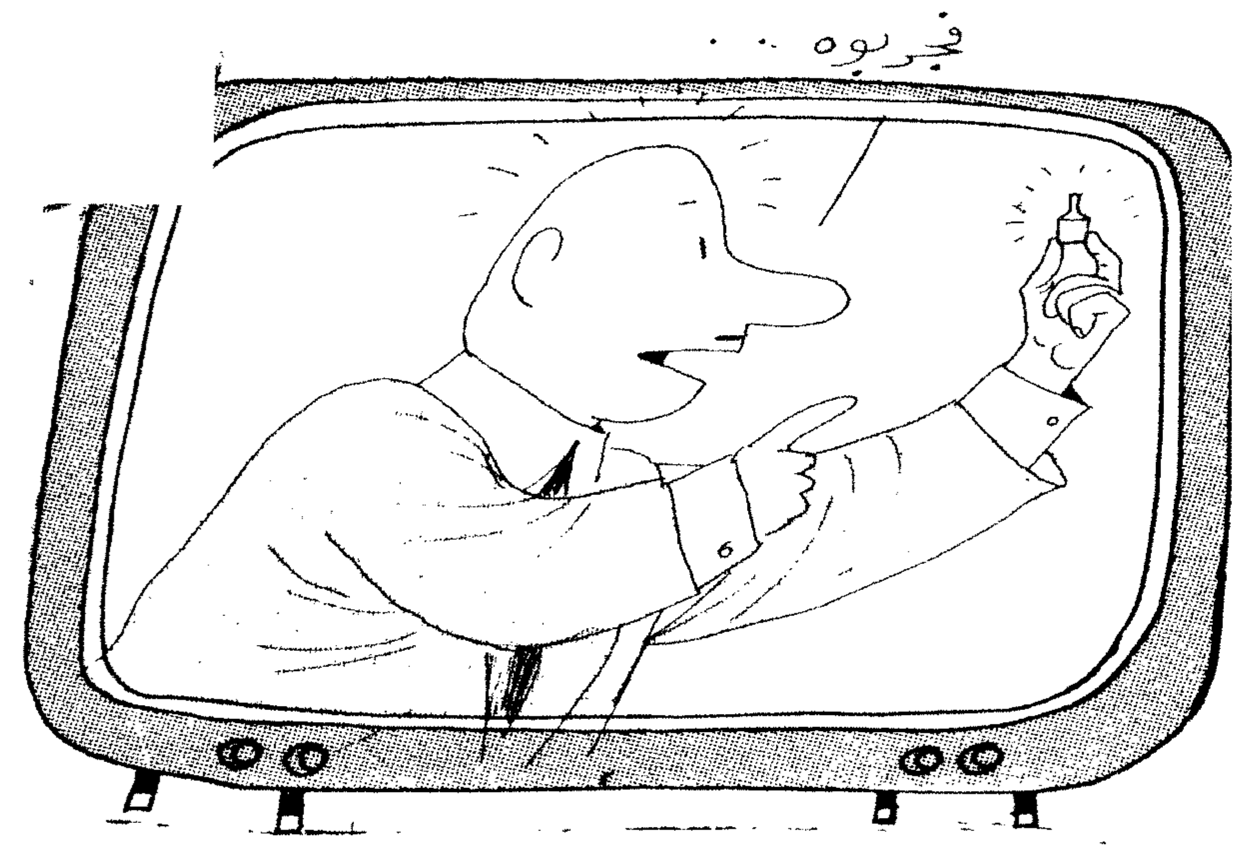
بقلم الدكتور
محمد الرميحي



■ ماذا نختار لأنفسنا ؟ وماذا يُفرض علينا ضغطاً ؟
■ لقد صنعوا أولاً، وتحكموا ثانياً في ثقافتنا الاستهلاكية !
■ هل تريد أن نقرأ لك طالعك ؟ إذن اكتب إلينا على هذا العنوان ...!!
■ هل تستطيع الصحيفة أن تقبل الاعلان مع احتفاظها باستقلالها ؟!

بعض الأمور في حياتنا اليومية المعيشية نمر بها مر الكرام لا نفكر فيما وراءها .. ما هي ومن أين جاءت ؟ ومن المستفيد منها ؟ ويهتم الدارسون غالبا بالمظاهر الكلية والعامة في حياة الشعوب ، ويقفزون على القضايا التي يبدو للكثيرين أنها قضايا صغيرة غير مهمة ، من هذه القضايا الصغيرة في الظاهر ، الكبيرة في حقيقة الأمر ، قضية الاعلان .. وصناعة الاعلان العالمية ، ومدى انتشارها وتأثيرها في وطننا العربي .

ففي الوقت الذي تقدر فيه بعض الدراسات الاحصائية أن المديونية الخارجية للأقطار العربية زادت عن (مائة مليار دولار) في مطلع هذا العام ١٩٨٦ . وهو مبلغ تبدو ضخامته اذا عرفنا أن بعض أقطارنا العربية تتناسب قدرتها على الوفاء



بالدين تناسبا عكسيا مع عدد سكانها . . في هذا الوقت نرى بالعين المجردة في شوارعنا ووسائلنا الاعلامية المختلفة إعلانات ينفق عليها ملايين الدولارات لاقناعنا باستخدام هذه البضاعة أو تلك .

واذا كان البعض يعتقد لأول وهلة أنه لا يوجد علاقة مباشرة بين حجم المديونية وبين حجم الاعلانات الخاصة بالبضائع المستوردة من أنحاء عديدة من العالم ، فليعد إلى حساباته ، لأن هذه الاعلانات تحثنا في الحقيقة على ولوج طرق ودهاليز « المجتمع الاستهلاكي من أوسع أبوابه » .

لعل « الظاهرة الاعلانية » في الوطن العربي لا تثير تساؤلات كثيرة . فهناك عواصم عديدة ومدن وقرى في العالم يظهر فيها الاعلان بأشكاله المختلفة ، ذاك في حقيقة الأمر صحيح ، ولكن الصحيح أيضا أن كثيرا من المدن والقرى المتعددة ترتفع فيها اللافتات الاعلانية ، وتزخر صحفها بالاعلانات وكذلك وسائلها الاعلامية الأخرى . . ولكنها في الغالب الأعم اعلانات عن منتج محلي . فليس غريبا ـ على سبيل المثال ـ أن ترى اعلانا « لسانيو » أو « سوني » أو مازدا في اليابان ، ولكن من النادر أن ترى في اليابان إعلانا عن سيارات « مرسيدس » أو

« شفرليه » . . وهذه ظاهرة قائمة وملموسة في كل البلاد الأخرى . إنهم يعلنون عن منتجاتهم وحدها فهي عماد اقتصادهم .

واذا كانت هذه البلدان الصناعية الغربية وغيرها تشكو مر الشكوى من هجمة الاعلان المنظم والطرق المختلفة لاقناع الناس بالاستهلاك ، فإن شكوانا في الوطن العربي مضاعفة . ذلك لأن بلادنا العربية في أكثرها تزداد مديونيتها للخارج عندما تجد نفسها تدفع دفعا لاستهلاك بضائع قد لا تكون في واقع الحال في حاجة إليها بهذه الدرجة أو تلك .

« هي الأصل » إعلان الكوكاكولا المشهور بدأ يغزو بعض عواصمنا العربية ، وأصبح اقتناء « المرسيدس » جزءا من وضع اجتماعي نقرؤه في صحفنا ونشاهده في مسلسلاتنا التليفزيونية

* * * *

مفهوم الإعلان

□ وعند البحث عن معنى الاعلان الدقيق في لغتنا العربية ، لا نجد له الاصطلاح المعروف بيننا اليوم وأعني به الوسائل المستخدمة لتعريف الجمهور العريض بمنشأة صناعية أو تجارية ، ومحاولة اقناعه بمدى حاجته لمنتجات هذه المنشأة . الاعلان عند العرب هو المجاهرة بالشيء .

ولقد انتقلت الدلالة في هذه الكلمة ـ كما انتقلت في مفاهيم أخرى كثيرة ـ لتعني الاعلان بمعناه المتعارف عليه عندنا اليوم .

ولعل حديثنا في المفاهيم والاصطلاحات يجرنا إلى القول بأن (الاعلان) في لغتنا العربية يشوبه ـ في اعتقادي ـ بعض الخلط من جهتين : فهناك خلط بين « الاعلان » و « الدعاية » من جهة . . وبين « الاعلان »و « العلاقات العامة » من جهة أخرى ، وهي أمور مختلفة بطبيعتها الدقيقة .

لقد ذكرنا مفهوم الاعلان في السابق كما يحدده كثير من المتخصصين ، أما الدعاية ، فإنها تعني جذب الناس الى نظام (سياسي أو اقتصادي ، أو ديني) فهي قلما تتضمن نشاطا تجاريا . وتلجأ الدعاية في الأغلب الى وسائل غير ظاهرة ، أما العلاقات العامة فهدفها خلق جو من الاهتمام أو تنميته ، وإثارة التعاطف نحو مشروع ما أو جماعة محددة ، وفي هذه الحالة أيضا لا ترمي العلاقات العامة مباشرة أو بشكل حتمي الى الكسب .

الإعلان والدعاية

□ لماذا يحدث الخلط في أذهان الكثيرين بين هذه الطرق الثلاثة ، أو على الأقل بين الطريقتين الأخيرتين وبين الاعلان ؟ . لا شك أن الخلط نابع من استخدامها وسائل تأثير متشابهة مثل وسائل الاعلام ، والمحاضرات والمعارض . . الخ وأيضا أنها ذات هدف مشترك وهذا الهدف يتمثل في إرغام الضمير الفردي بشكل ما على القبول بمقولاتها ، فهذا الفرض الضاغط ـ ظاهرا كان أو خفيا ـ لا يطلبه الانسان بنفسه ، كما يحدث له في التعليم والتدريب أو في ملء وقت الفراغ بل يفرض عليه عنوة .

الاعلان في حد ذاته ـ وكما اتفقنا على فهمه ـ به من وجوه الاختلاف عما قدَّمت إليه ما ينبغي الاشارة اليه ، فهناك إعلان تقوم به الدولة لصالح الجمهور كافة ، كالاعلان عن ترشيد استخدام المياه أو الكهرباء أو حملة إبادة القوارض . والاعلان الذي تقوم به المؤسسات العامة أو الخيرية ، كإعلان جدول السكك الحديدية ، أو إعلان عن حفلة خيرية لصالح المعوقين . والذي نحن بصدده في حقيقة الأمر هو الاعلان التجاري . هذا الذي تنفق عليه بلايين الدولارات في أنحاء العالم ، والذي هدفه في نهاية الأمر بيع البضائع وتسويقها ، وقد أصبح اليوم علما قائما بذاته

الإقتناع الخفيّ

□ منذ أن صدم عالم الاجتماع الأمريكي « فانس بيكرد » الجمهور عندما كتب كتابه الذائع الصيت في بداية الخمسينيات ، والذي سماه « الاقناع الخفى » ، بدأ الكتاب والمحللون يدرسون هذا « الوحش » المسمى بالصناعة الاعلانية ، لقد قال وقتها بيكرد : (اذا تركنا صناعة الاعلان بغير رقابة فسوف تسيطر على حياتنا وتأسرها) .

منذ ذلك الوقت زاد ملوك صناعة الاعلان في التحكم في حياة الناس ، ولم تتضاءل سطوتهم ، بل على العكس من ذلك ، فقد أفسح لهم التليفزيون مجالا هائلا لاستخدام كل ما توفره التقنية العصرية لمزيد من الاقناع المُلِحّ . ويذهب بعض المؤمنين بقوة الاعلان وتأثيره إلى القول بأنه في مقدور الاعلان ـ لو أحسن استخدامه ـ أن يكيف حاجات المستهلكين حسب ما يبتغيه المنتجون . . . . !

ولقد احتشدت علوم اجتماعية كثيرة في خدمة الصناعة الاعلانية وأصبح علم النفس الاجتماعي أحد المداخل الرئيسية لفهم طبيعة المستهلك والمجتمع الذي يعيش فيه ، ومن المعروف اليوم أن الطبائع البشرية كالخوف والجشع والغضب والعداء العرقي ، والتوق إلى الرجولة أو الأنوثة ، أصبحت كلها جزءا من اهتمام مصمم الاعلان ، وتوجهت أبحاث مصممي الاعلان عن الجوهري والعام والمشترك لدى الجمهور ، أو ما يسميه المهنيون في الصناعة الاعلانية « الزر » ، فكلما كثر عدد الأشخاص الذين ينضوون تحت خصائص هذا (الزر) وسماته ، كان إعلان بضاعتك ناجحا . .



ويدخل علم الاجتماع هذه الحلبة أيضا ، فالشباب المراهق إن كان يبحث عن هوية فلابد من ربط إعلان (السجاير) بأشكال الرجولة وأنماط الفتوة ، وإن كانت حياة الجماعة مهمة في مجتمع ما فعلى المعلن تسويق بضاعته بشكل أسرى كالتعبئة الكبيرة للدجاج المقلى والمشوى في مجال الوجبات السريعة ، والقارورة ـ العائلية ـ الكبيرة « للبيبسي كولا » ، وهكذا على سبيل المثال .

صناعة الإعلان

□ علينا أن نأخذ موضوع الاعلان التجاري بجدية ، فقد أصبح صناعة جادة تنشر عنها الكتب والمقالات . وقد نشر أخيرا في الولايات المتحدة كتاب بهذا الاتجاه (لوليم ميرسى) عنوانه « صانعو الصور » ، يبحث فيه بجدية شديدة ، مستقبل صناعة الاعلان في الولايات المتحدة ، وحتى يتم البحث بصورة علمية ، ينذر



الكاتب أرباب الصناعة الاعلانية بأن الطبقة الوسطى العريضة التي كانت هي السائدة في الولايات المتحدة منذ الخمسينيات حتى نهاية السبعينيات ، قد بدأت في التآكل نتيجة للمشكلات السياسية والاقتصادية والظواهر الاجتماعية الجديدة ، هذه الطبقة التي كانت تشكل الهيكل الرئيسي لمجتمع الاستهلاك الكبير ، والتي كانت شديدة الانقياد للثقافة الاستهلاكية ،لن تكون موجودة هناك في التسعينيات ، وسوف يحل محلها مجتمعات متعددة المشارب شديدة التردد والانتقاء في استهلاكها . ويدلل الكاتب على انحسار هذه الطبقة المتجانسة ـ على سبيل المثال ـ بتقلص المجلات ذات الاهتمامات العامة ، والتي كانت واسعة الانتشار مثل مجلة « لايف » و « لوك » وخروجهما من السوق . . كما أبدل الجمهور بها مجلات متخصصة ذات اهتمامات محدودة ، كمجلات العناية بالحدائق ، أو الصحة أو أعمال المنزل ، أو مجلات القصص القصيرة . . الخ . وكذلك انتقلت أذواق الناس من الشبكات التلفزيونية المتاحة للجميع الى الشبكات التلفزيونية الخاصة

ويتنبأ الكاتب بتشكلات جديدة في المجتمع الأمريكي لها ذوق استهلاكى مختلف في بعضها عن بعضها الآخر ، يحددها ـ كما يقول الكاتب مركز ستنفورد للدراسات (وهي جامعة محترمة ومشهورة) بخمس مجموعات من المواطنين هي :

ـ المنتمون ـ المتنافسون ـ المتنافسون المنجزون ـ المنجزون الاجتماعيون ـ المحتاجون الى التوجيه .

ويشير الكتاب الى الاهتمامات الاستهلاكية الخاصة بكل فئة . . السيارات ، السجاير ، الملابس . . الخ من البضائع الاستهلاكية

هذا النوع من الدراسات ليس مقصورا على المجتمع الأمريكي وحده ، فهناك دراسات متعددة للمجتمعات المختلفة في البلدان الأخرى من أجل بيعها قدرا أكبر من البضائع الاستهلاكية .

إن العاملين بالاعلان يكادون يقررون نوع الأكل الذي نأكله ، والمياه التي نشربها ، والسجاير التي ندخنها ، والسيارات التي نستخدمها، وفي بعض الأقطار يروجون للناس الرئيس الذي ينتخب ، إن اقتحام الاعلان لأهم مجالات حياتنا هو إحدى حقائق العصر التي لا منجى منها اليوم .

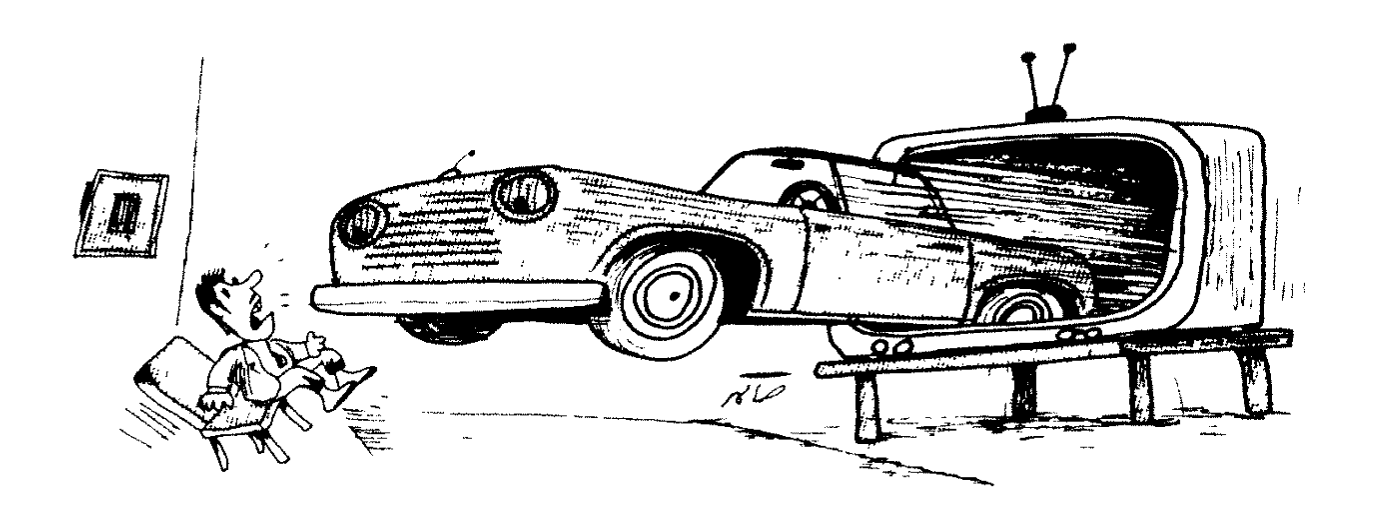
الإعلان التلفزيوني

☐ لعل أوسع أشكال الاعلان انتشارا من حيث وصولها للجمهور هو الاعلان التلفزيوني . ومن الطريف أن تعرف أنه آخر وسيلة استخدمت للاعلانات بعد أن جربت وسائل متعددة ، فالناس يجلسون أمام هذا الصندوق السحرى الذي نسميه بالتلفزيون لساعات طويلة حيارى فاقدين إرادتهم يستقبلون رسائله الاعلانية وخلافها دون مقاومة تذكر . لقد دخل الاعلان الشاشة التلفزيونية متأخرا نسبيا ـ أي في أوائل الخمسينيات من هذا القرن ـ ونما بسرعة الى درجة أن أحد الاقتصاديين علق على ذلك في وسط الستينيات ـ وحديثه مقصور على الاعلان التلفزيوني في الولايات المتحدة-بقوله : (لو اختفت الاعلانات فجأة من شاشات التلفزيون فإن الناتج القومى العام سينخفض بنسبة ٥٠٪ على الأقل) ، وبالمقارنة لا توجد

احصاءات دقيقة في وطننا العربي لميزانيات الاعلانات التلفزيونية أو تقديرات تأثيرها على الناتج القومي ، وكلنا نعرف قصة المذيعتين في إحدى قنوات التلفزيون العربي اللتين حدثت بينهما مشادة كتبت عنها الصحف في بلدهما بسبب الخلاف على أيتهما التي تقدم الفقرة الاعلانية ! !

التقدم في التقنية التلفزيونية ربما هو المسئول ـ أكثر من أي شيء آخر ـ عن اتساع قاعدة الاعلان في العقود القليلة الأخيرة على مستوى العالم ، إن نصف الدقيقة الاعلانية التي نشاهدها في التلفزيون ، والتي تجمع الحركة بالصورة ، واللون بالصوت ، لكافية أن تغرس في أذهان الكثيرين منا ـ بصورة تقارب فعل السحر ـ ما يريد منا المعلن أن نعرفه ، وأيضا تستخدم هنا قواعد علم النفس والاجتماع بأكبر قدر من الدقة .

فالاعلان التلفزيوني يؤكد في البداية على استثارة المشاهد بحاجته ، فيضعه في حالة من التشوق والضعف وفقدان الأمن ، ثم فجأة يخلق له سبيل الخلاص من كل ذلك عن طريق السلعة التي يعلن عنها ، فهناك ممثلون يلبسهم المعلن ملابس أطباء للاعلان عن نوع معين من مزيل الألم . أو فتاة يرتبط توهجها في نظر الجنس الآخر بنوع العطر الذي تتزين به ، ومرة ثالثة لاثارة المشاعر المختلفة مثل الخوف والرغبة والتعصب ، والحرص على التشبه بالآخرين ، والسعي إلى الرقي والرفاه ، وربط أي ميل أو شعور من ذلك كله بسلعة محددة . واذا كان المواطن مشغولا بممارسة حياته اليومية وتدبير معيشته أكثر من اهتمامه بالشراء ، فلا مناص من خلق عادة الشراء فيه عن طريق اعلان خفي آخر ، مثل تقديم المسلسلات التلفزيونية لنجوم يحبها الجمهور وهي تقوم باستهلاك نوع معين من المنتجات لجذب الجمهور تلقائيا لذاك المنتج . لقد أصبح التلفزيون أداة ترويج طاغية لمختلف أنواع السلع والبضائع .



الإعلان وحرية الصحافة

☐ لعل الكاتب الفرنسى « مونت لامبير » لم يكن واعيا لتقلبات الدهر ومستجدات الحضارة عندما قال في عام ١٨٣٨ : (إننا لم نكتشف بعد الوسيلة التي نستطيع أن نكسب بها المعارك دون أن نقتل الجنود ، ولا أن نروج صحفا دون أن ننفق المال) .

ربما لا يزال نصف مقولته صحيحا ، فنحن لا نكسب حربا دون قتل جنود ، ولكن يمكن أن نروج صحفا اليوم ونعتمد على . . الاعلان . ولقد طرح في السابق ـ وما زال مطروحا لدينا ، ولدى غيرنا من شعوب الارض ـ السؤال الملح : ما مدى تأثير الاعلان على حرية رأى الصحيفة أو المجلة ، والسؤال المطروح يتجلى ببساطة فيما يلي : « هل تستطيع الجريدة أن تقبل الاعلان ، وأن تحتفظ بمطلق استقلالها في نفس الوقت ؟ »

الاجابة عن هذا السؤال لا تأخذ شكلاً واحداً ، فالبعض ـ لأسباب يعددها ـ ينفى بشدة تأثير الاعلان على الصحيفة ، والبعض الآخر يؤكد بشدة هذا التأثير ، وما بين هاتين الحافتين سلبا وإيجابا تتعدد الاجتهادات نظرا للظروف المتجددة ، وموقف الصحيفة منها ، والمكان والزمان المحددين ، ولابد لتأكيد ونفى هذه العلاقة من دراسة كل حالة على حدة . البعض يقول ان المعلن في الصحف يبحث عن الصحيفة الناجحة التي تصل الى أكبر عدد من الجمهور للترويج لبضاعته دون الاهتمام بموقفها السياسي . قد يكون ذلك صحيحا جزئيا ، ولكن أيضا هناك من يقول ان الاعلان هو مقياس نجاح الصحيفة ، وهذا يجعلها تركض خلف الاعلان حتى مع بعض التنازلات ، وقد يكون ذلك أيضا صحيحاً في بعض جوانبه .

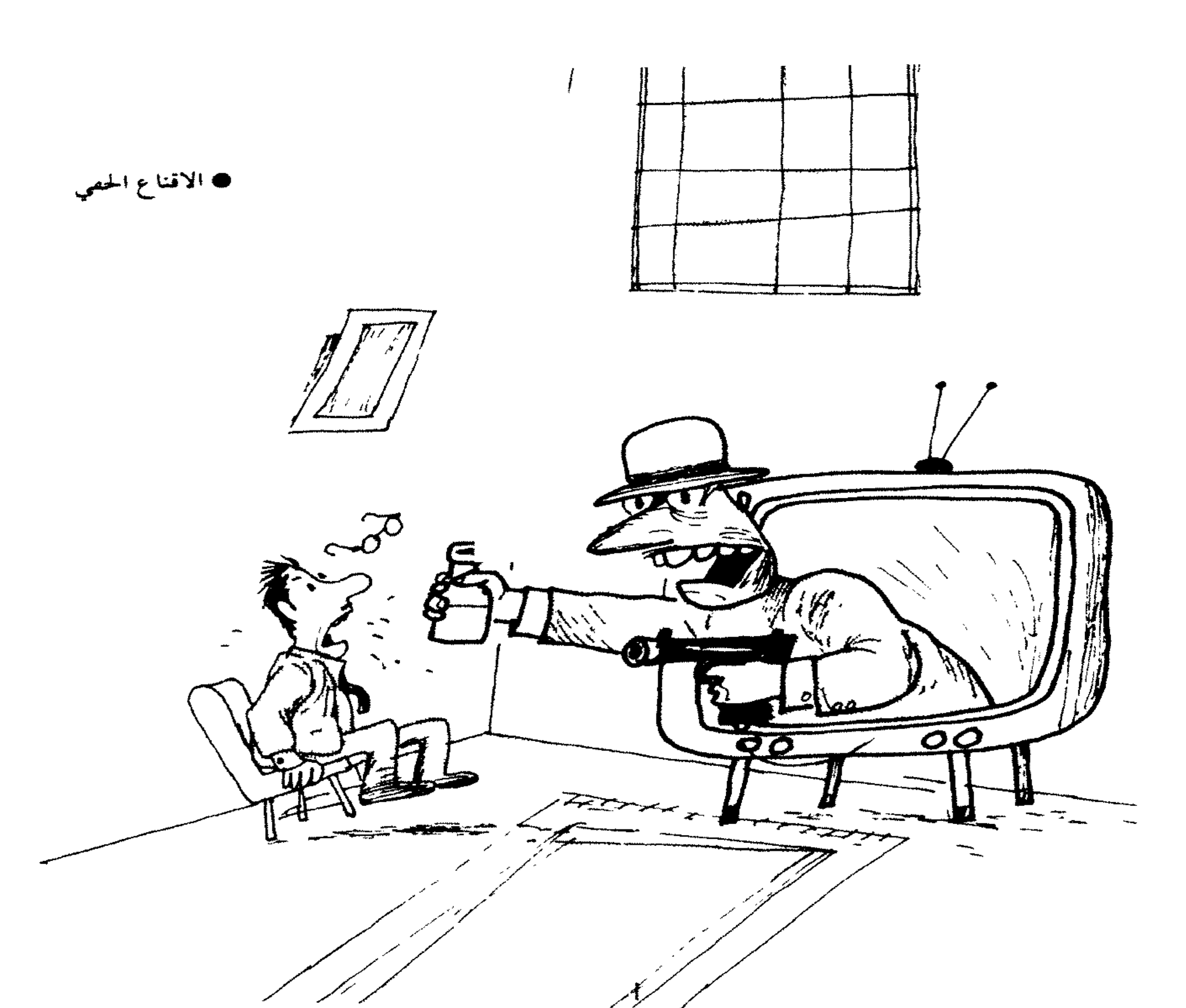
والصحيح في كل الحالات هو أن الصحافة ـ خصوصا في بيئتنا الثقافية العربية/ الاسلامية ـ لها نفوذ كبير على القراء ، فالكلمة المكتوبة في تراثنا لها قوة مؤثرة ، حيث إن ناشئينا يشبون ـ في معظم الأوقات ـ على قراءة كلمات كتاب الله (القرآن) وأحاديث رسوله (ص) . . وتلتصق في أذهاننا أهمية الكلمة المكتوبة وقدسيتها منذ الصغر . من هنا فإن الاعلان في الصحافة العربية له أهمية وجب علينا دراستها .

قوة المعلن ونفوذه

☐ في المجتمعات الأكثر تنظيما هناك شروط محددة للاعلان المكتوب والمنشور في جريدة . صحيح أن هذا التنظيم أخذ وقتا طويلا ـ أكثر من قرن ونصف ـ حتى خرج بهذه الدقة المعروفة اليوم ، فقد كان طابع الاعلان فيما مضى لا يهتم بالحقيقة البتة ، كأن يعلن عن البن مثلا كدواء ضد الاستسقاء ، وألم المفاصل ، وتسمم الدم ، وأمراض العيون . واليوم أصبح للأعلان قواعد دقيقة متبعة عندهم ، أما عندنا فما زال الأمر ـ في أكثر العبارات تهذيبا ـ غير منضبط .

فما زلنا نرى إعلانات تدخل في إطار الشعوذة وقراءة الطالع ، كالاعلان عن الفلكي الفلاني الذي ينشر أرقام حساباته وعنوانه ويطلب من القراء مراسلته ، وتنشر الصحيفة ذلك الاعلان دون تمحيص أو تدقيق لحماية قرائها . ويذكرك هذا النوع من الاعلانات بالاعلانات الأوروبية في القرون الماضية ، وفي أحيان أخرى

● الاقناع الحمي



تتعدى أغراض الاعلان من التعريف بالمؤسسة الى إسكات الأصوات المضادة . . فلا نقد لمؤسسة المعلن أو شخصه مادام يزود الصحيفة بالاعلانات بانتظام

إن مشكلة الاعلان وعلاقته بالصحافة مشكلة ليست هينة ، فالقارىء غير مستعد أن يدفع ثمن الصحيفة الفعلي ، أي ثمن الحبر والورق والادارة وأجور المحررين . . ونسخة الجريدة ـ أية جريدة ـ تكلف أكثر بكثير من الثمن الذي تباع به ، فكيف يمكن أن يعوض العجز إذن ؟

والحل يكمن في أحد أمرين :

إما أن تلجأ الجريدة لمد يدها للمساعدات المشروطة بأثمان مختلفة ، أو تلجأ الى الاعلان وهو الباب الأوسع الذي تدخل منه معظم الصحف لتعويض عجزها .

لقد أصبح الاعلان هو الذي يأتي بالمال اللازم سواء أكان اعلانا حكوميا أم تجاريا . لقد أصبح التكالب على جلب الاعلانات هو الحليب والتمر لرئيس التحرير ورئيس مجلس الادارة في معظم صحفنا العربية ـ سواء أكانت مملوكة للأفراد أم مملوكة للدولة من خلال مؤسسات ـ وأصبح دافع الاعلان له الأفضلية على حساب أمور أخرى قد تكون ضرورية لنشر ما نريده من تنوير للرأي العام .

ويزداد الأمر خطورة عندما تعتمد الصحف على الاعلان الخارجي ، فالدول الأجنبية التي تنشر اعلانات مدفوعة في الصحف تتوقع ألا يوجه نقد من هذه الصحف الى سياساتها ، واذا حدث ذلك فإن حرمان تلك الصحف من الاعلانات أولى الخطوات المتوقعة .

الــوعــي بالمسألة الاعلانية

□ الاعلان قديم قدم المجتمع الانساني ، منذ صيحات المنادين في الشوارع على بضائعهم في أول عهود التجارة القديمة الى أنصاف الدقائق المتلاحقة بالصور الملونة في التلفزيون العصري ، منذ عهد الدجالين في العصور السالفة ، ومرورا باعلانات قراءة الطالع ، ثم بأدوية انبات شعر الصلعات في صحفنا اليوم ، وتقريبا في جميع المجتمعات على اختلاف اجتهاداتها من المجتمع الأمريكي الى السوفيتي ، ومن الهند الى السويد . فالاعلان وفنونه هو منجم الذهب الجديد للحضارة الانسانية ، صلب الاعلان تلك البضائع العادية التي تمتلىء بها الأسواق من ورق (التواليت) الى معجون الأسنان ، ومن الصابون الى القهوة . . بضائع أصبحت قريبة من الحاجات الأساسية للانسان . . فهي سلاحه الأساسي ضد القذر والجراثيم وخبث العرق ، ولم يعد الاستغناء عن الاعلان ممكنا ، فقد أصبح ترسا مهما في جهاز ادارة الأعمال ، وهو أيضا ليس ترفا كله أو شرا كله ، كما أنه لا يستطيع أن يأتي بالمعجزات . الا أن الوعي بالاعلان وفهمه وإعطاءه حجمه الصحيح ضرورة ملحة في حياتنا العربية . فلا يجوز الاعلان بكثافة عن بضائع لا نصنعها أو بضائع لا نحتاجها . . فكثير من الرسائل الاعلانية في حقيقة الأمر مزيفة ، ويعرف كثيرون أن مديري حملات الاعلان في كثير من الأوقات غير صادقين ، فقد جاء ترتيبهم في أحد استطلاعات الرأي حول من هم أصحاب أكثر المهن احتراما - في الولايات المتحدة - جاء في آخر القائمة ، يسبقهم بائعو شهادات التأمين وأصحاب دكاكين الرهونات .

لقد استخدموا المرأة والطفل والحيوان والرجل سبيلا لترويج منتجاتهم ، ودفعوا بلايين الدولارات في كل بقاع العالم لاقناع الناس بمزايا منتج ما ، لقد استخدموا العواطف والدوافع الانسانية في إعلاناتهم . وأصبح لدى الكثير منا - نحن أبناء العالم الثالث - اقتناع بأن معجون الأسنان هو « كولجيت » فقط . وأن الورق الصحي هو « كلينكس » فقط ، وكلاهما واحد من أشكال المنتج وليس جميع أنواعه ولا أفضلها ، وأصبحت معظم جرائدنا أسيرة الاعلانات بدلا من أن تكون أسيرة الجمهور ومصالحه ، وأصبح (مكدونلد هامبورجر) و (الكوكاكولا) والمرسيدس أسماء يتداولها أبناؤنا باستسلام عجيب ، وغزتنا مطاعم الأكلات السريعة التي ابتدعها « ايرل أوف ساندوتش » فحملت اسمه وأصبحت الرجولة تتجسم عند بعضنا في شخص جي. آر. بطل مسلسل دلاس ، وفوق ذلك كله يقول لنا الاختصاصيون في الاقتصاد إن بعضا من أقطارنا مدينون للآخرين ببلايين الدولارات ؟



التميز في الفكر الاسلامي المعاصر

بقلم : الدكتور احمد كمال ابو المجد

يناقش الكاتب في هذا المقال موقفين متناقضين ، أحدهما موقف بعض دوائر الغرب المعادي لكل مظاهر النهضة الحضارية الاسلامية ، وموقف بعض دعاة الصحوة المغالين في خصوصيتها .

منذ سجل المحللون والباحثون ظاهرة تعاظم موجة « المد الاسلامي » في الفكر وفي الحياة السياسية والاجتماعية داخل الأقطار الاسلامية ، ومنذ شاع اصطلاح « الصحوة الاسلامية » للتعبير عن هذا المد ، كان المستشرقون والغربيون بصفة عامة ، أكثر الناس اهتماما بفهم هذه الظاهرة ، ورصد حركتها ، وتحليل محركاتها . . وكان طبيعيا أن يتم ذلك كله في اطار رؤ يتهم للمصالح الغربية في « الوطن العربي والعالم الاسلامي » ولذلك وجهوا الجانب الأكبر من اهتمامهم الى البحث عن الآثار السياسية لهذه الظاهرة الجديدة ، ومدى تأثيرها على استقلال المجتمعات العربية والمسلمة في مواجهة النفوذ الغربي الذي استقر وثبت أقدامه في حياة العرب والمسلمين . . .

ولذلك ركز كثير من علمائهم وباحثيهم دراستهم « للصحوة الاسلامية » على ظاهرتين أساسيتين : هما ظاهرة توجه هذا التيار الاسلامي الجديد الى ممارسة دور سياسي متعاظم ، درسه هؤلاء الباحثون تحت عنوان : « الاسلام السياسي » وظاهرة « العنف » الذي مارسه أفراد أو جماعات قليلة منتسبة الى هذا التيار ، ومع ذلك صوره أولئك الباحثون على أنه قاسم مشترك ، وصفة ملازمة لكل الحركات ذات التوجه الاسلامي . . وليس في هذا كله شيء من الغرابة . . وانما الغرابة أن كثيرا من الدارسين لهذه الظاهرة من العرب والمسلمين قد ساروا على الطريق الذي رسمه الباحثون من غيرهم ، فصرفهم ذلك عن دراسة أمور أكثر أهمية وأكثر عمقا ، وأقرب اتصالا بمكان هذه الجماعات الاسلامية ، ودورها في التيار العام لحركة اليقظة والانبعاث داخل المجتمعات العربية والاسلامية . . وفي مقدمة هذه الأمور تشخيص وتحليل المنطلقات والمكونات الفكرية لروافد هذا التيار الاسلامي الجديد . .

الاستقلال والنّدية

ولقد آن الأوان ـ فيما نرى ـ لتصحيح هذا التوجه ، وللتوقف الهادىء أمام بعض التصورات الفكرية ، والمواقف السلوكية التي تميز حركات التوجه الاسلامي المعاصرة . . ومناقشة ذلك كله في موضوعية وصراحة وبروح نقدية تستهدف الاصلاح والتصويب عن طريق الحوار وتبادل الرأي ، بعيدا عن الهواجس والمخاوف الكثيرة التي ولدتها عند كثير من الباحثين من غير العرب والمسلمين رؤيتهم لمصالحهم كما زكاها انتماؤهم الثقافي والحضاري لحضارة مختلفة نريد ـ نحن العرب والمسلمين ـ أن نتحرر من الانقياد لها ، وأن نحتفظ تجاهها بموقف الاستقلال والنّدية .

وفي مقدمة المنطلقات والمعالم الفكرية لتيار التوجه الاسلامي الجديد ، حرص واضح لايخطئه الباحث على توكيد حد أقصى من التميز والتفرد للاسلام ونظمه ، ينفي عنه مشابهة أي عقيدة أخرى ، وأي حضارة أخرى ، وأي نظام غيره ، عرفه الناس قديما أو يعرفونه حديثا . . واذا كان الحرص على تقرير « التميز » أمرا مشروعا تماما لتحقيق « ذاتية الأنا الحضارية » ، ولرسم حدودها داخل العقل والنفس جميعا ، ولوضع الخط الفاصل بين « الذات » وبين « الأخرين » ومنع ذوبان تلك الذات في غيرها . . فإن الاسراف الشديد في تقرير هذا « التميز » وتلك الخصوصية والاحساس بالضيق والرغبة الملحة في الانكار والرفض تجاه أي دعوى لتقرير المشابهة أو الاشتراك في الرؤية النظرية والموقف العملي مع الأخرين . . هذا الاسراف الشديد ـ فيما نرى ـ يحتاج الى مراجعة واستدراك من وجهة نظر تاريخية واجتماعية . . ووجهة نظر اسلامية خالصة من ناحية أخرى . .

ويستطيع الباحث أن يجد مظاهر هذا الحرص الشديد على توكيد الخصوصية فيما تعلنه الكتابات العديدة الممثلة لتيار الفكر والتوجه الاسلامي من أن نظام الاسلام في المجال السياسي . . ليس هو الديمقراطية ولا هو مشتبه بها أو ملتق معها . . وأن نظامه الاقتصادي « ليس رأسماليا ولا اشتراكيا » . . وأن مذهبه في نشاط الدولة ومؤسساتها ليس مذهبا فرديا ، ولا جماعيا . . وأنه حتى حين يلتقي في هذه المجالات مع نظام آخر ، فهو لقاء عابر تعقبه مفارقة كاملة . . ويحكمه اختلاف أساسي . . وأن التشريع الاسلامي في مجالاته كلها نظام متميز متفرد مختلف عن سائر النظم القانونية التي عرفها الناس قديما وحديثا . . وأنه حتى حين تتماثل بعض أحكامه الجزئية مع أحكام شرائع أخرى ، فهو تماثل ظاهرى لأن « التصور الاسلامي » كله تصور متميز تماما . . ونحن لا نجادل في أن لكل حضارة انسانية منطلقاتها الأساسية التي تميزها عن غيرها ، وأن لها « خصوصية » هى التي تجعل منها كيانا حضاريا له استقلاله عن سائر الحضارات . .

استدراك

كذلك لا يغيب عن بالنا ـ وما نحسبه يغيب عن بال مسلم ـ أن الاسلام نظام متكامل يقوم على قاعدة أساسية ذات مصدر ديني ، هي قاعدة الايمان بالنبى (ﷺ) الذي تلقى الوحى عن ربه ، وأن من الطبيعي أن ترتد أحكامه الجزئية وتفصيلات نظامه السياسي والاجتماعي الى أصول التصور الكلي العام الذي جاء به الوحي . . عن الخالق سبحانه ، وعن الكون ، وعن الانسان ، ووظيفته ومسئوليته ، ولكن الذي نستدرك عليه هنا ، ونراجع بعض الكتاب والدعاة في شأنه ، هو المدى الذي يصلون اليه في تقرير هذه الحقائق وترتيب النتائج عليها . . فنحن من ناحية لا نرى انه يجوز لمسلم أن يذهل عن بعض الحقائق الكبرى الثابتة ـ بالعقل والنقل جميعا ـ التى تجعل « المسلمين » جزءا من التاريخ العام للانسانية ، وتجعل سلوكهم كله جزءا من تيار السلوك الانساني ، تحكمه ذات السنن والضوابط التي تحكم الناس في مسيرتهم عبر التاريخ كله . .

ونحن من ناحية أخرى نرى بأسا شديدا وخطرا كبيرا في هذا الاسترسال الذي لايعرف الحدود في تقرير الخصوصية وتوكيدها وذلك لخطأ وخطورة بعض النتائج العملية التي تترتب عليه في النظر وفي السلوك جميعا ، وهي نتائج تعانى منها كثير من الجماعات المعبرة عن « التوجه الاسلامي » ، كما يعاني منها عامة المسلمين ، ونخشى أن يكون بعضها

سببا في عثرات كثيرة ، تحرم المجتمعات العربية والاسلامية من الثمرات الطيبة ، ومن الرشد والهداية اللذين جاء الاسلام كله طلبا لهما وسعيا لتحقيقهما .

وحدة الرسالات السماوية

١ - وأول ما نذكر به - وان كان معروفا ومسلما به أن الاسلام حريص كل الحرص على التذكير بوحدة الخالق ، ووحدة الانسانية ، فالحق سبحانه قديم ، يقول تعالى « أنما الهُكم إلٰه واحد » ويقول أيضا « أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوبَ الموتُ إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ، قالوا نعبد إلهَك وإلهَ آبائك ابراهيمَ واسماعيلَ واسحقَ إلٰها واحدا ، ونحن له مسلمون » - وسور الشعراء والانبياء وهود وغيرها من سور القرآن الكريم زاخرة بالآيات التي تؤكد وحدة الحق سبحانه ، ووحدة رسالته للناس ، ووحدة النبوات على تعاقبها واختلاف أزمانها . . يقول تعالى « فقال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره» .

والنبي (ﷺ) يقول عن الأنبياء انهم ابناء عَلّات « أي بنو أمهات شتى وأبوهم واحد » أي أصل رسالتهم واحد ، وهو (ﷺ) يذكر بوحدة الرسالات السماوية حين يعبر عن ذلك بأن مثله ومثل الأنبياء قبله كمثل رجل بنى بيتا فزينه وجمله إلا موضع لبنة في زاوية من البناء . . «فأنا هذه اللبنة وأنا خاتم الأنبياء » .

أما وحدة الانسانية فثابتة بالعقل والتاريخ والمشاهدة ، وثابتة بالنقل الذي لايفتأ يذكر الناس بها حتى لايشردوا ويتوقفوا عند عوارض اختلاف اللغات والأجناس يقول تعالى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » . .

ومن هنا لايجوز أن تغيب هذه الحقيقة عن عقل المسلم ووجدانه ، بل ان القرآن الكريم حين يتحدث عن استخلاف الانسان في الأرض فهو يتحدث عن « الانسان » بعمومه . . عند نقطة البدء في تاريخه حيث يقول « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » - ثم يقول سبحانه « ولقد كرمنا بنى آدم » ويقول : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » .

صفات ممتزجة

٢ - ان الاسلام ، وان كان في مصدره نظاما إلهيا أوحى به الله سبحانه الى نبيه (ﷺ) فان (ﷺ) تمتزج فيه بشريته مع نبوته ، « قل انما أنا بشر مثلكم يوحي الى أنما الهكم اله واحد » - وهو (ﷺ) لا يفتأ يذكّر الناس بهذا المعنى « انما أنا بشر وانه يأتيني الخصوم ، فلعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض فأقضي له . . » وكذلك المسلمون من بعد النبي (ﷺ) ناس من الناس ، وبشر من البشر يصيبون ويخطئون ، ويعدلون ويظلمون ، وهم - بما يتبعونه من الحق والهدى - شهداء على الناس ، يذكّرون بآيات الله ، ويدعون اليه سبحانه على بصيرة ، ولكنهم لاسلطانَ لهم على أحد » ، « فذكّر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر » - ولا يحق لهم - لذلك - أن يمنوا على الله اسلامهم : « قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان » .

وتاريخهم بعد ذلك جزء من التاريخ العام للانسانية ، وحياتهم خاضعة للسنن والنواميس التي تحكم الناس جميعا . . وهي ليست استثناء من تلك السنن،اذا اجتهدوا وأخذوا بالأسباب وَصَلُوا وأدركوا غايتهم وارتفع شأنهم ، واذا تقاعسوا وقعدوا وقصروا وتمنوا على الله الأماني ، وقالوا نحن خير أمة ، ثم لم يفعلوا شيئا ، تراجعوا وزال سلطانهم وهان أمرهم . . ولم ينفعهم ما يرفعونه من شارات ورايات ، وان حملت أقدس الأسماء وأرفع الأنساب . .

رسالة عالمية

٣ - ان المسلمين لهم رسالة انسانية عالمية ، ودعوة الاسلام موجهة للناس كافة يقول تعالى : « قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا » - وهذه العالمية لا يصلح للدعوة اليها الا من اتصل بالناس وأقام الجسور معهم ، ومد بينه وبينهم حبال المعرفة المتبادلة ، وأحسوا أنه منهم وأنهم منه . . أما الذي يتعالى على الناس ، ويظل يذكرهم صباح مساء بأنه مختلف عنهم شديد الاختلاف . . وألا صلة تجمعه بهم . . ولا أمر مشترك بينه وبينهم . . فأنىٰ يستجيبون

له . . وهو يضعهم بعيدا عنه في موقف الغربة . . والاختلاف . . وانقطاع الصلة ؟

٤ ـ ان الاسلام حين جاء لم يقطع صلة المسلمين بالدنيا التي حولهم ، ولا بالدنيا التي كانت قبلهم . . فهذا النبي (ﷺ) يقول لأصحابه : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » . . ـ وهو (ﷺ) يتحدث بكل الرضا والثناء عن حلف شهده في الجاهلية هو حلف الفضول . . لما انطوى عليه من تعاهد على الحق وتعاون على الخير . . وتقرير لمبدأ التكافل . . بل ان شعائر الاسلام وشرائعه لم تنفصل عن شعائر الناس قبل البعثة الا حيث كان هذا الانفصال تصحيحا لعقيدة أو تصويبا لخطأ ، أو نفيا لضلال ، أو هدما لظلم ، أو درءاً لمفسدة . . أما حيث أقام الناس ـ قبل الاسلام ـ الحق والعدل والمرحمة ، فقد أقر الاسلام كثيرا مما كان . . أو هذبه وشذبه ووضعه موضعه المناسب من البناء المتكامل الذي جاء به . . نعم أقام الاسلام صرحا هائلا من الأفكار والعقائد والنظم . . وذلك اسهامه الكبير في تقدم الانسانية ووضع أقدامها على طريق الحق . . ولكن هذا الاسهام قد تم دون قطيعة مطلقة مع الماضي ، أو خصومة ـ لا ضرورة لها ـ مع الحاضر الذي عليه الناس . .

التميز والخصوصية

ولقائل ـ بعد ذلك ـ أن يقول . . ان كان الأمر كذلك ، فأين خصوصية الاسلام وأين تميزه . . وأين « رسالة » المسلمين الذين جعلهم الله أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس ؟

والجواب واضح لا غموض فيه . . ان البشرية ـ بغير دين يهدى ـ تزل وتتعثر . . وتزيغ في سهولة عن قيم الحق والخير والرحمة والاصلاح . . وتختلط في مسيرتها نداءات العقول مع دواعي الأهواء . . وقد تندفع الى مسارات أولها خير وآخرها شرعظيم . . أو ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب . . وقد تذكر في مسارها أشياء وتنسى أشياء . . فجاء « الوحي » هاديا وعاصيا . . وجاء النبي (ﷺ) هاديا وبشيرا ونذيرا « فذكّر انما أنت مذكر » . .

وحياة المسلمين لا تكون اسلامية ، بتحرى مخالفتها لكل ما عداها ، وانفرادها بمسلك لايسلكه غير أصحابها . . وانما تكون هذه الحياة ـ وهي عادية في جوهرها ـ حياة اسلامية بقدر ما توجهها « قيم » الحق والعدل والرحمة واصلاح ذات البين بين الناس ، « وقيم الايثار والعطاء » والعفو . . في اطار من سكينة النفس المطمئنة الى قضاء الله . . الساعية بين الناس بأمره وهداه . . الصادرة في ذلك كله عن ايمان به سبحانه ، وتوجه لمرضاته . . « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . . »

نعم . . إن الحضارات في نشأتها تحتاج الى مرحلة اعلان للمبادىء وتحديد للهوية ، وتشخيص لمعالم التميز والخصوصية . . ولكن هذه الحاجة تكون لها الأولوية عند مولد الحضارة ، أو انفصالها عن حضارة أخرى . . وفي هذه المرحلة الأولى يشتد الحرص على رموز التميز وشعائر الخصوصية . . ويحتاج الأمر الى تعقب مظاهر « التشبه » بالغير ، حتى يكتمل مولد الحضارة الجديدة . . أما بعد أن تتحدد المعالم ، وترسخ أقدام الحضارة الجديدة في الأرض . . وتحتل مكانها على خريطة الناس والشعوب . . فان الحاجة الى توكيد « الخصوصية » تقل ، ان كانت تبقى قائمة . . والدعوة الى « التميز » تحتاج الى أن توازنها دعوة أخرى الى توكيد « العناصر المشتركة » التي تعين على التواصل . . وتفتح أمام دعاة الحضارة الجديدة عقول الناس وقلوبهم . . خصوصا اذا كانت دعوتها انسانية وعالمية على ما هو الشأن في دعوة الاسلام . .

معادلة صعبة

والمعادلة الصعبة التي يواجهها تيار « الفكر والحركة » الاسلامية ان المسلمين اليوم بحاجة الى العمل في اتجاهين . .

أ ـ فنحن ـ العرب والمسلمين ـ نتعرض لعلاقات ثقافية وحضارية وسياسية غير متكافئة بيننا وبين الدول الكبرى التي تنتمي الى حضارات غير حضارتنا . . وهو ما يتحدث عنه رجال الثقافة عادة تحت عنوان « الغزو الثقافي » ولهذا فنحن ـ ولا شك ـ نحتاج الى أن نعتصم بذاتنا الحضارية وأن نتمسك بمعالمنا الفكرية والسلوكية . . وأن ننتبه الى مخاطر « الذوبان » في

حضارة الآخرين ، حين ندخل معهم مرحلة « الاختلاط » ونحن الجانب الضعيف الذي « يستقبل » التأثيرات الحضارية والثقافية ، ولايكاد « يرسل » شيئا للآخرين .

ب ـ ونحن ـ من ناحية أخرى ـ نواجه عزلة حضارية ، بعد عصور طويلة من التخلف والاقتصار على الذات ، تراجع فيها اسهامنا في حضارة العالم ، وقل فيها ـ الى درجة الشح الشديد ـ عطاؤ نا في أكثر الميادين . . والحملة من حولنا شديدة على حضارتنا وأفكارنا وأسلوب حياتنا ، تصورنا على غير حقيقتنا ، وتريد أن تصرف الدنيا كلها عنا . . ولهذا فنحن نحتاج الى دعوة والى اعلام كما نحتاج الى مشاركة الدنيا من حولنا سعيها الدئوب الذي تقفز به قفزات هائلة في ميادين العلم وادارة الحياة . . ولا يمكن أن يتم لنا شيء من ذلك اذا عاش جيلنا المعاصر في عزلة نفسية وعقلية ، تحيط به الهواجس ، وتستولى عليه الوساوس والمخاوف . . ويدفعه الحرص على البقاء الى رفض كل جديد ، ومحاربة كل وافد . . مخافة أن يكون عدوا في ثياب صديق . . أو سما قاتلا في وعاء غذاء أو دواء . . وحجتنا التي نلوذ بها في ذلك أننا نقفل أبواب الشر ، ونسد ذرائع الفناء الحضارى . .

وهذا الأسلوب في « مقاومة الغزو » لم يعد ممكنا ، ولم يعد صالحا ، فالحواجز بين الشعوب تتساقط وتتهاوى يوما بعد يوم . . والاتصال بين الحضارات حقيقة قائمة . . لهذا فان الاسلوب الفعال والصحيح في الدفاع عن الذات الحضارية ، لا بد أن يقوم على تربية الجيل كله على الحركة في الاتجاهين جميعا . . اتجاه معرفة « المعالم الذاتية » والتمسك بها . . واتجاه معرفة « الخصائص المشتركة » ، والنسب الانساني العام . . وتقبله . . والتعامل السوى مع « الغير » على أساس هذا النسب المشترك . .

الحق والواقع

إن الالحاح المبالغ فيه على « الخصوصية والتميز » ليس ـ فيما نرى ـ مجرد موقف فكرى يحتمل المراجعة . . وانما يكمن الخطر الحقيقى في الآثار العملية التي تترتب عليه . . آثار ممارسة العزلة والاتهام المستمر للآخرين . . وحرمان « الغير » من أن يكون له مكان في دنيا « المؤمنين » . . والتشديد على الاتباع والأنصار ليتركوا كل مظاهر « التشبه الحضاري » حتى ولو كانت تشبها في خير ، واتباعا لحكمة . . ولحاقا بموكب عدل وحق . . وكذلك تترتب عليه نتائج عملية شديدة الغرابة ، تنتهى ببعض الدعاة الى أن يقدموا الاسلام للناس في صورة ملؤها الغموض والخفاء . . قصاراها أن تؤكد أنه مختلف عن كل ما عداه . . متميز عن كل ما عرفه الناس . . أما خصائصه الموضوعية المحددة فتبقى غائمة باهتة لا حدود لها . . وينسى هؤلاء أن نفى المشابهة لا يجب الا في حق الحق سبحانه الذي « ليس كمثله شيء » . . أما الناس وثقافاتهم وحياتهم فتبقى مزيجا من الحق والواقع . . ومن القيم المثالية . . والأوضاع الاجتماعية المؤثرة . . لا ينقص ذلك من قدرها . . ولا ينال من خصوصيتها .

وليت الذين يملؤهم الحرص على الاسلام ، والرغبة في خدمة دينهم وثقافتهم يعرفون ذلك كله . . فلا يخرج الواحد منهم علينا ببحوث قد تبلغ آلاف الصفحات . . ليعلن في حماس لا حدود له أن الاسلام « مختلف تماما » عن كل ما عرفنا ونعرف . . وأن من الاخلاص له والمحافظة على نقاوته اثبات هذا التميز الذى لاحدود له ولا نهاية . .

انا نتمنى عليهم أن يتواضعوا قيلا . . وينصفوا كثيرا . . ويتوقفوا عن الخوف الذي لا مبرر له على دين أنزله الله على رسوله « بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » . . وليت الذين لا يتوقفون عن الحديث عن الصحوة الاسلامية . . حديث الخائف أو حديث المتربص . . أو حديث المتحمس المفتون . . ليت هؤلاء جميعا يتوجهون الى دراسة المزيد من المواقف الفكرية والسلوكية لهذا التيار المتعاظم ، حتى يعينوا أصحابه على مزيد من الرشد . . ويعصموهم ويعصموا أنفسهم من عثرات قد نشترك جميعا في تحمل مخاطرها الكبيرة . □

■ الشجاعة تنبع من القلوب ، لا من كثرة العدد (دريدن)



القرن الواحد والعشرين

بقلم : الدكتور عبدالحميد يونس

عالمنا اليوم هو عالم التقدم المتوثب ، واهم مقوماته المعرفة والمعلومة ، واذا كان اجدادنا العرب قد اسهموا بشكل مشرف فى رصد المعلومات وتصنيف المعارف ، وقدموا للتاريخ الحضارى اروع موسوعاته ، فليس بعزيز على العلماء والمفكرين من العرب المحدثين أن ينهضوا بهذا الانجاز الموسوعى للقرن الواحد والعشرين .

لااريد ، وأنا أتحدث عن دوائر المعارف أو الموسوعات ، أن أشرح ما اصطلحنا على تحديده بكلمة « المعرفة » ذلك لأن هذه الكلمة أصبحت ترتبط بالتركيز على أصل المعرفة الانسانية وطبيعتها ومداها . وكان من الطبيعى ان تختلف حولها المذاهب . وحسبنا أن نتخذ المعنى الدارج الذى يؤكد علاقة المعرفة بانسانية الانسان ، وما من امرىء لاتقوم حياته على المعرفة سواء أكان ذلك بالاحساس أم الادراك أم الفكر ، بيد ان هذا كله قد تجاوز الذاكرة بالطفرة الحضارية التى اعتمدت على التدوين ، وأتاحت حرية النقل من فرد الى فرد ومن جماعة الى جماعة ومن جيل الى جيل ، وكانت حوافز تصنيف المعرفة من اهم المعالم التى أصلت النزعة الحضارية وتواصلها وتبادل التأثر والتأثير فيها بين الأوطان والعصور .

ومن الضرورى أن نفرق بين القاموس من ناحية وبين دائرة المعارف من ناحية اخرى ، فالقاموس يجمع الكلمات التى تستوعبها اللغة ويرتبها على حروف الهجاء على اختلاف مناهج الذين اشتهروا فى هذا المجال على طبيعة اللغة من حيث الأصل والاشتقاق ، والحضارة العربية ذخيرة لاتزال تعتبر من أهم الذخائر العالمية فى تتبع الكلمات وتصنيفها وترتيبها وعرض معانيها ودلالاتها ، وكثيرا ما اتخذت الشواهد التى تضبط اللفظ وتوثق المعنى ، ونحن اليوم لانزال نحس بالحاجة الماسة الى الاعتماد على تلك القواميس والمعاجم العربية مع مرور اكثر من ألف

عام على جمعها وتصنيفها ، وسيظل العلماء الذين نهضوا بهذه الجهود الشاقة المضنية فى مكانهم الممتاز فى تاريخ الحضارة العربية بل العالمية امثال : « ابن منظور » صاحب « لسان العرب » و « الفيروزابادى » مصنف القاموس المحيط والزبيدى الذى شرح القاموس المحيط فى معجمه « تاج العروس » . .

وبدأنا فى أيامنا هذه نعترف بتبادل المعلومات بيننا وأن نجعل هذا التبادل يكافىء وظيفة المصارف فى الحياة المادية ، واشتهر بيننا مصطلح « بنك المعلومات » وهو ما قامت ، ولاتزال تقوم به الجماعات فى تبادل المعارف ، وانا أملى هذه السطور بعد لحظات من استعراض الطبعة الاخيرة من دائرة المعارف البريطانية ، وأخذت اوازن بين إحدى طبعاتها السابقة وبين هذه الطبعة الجديدة ووجدت اتساع الأفق وتنوع المعارف ، ولكن الجديد يشهد على تنوع الحوافز ، فهناك مواد احتفظت بمكانها وأخرى أصبحت معلومة قصيرة مع التركيز على المقومات الأساسية لها ، الى جانب ما أضافته السنوات الأخيرة من معارف ومعلومات ، والانسانية ظلت تتوسل بتبادل المعارف على أساس ما اصطلحنا على تسميته بالموسوعات ، ونحن مهما اختلفنا حول المقصود من الموسوعة أو دائرة المعارف فاننا نجمع على أنها الصحف التى تضم بين دفتيها كل ما تستوعبه المعرفة الانسانية من حقائق ووقائع وظواهر وعلوم ، وهذا الجهاز المتخصص فى تبادل المعارف احتفل بأحد فروع المعرفة احتفاله بكل ما تحتاج الانسانية الى التعرف عليه بصفة عامة ، وأصبح هذا الجهاز يشتهر « بالانسيكلوبيديا » أو الموسوعة أو دائرة المعارف .

جهود عربية للقدماء والمحدثين

وهناك دارسون عنوا بتتبع هذا المنهج الجامع للمعارف ووجدوا أنه يساير التطور الحضارى ، ويذكرون شواهد صنفت فى العصور القديمة . أما فى تاريخنا العربى الاسلامى فاننا نجد شواهد بارزة فى تتبع العلوم والمعارف والفنون وتصنيفها،ويكفى أن أذكر ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ موسوعة الفارابى « احصاء العلوم » وقد صنف فيه المعرفة الانسانية بصفة عامة الى خمسة أقسام هى علوم اللسان والمنطق والطبيعة والالاهيات والفقه ، ويجمع الباحثون على الاعتراف بتعمقه فى التصنيف والبحث ، وهناك شاهد آخر هو « النويرى » الذى نهض بجهد كبير فى موسوعته الضخمة « نهاية الأرب فى فنون الأدب » التى تضم ثلاثين مجلدا تستوعب الكون والطبيعة والانسان والحيوان والنبات.ولم يغفل النويرى فى موسوعته تسجيل التواريخ التى جعل لها قسما خاصا ، ونحن فى عصرنا الحديث نرجع فى البحث عن معرفة أو علم الى « دائرة معارف البستانى » التى قام بمجلداتها الأولى « بطرس البستانى » وأكملها أبناؤه فيها بعد ، والى « دائرة معارف القرن العشرين » وهى فى ٢٠ مجلدا،وعمل على جمع موادها وتسجيلها وتصنيفها « محمد فريد وجدى » ، ولعل اختياره لهذا العنوان هو الذى جعل معظم الذين اهتموا بشخصيته أو ترجموا له يكشفون عن الحافز الكبير على هذا الجهد الذى دفعه الى تحقيقه وهو الأصالة والمعاصرة .

وفى العقد الثالث أحس جيلنا بالحاجة الماسة الى الكتب الموسوعية ، على أن تساير النماذج التى أخذنا نفيد منها فى اللغات الغربية كالانجليزية والفرنسية والألمانية . ويبدو أن حماسة الشباب هى التى جعلتنا نتحول من مجرد الدعوة الى محاولة التحقيق ، واخترنا موسوعة أوروبية مشهورة وعقدنا العزم على ترجمتها الى اللغة العربيةوأدركنا العقبة التى اعتبرها أساتذتنا وزملاؤنا من المستحيلات،وهى الخلاف فى ترتيب الحروف الهجائية بين اللغة الأصلية للموسوعة وبين حروفنا فى اللغة العربية الى جانب بعض الحروف التى ليس لها مقابل عند الأوروبيين ، بيد أن الاصرار دفعنا الى التعرف على صنيع المستشرقين فى نقل الأسماء والكلمات العربية الى كتابتها عند الانجليز والفرنسيين مثل حروف الحاء والخاء والضاد والعين . . الخ وقمنا بخطوة أولية فى جمع الحروف وترتيبها على أساس الهجاء العربى ، وتخيلنا التشبث الكامل بحقوق التأليف وبعثنا الى ادارة الموسوعة الأوروبية الكبيرة نطلب منها الموافقة على ترجمة الموسوعة الى لغتنا العربية ، وعلى الرغم من مضى نصف قرن وأكثر على ذلك المشروع الا أننا لا نزال نحس بالدهشة على تجاوزنا للواقع ، ذلك لأن ادارة تلك الموسوعة الأوربية الكبرى طالبتنا بمليون جنيه استرلينى لمنحنا حق الترجمة ، ولو أننا طبقنا حساب

هذه الأيام لأدركنا أنها تريد منا أضعاف هذا المبلغ لاتستطيع النهوض به الشركات الكبيرة واللجان العلمية التى تستوعب التخصصات المختلفة ، ومثل هذه الموسوعة تتطلب التكامل والمثابرة على تنفيذها والطاقة فى الانفاق عليها .

وفى هذه الفترة نفسها نهضنا بترجمة موسوعة متخصصة فى حضارتنا وهى « دائرة المعارف الاسلامية » وأخذنا الكثير من الاعداد لها وتنفيذها ، ذلك لأننا درسنا بمنهج عملى ما هو المقصود بالموسوعة المتخصصة وأدركنا أنها حضارة متسعة لها جذورها الحضارية ولها شعوبها وأحداثها وتفاوت مقومات بيئاتها ، واتضح لنا آخر الأمر أن عادة ترتيب مواد الموسوعة على الاساس الهجائى ممكن ، بيد ان اساتذتنا سخروا منا ، ولم يكونوا يتصورون اقدامنا على ذلك ، وكلما وازنت بين هذا الجهد وبين ما أطالب به بوجوب المبادرة الى اصدار موسوعة القرن الواحد والعشرين يتأكد ان كان تحقيق هذا المشروع الكبير تعوزه الافادة من الدروس المستخلصة من مواجهة الواقع . ودفعتنا المثابرة على أن يشجعنا الكثيرون من أعلام الفكر ، ثم اقتنع الذين انتقدونا بقيمة عملنا ، وأعترف مع ذلك بأن حاجة ترجمة هذه الموسوعة الى ما يمكن أن نطلق عليه « طول النفس » وبروز الخلاف بين العمل الأصيل فى التأليف والترجمة وفى الطبع والنشر ، وهو ما يجب أن نضعه فى حسابنا ونحن ننادى بالأعمال الجامعة للمعارف وتطويع أجهزة الطبع والنشر لها حتى تتغير بعض الأهداف المادية وتستقيم الحياة الفكرية فى السنوات القليلة الباقية من القرن العشرين ، ونكرر القاعدة التى تقول : إن الوظيفة هى التى تخلق العضو ، وهو ما يجعل أجهزة الطباعة والنشر ما هى الا أعضاء تحفزها الوظيفة الحيوية فى الفكر والفن ، وتسجيل المعارف الخاصة بهذه الوظيفة هو ما تعمل الطباعة والنشر على تحقيقه فى الحياة الانسانية التى تقوم الحضارة فيها على تواصل المعارف والخبرات والتجارب .

المنهج الموسوعى والطفرة الحضارية

وعدت أكرر وجوب العمل الجاد على اصدار الموسوعة العربية الكبرى فابتسم بعض المعروفين فى عالم الفكر ، وكأنهم يريدون أن يقولوا لى : إن من المستحيل تحقيق هذا المشروع الخيالى ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد صدرت قرارات واضحة وموضوعية طالب بعضها بتحقيق هذا المشروع العظيم وبدأ بعضها الآخر فى إعطاء النور الأخضر للشروع فى التنفيذ ، وتجاوز ذلك الحدود الرسمية للأقاليم والأوطان العربية مثل المنظمات الخاصة بالتربية والثقافة والعلوم فى هيئة الأمم أو الجامعة العربية ، ولا أجد حرجا على الاطلاق فى ان أذكِّر اصدقائى وزملائى بآخر لقاء شاركت فيه لاعادة النظر فى مشروع دائرة المعارف العربية الكبرى وهو الذى عرض فيه بعض الزملاء للطاقة البشرية والفنية التى تحتاج اليها الموسوعة ، واختلف المجتمعون على الاطار الذى يتحقق فيه تنفيذ العمل ، بعضهم أصر على ان الهيئة العامة ممثلة فى هذه الدولة او تلك هى التى تستطيع ان تنهض بالمسئولية أو بعبارة أخرى إن القطاع العام هو الذى يقوم بالتخطيط ويرسم الطريقة الى جمع المواد وتصنيفها واعدادها ثم الى طبعها ونشرها بما يملك اويشرف على مؤسسات للطباعة والنشر المجهزة باحدث الوسائل والالآت ، ورأى البعض الآخر أن الأفراد والشركات فى القطاع الخاص أقدر على تنفيذ هذا المشروع لأنه فى نظرهم أكثر مرونة ولأن الحافز المادى المباشر يرتبط بالأثر والعائد .

وفى غضون أكثر من خمسين سنة اتسعت آفاق النهضة الفكرية بمجالاتها المختلفة فى العالم العربى ، ووجدنا تقديرا للآداب والفنون العالمية والعربية على السواء ، واحتفلت الهيئات المشرفة على الثقافة بتيسير الحصول على ثمرات الفكر على اختلاف مجالاته ولغاته ، وأصبح القارىء لا يجد الحاجز بين نفقات الانتاج وبين الغذاء الوجدانى والروحى مما يدل على أن الكثير من الدول العربية أصبحت تعترف بقيمة الكتاب وأثره ، مع العناية باختياره والتفنن فى اجتذاب القارىء للحصول عليه وهو الجو الذى أصبح فى نظر كاتب هذه السطور ملائما للتذكير بالحاجة الملحة الى إصدار الموسوعة العربية الكبرى ، ويبقى أن أقترح في هذه الكلمة أن تستجيب المنظمات الدولية أو العربية الى تأليف لجنة دائمة تكون بمثابة

الجهاز الذى يتابع التخطيط والجمع والتصنيف للمواد الخاصة بموسوعة القرن الواحد والعشرين التى تظهر فى مستوى دوائر المعارف الانجليزية والفرنسية والألمانية واليابانية والروسية وغيرها ، وعلى الرغم من عالمية هذه الموسوعة فان ظهورها باللغة العربية يجعلها تعيد التوازن بين القوميات واللغات حتى تقف مواد الحضارة العربية فى المكانة التى لها فى التاريخ وفى مسايرة العصر الحديث ، وهكذا نتبين أن المنهج الموسوعى يعترف بالواقع الحضارى ولا يخضع لاتجاهات تستعلى ـ بطريق غير مباشر ـ الواقع الحضارى وماللشعب العربى من مكانه إيجابية فى المسار الانسانى .

عالم لا يسير . . . بل يطير

وفى الاشارة الواقعية الى تحقيق الوظيفة الانسانية والقومية لهذا المشروع الكبير نرى لزاما علينا ان نسجل اهم مقومات المنهج الموسوعى . . انه يكاد يطابق ، ولا أقول يشبه ، المنهج المعمارى فى مجال الهندسة ، ذلك لأن دائرة المعارف الكبرى فيها من السعة والتعقيد ما فى المنهج المعمارى فى ايامنا هذه ، وشتان بين العمارة فى العصور القديمة والوسطى والحديثة ، ذلك لأننا نواجه الآن طفرة حضارية أخرجت التطور من خطواته التى اتسمت بالايقاع المنظم ، حتى وان أدخلنا فى حسابنا أن سرعة التطور الانسانى أخرجت الانسان من ذلك الايقاع الى ما يشبه الطيران . . ان الانسان بدأ يخرج من جاذبية الأرض ، والموسوعة الكبرى تساير محصلة الحضارة ولذلك يكثر الجديد فى أحداثها وشخوصها وفى علومها وفنونها ، ولم تعد الملاحق التى يصدرها المشرفون على هذه الموسوعة تلائم هذه الطفرة ، ولقد علمت منذ أيام قليلة أن بعض المؤسسات الخاصة باصدار الموسوعات الكبرى تعنى بالاستجابة الفورية لكل من يطلب التعرف على مادة جديدة ، وبذلك تصبح بالفعل مصدرا أساسيا للمعارف الجديدة التى لم تطبع وهو ما يؤكد أهمية تحقيق ما نلح على المطالبة به وهو مصدر حى للمعارف كما خرج الى عالم الواقع فى الدول والشعوب المتقدمة .

والعمارات فى هذه المرحلة الأخيرة تتسم بالضخامة والطول ولكنها فى الوقت نفسه تستوعب فى أدوارها وحدات منوعة،فهى تستجيب لمطالب الحياة والعمل ، وكثرتها وتزاحمها يعبران عن التعقيد وعن الايقاع السريع فى الحياة المدنية اليوم ، ويتخيل الكثيرون من الذين يحتفلون بالمستقبل والذين يرون انه يباين الحاضر ، ولو سجلنا بعض ما يتصورونه لحكمنا على رؤ يتهم بأنهم يجنحون الى الخيال . . لقد شاع فى كتاباتهم أنهم يخططون لمدن وعمارات خارج جاذبية الأرض ، وتسجيل هذا التخطيط المستقبلى من مهمات الموسوعة الكبرى مع نسبة هذا التصور الى أصحابه والى مكانتهم من المعرفة الانسانية ، فالمنهج الموسوعى يحتاج الى سعة الأفق فى الكون وفى الأرض ويحتاج الى تقديم محصلة الجهود الانسانية الى كل انسان على قدر من الوعى والعلم ، ولا يزال الكتاب هو الوسيلة الحية التى تحقق هذه المهمة الكبيرة ، فالكتاب سجل لجميع المعارف والتجارب والخبرات وصورة لمعالم الوجود فى الأرض والكون . وموسوعة القرن الواحد والعشرين تحكى هذا المسار فى الزمان وفى المكان جميعا .

لا معنى للتردد

واسمحوا لى أيها الأصدقاء أن نشحذ همتنا وأن نحاول السير فى السنوات الباقية فى القرن العشرين وأن نستغل هذه الفترة القصيرة بالتخطيط لموسوعة القرن الواحد والعشرين ، والانسان هو الكائن الذى يواجه المستقبل معتمدا على ذخيرته فى مجالات العلم والفن والأدب واذا كان العلماء يعترفون بمكنونات اللاوعى فى صياغة الشخصية فان مكنونات اللاوعي تفيد من تيسير الذخيرة الحضارية فى الموسوعة الكبرى ، وبين أيدينا المصادر والمراجع العربية وغير العربية ، فلنتحول من الدعوة الى الشروع فى الخطوة الاولى ، وهذه الكلمات أقولها لنفسى كما أقولها للمثقفين بالمفهوم الخاص فى عالمنا العربى فهى صرخة عتاب وليست مجرد همسة عتاب كما هو مشهور . . ان الموسوعة تبدأ بجذاذة أو بطاقة وتنتهى بمَعْلم حضارى عصرى يواجه القرن الواحد والعشرين . □

الزنبقة العاشقة



شعر :
الدكتور عيسى درويش

بسمت زنبقة لي مرة وأرتني ثغرها العذب الجميلْ
قلت « يازنبقتي ما المبتغى من فتى أصبح كالعود نحيلْ »
فأجابتني بصوت ناعم وبدمع من مآقيها يسيلْ
إن يكن جسمك من داء ذوى ان في حبك مايشفي العليلْ

* * * *

قلت « يازنبقة الروض اسْمعي أي نفع في هوانا المستحيلْ
في غد يسقطنا الموت به هل لانسان عن الموت بديلْ
يسقط العمر على أبوابه يستوي فيه كثير وقليلْ
قلما نرشف من كأس الهوى وكلانا بين جنبيه قتيلْ

* * * *

صاح بالزنبق طير عاشق جاء يرتاح على الغصن الخضيلْ
« آه ياأختاه اني عاشق ولكم حنت الى هذا الخميلْ
أرقب الآفاق أرضا وسما ربما ألقى لمن أهوى سبيلْ
إنما الأيام حب دائم فاذا راح الهوى - آن الرحيلْ »

* * * *

قلت « ياطير الهوى طاب اللقا الشذى والشعر والحب الأصيلْ
أعطي اللحن وخذ أغنيتي هات يازنبقتي - روى الغليلْ
واجعل العمر ربيعا دائما وامزج العطر بهذا السلسبيلْ
فاذا غبت على لوح الدجى عدت مزهوا مع الصبح البليلْ »

* * * * *

يا أخي الانسان لا تيأس اذا حلت الأحزان والهم الثقيلْ
واجعل الأيام تمسي مثلما شاءها الله فما ضيق يطولْ
وعش اللحظة في نشوتها واختم النعمة بالشكر الجزيلْ
واطلب الخير الى كل الورى ودع الشر من الدنيا يزولْ



قصة كشف طبي جديد



بقلم : الدكتور عماد شمسي باشا

ليس الرقص دائما تعبيرا عن البهجة والسرور . . فقد يكون تعبيرا عن مرض نهايته الهلاك . . ومع أن هذا المرض قلما نجده في أغلب البلدان ، الا أنه ليس كذلك في احدى القرى الصغيرة المطلة على بحيرة « ماراكيبو » في فنزويلا ، حيث يقع الكثير من سكان هذه القرية ضحايا لهذا « المرض الراقص » . . فماقصة هذاالمرض . . . وما حقيقة المأساة فيه ، وهل تلوح في طوايا هذه القصة وأحداثها بارقة أمل في نصر طبي جديد ؟ . . .

الدنيا ما تزال في سويعات البكور . . فالصباح لم يعلن عن قدومه الا منذ قليل . . والاجتماع المقرر لن يكون قبل حلول ساعة العصر من هذا اليوم ، ومع ذلك فقد أخذت « ايريس سوتو » تعد نفسها لهذااللقاء الذي سيجمعها بفريق البحث الطبي القادم من أمريكا . . كانت تشعر بسعادة غامرة وهي تتهيأ لهذاالاجتماع المهم ، وكان أكثر ما يثير في نفسها الشوق اليه أنها ستلتقي فيه برئيسة الفريق التي تحبها ، تلك السيدة ذات الشعر الأشقر « نانسي وكسلر » . .

لقد انتقت « ايريس » لهذااللقاء ثوبا أسود مزركشا لتلبسه ، فهو أفضل ما عندها ، وهي تعلم مسبقا أن أهالي القرية جميعا، ولا سيما النساء ، سيتبارين في لبس أفضل ما عندهن من ثياب . .

طلبت « ايريس » من والدتها أن تساعدها في ارتداء ثوبها الأسود المزركش ، ورغم هذه الاستجابة فقد استغرق لبسها لهذا الثوب وقتا طويلا . . وعندما حاولت أن تلبس حذاءها بمفردها فشلت أكثر من مرة ، فجلست لأكثر من ساعة مخلدة الى صمت حزين . .

ولكن « ايريس » تعيش مأساة . . إنها مصابة بداء (هانتينغتون) ' Huntington ' فما هو

هذاالمرض ، وكيف أخذ طريقه إليها ؟ . . .

(هانتينغتون) هذا مرض عصبي ، انتقل اليها عن طريق الوراثة ، وأدى الى وفاة العديد من أقربائها . . انه مرض يجعل جسم المصاب به يتلوى ويتراقص ، ويأتي بحركات مستمرة لاارادية . . حركات تشبه الى حد بعيد تلوي الافعى ، والحركة قد تكون في الرأس أو في الذراعين أو في الجسم بأكمله . . والمؤلم في هذاالمرض أن المريض يشعر بالعجز التام عن ايقاف هذه الحركات التي تجبر الجسم على أن يتخذ أوضاعا غريبة ، دون أن تكون له أدنى سيطرةعليها .

لقد أصاب هذا المرض القاتل « ايريس » منذ عدة سنوات ، ومنذ ذلك الحين وهو آخذ في الاشتداد . . انها الآن في الأربعين من عمرها ، ورغم ذلك فهي لا تستطيع أن تمشي بسهولة ، ولا أن ترتدي ملابسها ، أو تتناول طعامها ، دون عون الآخرين . . فان جسمها النحيل دائم التحرك والتلوي .

وككل المصابين بهذا المرض ، فقد ولدت « ايريس » وبذور المرض كامنة في جسمها ، وأمضت السنوات الباكرة من حياتها في صحة تامة ، فلم تكن تشكو من أي عرض ، حتى اذابلغت الثلاثين من عمرها بدأت بذور المرض تكشف عن نفسها . . ولقد بدأت المشكلةمعها بأعراض بسيطة ، لم تلق لها بالا في أول الأمر : ككثرةالنسيان ، وسرعة الغضب دون مبرر ، ثم بدأت الأمور معها تتجه نحو الأسوأ ، فأخذ جسمها يتحرك دون ارادتها ، ودخل ظهرها وكتفاها في حركة لا تهدأ ، كما لو كانت تبحث لنفسها عن وضع مريح . . دون أن تجده !

وأينما توجهت ـ خارج تلك القرية ـ كانت هذه الحركات مبعث استغراب وتأويل وتفكه ولكنها بالنسبة لـ « ايريس » ولكل فرد من أفراد قرية سان لويس يبدو الأمر مختلفا تماما . . فهم يعلمون جيداماالذي تعنيه هذه الحركات ،ومامصير من يصاب بها . انه « الداء » كمايسمونه في « سان لويس » ، وهي قريةمتواضعة تطل على بحيرة « ماراكيبو » في فنزويلا ،ومعظم منازلها مبنية من الخشب ، طرقاتها ترابيةضيقة ملتوية ، غالبيةأهلها يجهلون القراءة والكتابة ، يقدر عدد سكانها بحوالي ثلاثة الآف شخص ، تتوزعهم أسر كثيرة الأفراد ، جلهم مترابطون بقرابةالدم والاصهار ، أما مصدر رزقهم الوحيد والمحدود فهو صيد السمك . .

وقد يصعب عليك أن تتوقع أن قريةصغيرةكسان لويس هذه تضم بين جنباتها أجوبةشافيةلكثير من الغموض الذي يكتنف مرض (هانتينغتون) ، ولكن يبدو أن هذا هو الواقع . .

أسرة سوتو

ان الاهمية العلمية لهذه القرية انما تعود لاصابة العديد من سكانها بهذا المرض ، فبينما يبدو هذا المرض قليل المشاهدة الى درجة الندرة في معظم بلدان العالم ، حتى أن عدد المصابين به في الولايات المتحدة ، مثلا ، لا يزيد على عشرين ألفا ـ أي بنسبة انتشار تعادل من ٥ الى ١٠ لكل مائة ألف من



السكان ، نجد أن انتشار هذا المرض في سان لويس يفوق بمقدار سبعمائةضعف نسبة انتشاره في أمريكا . . وأكثر من ذلك أن أسرة « سوتو » التي تستوطن هذه القرية ، تضم بين أفرادها أكبر تجمع معروف في العالم للمصابين بهذاالمرض . . ومع أن هذه الحقيقةتجسم المأساة الحادة لهذه الأسرة ، الا أنها ـ في ذات الوقت ـ توفر البيئة المناسبة والأرض الخصبة للبحث والدراسة ، وأحيانا تبدو صحيحة ومفيدة الى درجة الايلام .

ومنذ أكثر من عام ، وعن طريق دراسة عينات دم مأخوذة من أفراد عائلة « سوتو » التي أصبحت تعد أربعة آلاف شخص على مدى ثمانية أجيال متداخلة ومتعاقبة ، استطاع العلماء أن يحققوا نصرا كبيرا في مجال الكشف العلمي ، فقد تمكنوا من تحديد مكان الجينة (Gene) المسئولة عن مرض (هانتينغتون) ، ضمن أحد الكروموسومات التي توجد في نواة الخلية البشرية ، وقد اتضح لهم أن الداء انما ينجم عن عطب يصيب احدى الجينات (وهي عناصر البرمجة الوراثية التي تتحكم في كل صفة أو وظيفة في الجسم ، وعن طريقها يتم انتقال الصفات الوراثية عبر الأجيال) وأن هذه الجينة المعطوبة تتخذ لها موضعاً على الكروموسوم رقم (٤) من الكروموسومات الستة والاربعين التي توجد في كل خلية من خلايا جسمنا . .

لقد كان من المعروف مسبقا أن مرض (هانتينغتون) ينجم عن خلل في احدى الجينات ، ولكن لم يكن من الممكن وقتها تحديد مكان تلك الجينة بدقة ، ولا شك أن مقدرتنا على تحديد مكان تلك الجينة ، يضع بين أيدينا اداة مهمة للتحري عن المرض منذ بدايته ، ويجعلنا في غنى عن أن ننتظر سنوات عدة ونحن نترقب ظهور المرض ، بينمايكون المصاب قد تزوج ـ أو تزوجت ـ وأنجب أطفالاً يحملون بدورهم نذير الاصابة المميتة طي رسالة مغلقة ! بل ان هذاالكشف الجديد قد يكون نقطة البداية للتوصل الى علاج ناجع ، يضع حدا لهذاالمرض عن طريق « تعويض » تلك الجينة المريضة بأخرى سليمة وطبيعية ، ولا شك أن هذا لم يعد بالأمر المستبعد في عصر الهندسة والجراحة الوراثية .

بداية الاهتمام بسان لويس :

في الوقت الذي كانت فيه « ايريس سوتو » تعد نفسها ـ هي وجميع سكان سان لويس ـ لاستقبال فريق البحث القادم من أمريكا ، كانت السيارةالتي تقل هذا الفريق تنهب الأرض باتجاه القرية المذكورة . . وكانت مهمة القيادة في هذاالفريق ملقاة على عاتق سيدة في الثلاثين من عمرها . . انها « نانسي وكسلر » وفي هذه الأثناء كانت مشاعر وأفكار تدور في نفس « نانسي » وفي عقلها . . إنها الآن في طريقها الى القريةالمختبر ـ كما حلا لها أن تتصور ـ وهذه هي زيارتها الرابعة لها ، ولكنها اليوم أكثر ثقةبالنجاح ، وأكثر أملا في أن تعود من رحلتها هذه بفتح جديد . . لقد كانت زياراتها الثلاث السابقة كمن يسير الى هدفه معصوب العينين . . أمااليوم ، وبعد أن استطاع العلماء بفضل حماستها البالغة لهذا الموضوع ، أن يمسكوا ببدايةالخيط ، وأن يكتشفوا مكان الجينة المسئولةعن المرض ، فالأمر يبدو لها مختلفا تماما ، إن مهمتها اليوم جمع المزيد من عينات الدم من سكان (سان لويس) ومن غيرها من القرى المجاورة التي ارتبطت معها برباط مصاهرة وقرابة دم ، بهدف اجراء المزيد من البحوث لتحديد ماهية الجينة المسئولةعن المرض بدقة أكبر وأشمل .

ومع الأمل الذي كان يحدوها ، وفي غمرة التفاؤل الذي كانت تحس به ، كان هنالك شعور آخر ينتابها . . انه الشعور بالقلق والاضطراب . . كان قد وصل الى علم « نانسي » أن شائعات غير صحيحة قد انتشرت في القريةالتي تسعى اليها ، شائعات تقول بأنه قد أمكن التوصل الى علاج للمرض الذي يقاسون منه . . وهي لا تعرف الآن ماالذي تستطيع أن تقوله لهؤلاء الذين يترقبون وصولها ، هل تقول لهم ان كل ماتوصلنا اليه حتى الآن هو معرفة من سيصاب منكم بهذا المرض في غضون سنوات . . . وأي خبر أسوأ من أن يعرف انسان ما أنه سيموت في وقت قريب ؟ ولقد كان بودها أن تحمل اليهم بيدها اليسرى العلاج الذي يحميهم من المرض ، ويقيهم شر الاصابة به ، في الوقت الذي تحمل اليهم بيدها اليمنى وسيلةالكشف عن المرض قبل ظهوره ، ومما

ضاعف ضيقها وانزعاجها أن لها في هذه المنطقة الكثير من الأصدقاء الذين تعرفت اليهم في زياراتها السابقة ، وقامت بينها وبينهم مودة من نوع خاص ، وهؤلاء جميعا ينتظرون بفارغ الصبر وصول صديقة لهم ، تحمل معها البلسم الشافي لمعاناتهم الصامتة .

نانسى تحكى قصتها

وتتحدث نانسي الى رفاقها في الرحلة عن قصة اهتمامها الشخصي بمرض (انتينغتون) ، فتقول : كان ذلك في عام ١٩٦٨ ، وكانت في الثانية والعشرين من عمرها ، حينما دعاها والدها - كما دعا شقيقتها - للحضور الى منزلهم في لوس أنجلوس لأمر مهم . . ولقد أحست بالقلق حينما رأت والدها يستقبلها في المطار بمفرده ، دون صحبة والدتها التي لم تكن لتتأخر يوما عن استقبالها . . في ذلك اليوم القاتم عرفت نانسي الأمر المهم الذي عناه والدها حينما دعاها للحضور . . ان والدتها مريضة . . وانها مصابة على وجه التحديد بمرض (هانتينغتون) ، وان اصابة الوالدة بهذا المرض يعني - كما استطاعت أن تفهم - أنها هي الأخرى وشقيقتها كذلك ، معرضتان للاصابة بالمرض ذاته بنسبة ٥٠٪ ، وان كانت أي منهما لا تشعر بأي عرض في الوقت الراهن . .

عاشت نانسي بعد ذلك مرحلة صعبة من القلق والخوف المستمر . . فان أي نسيان عابر لأمر ما يجعلها تعتقد أنه بداية المرض ، وان أي نوبة غضب تنتابها تفسرها على أنها عرض من أعراض الاصابة . . وطالما أن المرض يمكن أن يظل كامنا حتى سن الخمسين أو الستين ، ثم يبدأ في الظهور ، فهذا يعني أن الخوف سيظل ملازما لها طوال سنوات كثيرة . . ولعل هذا الخوف كان مبعث الأمل في العثور على وسيلة ما للتشخيص الباكر والعلاج الشافي . . ومنذ ذلك الوقت أصبح مرض (هانتينغتون) محور اهتمام نانسي الاول وموضوع تفكيرها الدائم . . ثم تعزز هذا الاهتمام عندما أنشأ والدها مؤسسة خاصة لدراسة هذا المرض .

أما كيف توجه الاهتمام نحو « سان لويس » فلهذا قصة اخرى . . ففي أحد المؤتمرات التي عقدت في ولاية أوهايو حول هذا المرض ، استمعت نانسي الى بحث طبي يشير الى منطقة في فنزويلا تكثر فيها الاصابات به ، الى حد يشكل ظاهرة لافتة للنظر ، كما شاهدت فيلما تسجيليا عرضه المحاضر يصور المرضى في قرية « سان لويس » . . . ومع أن صورة هذه القرية ظلت عالقة في ذهن نانسي لفترة طويلة ، الا أنها لم تفكر أن تقوم بأي عمل لتنشيط دراسة تلك القرية ، فقد كانت آنذاك مشغولة بالتحضير لرسالة دكتوراة في علم النفس ، وانقضت على ذلك المؤتمر سنوات خمس ، وبدأت أحاديث تدور في كاليفورنيا حول امكان البحث عن الجينة المسئولة عن المرض ، وكان ما يسعى اليه العلماء وقتئذ هو العثور على شخص مصاب بالمرض ، يكون قد توارثه من كلا أبويه وليس من أحدهما فقط ، لان احتمال العثور على الخلل يكون في هذه الحالة أكبر من احتمال العثور عليه عند شخص ورث المرض عن أحد أبويه فقط . . ومع ندرة المرض في أمريكا فان امكان العثور على شخصين مصابين تروجا وأنجبا طفلا مصابا تبدو محدودة جدا ، وهنا توجهت الأنظار نحو قرية سان لويس الفنزويلية ، بعد أن تذكر الجميع الفيلم الذي عرض في المؤتمر قبل خمس سنوات ، في ذلك الوقت كانت نانسي قد أصبحت المديرة التنفيذية للجنة تابعة للكونغرس ، لدراسة مرض هانتينغتون ، واستطاعت أن تقنع أصحاب الشأن في واشنطن بتمويل « حملة » بحث الى مراكيبو وقراها لدراسة المرض في بيئته ، وتم لها ما أرادت ، ومنذ عام ١٩٨١ أصبح هنالك رحلة سنوية الى تلك المنطقة لجميع العينات ، واجراء المزيد من البحوث . .

اللقاء الرابع

وصل فريق البحث الى القرية ، وانتشر الخبر سريعا بين الاهالي ، وما أن سمعت به « ايريس سوتو » حتى اندفعت الى الخارج باتجاه عيادة القرية ، حيث سيكون الاجتماع المقرر . . لقد انتظرت ايريس قدوم الفريق - ونانسي خاصة - بفارغ الصبر ، حتى أنها سارعت الى مكان الاجتماع قبل الموعد المقرر لانعقاده . . ان أمر هذا الاجتماع يهمها كثيرا ، وربما أكثر من كل الناس في القرية ، فأسرة

« سوتو » معروفة للجميع بكثرة انتشار المرض بين أفرادها ، فايريس وشقيقتها وشقيقها مصابون بالمرض، وايريس متزوجة ولها أولاد ، ولكن زوجها هجرها بعد أن تفاقمت علتها ، وأصبحت عاجزة عن القيام بأعباء المنزل ، فتركت بيتها ،وانتقلت الى حيث تقيم والدتها ، بأمل أن تجد العون والمساعدة .

وما أن وصلت « ايريس » الى العيادة ، وشاهدت صاحبتها نانسي ، حتى اندفعت نحوها لعناقها . . ولكنها لم تتمكن من ذلك ، فحركات جسمها المستمرة أعاقتها عن العناق ، فاكتفت بأن وضعت يدها على كتف نانسي ، راسمة على وجهها ابتسامة السعادة باللقاء ، ثم اختارت لنفسها مكانا خاليا ، وجلست تنتظر أن يحين موعد الاجتماع مع أهالي القرية .

في تلك الأثناء كان أفراد الفريق الطبي يعدون المكان للاجتماع ، ! وكانت نانسي تقوم بتثبيت أوراق كثيرة على جدران الغرفة الأربعة ، وكلها تحمل رسوما بشجرات الأسر التي تضم مجموعها ثلاثة آلاف فرد من أبناء القرية عبر أجيال ثمانية . . . .

لقد كان الهدف الأول جمع الدم من أشخاص ذوي قرابة وثيقة بالمصابين ، وكان الأمر غاية في الصعوبة ، فالأسماء كثيرة التشابه في هذه القرية المنغلقة على نفسها ، وانتقاء الشخص المناسب لأخذ العينات مع ما يقتضيه الأمر من تتبع شجرة الأسرة عبر هذه الأوراق المنشورة على الجدران ليس بالأمر الهين . .

ومع ذلك فقد كان هنالك تصميم على عمل شيء مفيد في هذا الاجتماع ، وعندما حان موعد اللقاء كانت جميع المقاعد قد شغلت بأعداد من سكان القرية ، وكان عدد منهم « يتراقصون » ويتمايلون على مقاعدهم بصورة تبعث على الشفقة والحزن ، فهم من ضحايا « الداء » . .

ولم تستطع « نانسي » أن تصارح الحاضرين بحقيقة مؤلمة جديدة ، وهي أنه قد تمت معرفة أشخاص آخرين سيظهر عليهم المرض بعد حين ، فقد كانت تشفق ان تضيف الى مآسيهم مأساة جديدة ، ولكنها سارعت الى القول بأنه سيكون بالامكان في غضون الأعوام القادمة ، من خلال فحص دموي معين ، معرفة ما اذا كان المولود حديثا سيأتي حاملا لبذور المرض أو خاليا منها ، وهنا قاطعها أحد الحاضرين سائلا : وهل توصلتم الى علاج لهذا الداء ؟ فأجابت نانسي برفق « ودبلوماسية » ان الأمل في المستقبل كبير ! وانفض الجمع على وعد بلقاء آخر في صباح اليوم التالي لجمع العينات .



أصل الداء

لا أحد يعلم على وجه الدقة كيف بدأ مرض (هانتينغتون) في أسرة سوتو ، ومن أين وصلها ، ولا أحد أيضا يستطيع أن يثبت أو ينفي الرأي الذي يقول أن المرض تسلل الى فنزويلا عن طريق تجار أوروبيين ، الا أن الروايات المحلية تشير الى أن « الداء » أتى مع بحار اسباني في القرن التاسع عشر ، وأن هذا البحار كان قد اختلط بعدد من النساء من أهالي القرية ، وأنجبن منه أطفالا ثبتت اصابتهم بالداء فيما بعد ، ومع أن كثيرا من الشكوك تثور حول صحة هذه الرواية ، الا أنه يكاد يكون من الثابت تاريخيا أن الداء موجود في القرية منذ عام ١٨٣٠ ، ولكن لا أحد يعلم مصدره ، كما أن احداً لا يعلم الكيفية التي انتقل بها اليها .

وتساؤل آخر يطرح في هذا الصدد : ما الذي جعل أهالي قرية سان لويس يصرون على البقاء في قريتهم المريضة ، وعلى التزاوج فيما بينهم عبر أجيال

عذيدة ، رغم معرفتهم الأكيدة باحتمال الاصابة بالداء ؟ انه سؤال طرح على الأهالي أكثر من مرة ، . . ودائماكانت الاجابة هي نفسها : أسراتنا هنا . . أصدقاؤنا هنا . . والسمك أيضا كثير هنا ! ويبدو أن استيطان المرض في سان لويس جعل القرى والمدن المجاورة ترفض القادمين من تلك القرية « المخيفة » ، وتوصد الأبواب في وجوههم ، ومن هنا أيضا كان من النادر أن يرى شخص غريب يعبر طرقات سان لويس ، الأمر الذي ساعد على انغلاقهم على أنفسهم وعلى تكتلهم واختلاطهم الشديد فيما بينهم .

جمع العينات :

في صباح اليوم التالي بدأت الجموع تتوافد على عيادة القرية . . أمهات وجدات يحملن أطفالا على أيديهن ، ويتبعهن أطفال آخرون متفاوتو الأعمار ، وما أن انتصف النهار حتى كانت العيادة تغص بالأهالي . . وبدأ الفريق المكون من ستة أشخاص عملا جادا لانجاز المهمة ، وفي وسط هؤلاء جلست نانسي وأمامها قوائم الأسماء ، وأنابيب العينات الفارغة . . وكانت مهمتها أصعب المهام كلها ، فقد كان عليها أن تحدد الشخص الذي يصلح لأخذ العينة من دمه ، وهذا يتطلب أسئلة واستفسارات كثيرة ، كما يتطلب عودة الى الأوراق الطويلة الملصقة على الجدران ، للتحقق من صلة هذا الشخص بالمرض أو المشتبه بأنهم كذلك . .

وفيما كانت نانسي تقوم بعملها المضني هذا . . كان هنالك باحثون آخرون يعملون على صعيد آخر . . كان هنالك الدكتور (ماريا) اختصاصي الوراثة في جامعة أنديانا ، الذي كان يجري اختباراته على بعض الأشخاص لتقييم حالتهم النفسية ، والتحري عن أي تبدل في قدراتهم العقلية ، مما قد يشير الى احتمال بدء المرض عندهم ، وكان هنالك أيضا الدكتور « سيمون » اختصاصي الأمراض العصبية في جامعة مينيسوتا ، الذي كان يقوم باستجواب أفراد أسرات جديدة ، بغية اضافة فروع أخرى للشجرات المستمرة النمو ، وكان هنالك أيضا الدكتور « ايرا » اختصاصي الأمراض العصبية في جامعة روشستر ، الذي كان يجري الفحوص العصبية السريرية لتقييم الحالة العصبية للمرضى وللأسوياء ، في محاولة للكشف عن أية علامات عصبية باكرة للمرض . . فريق متكامل : كل واحد من أفراده يعمل في ميدانه بحماسة الجندي المؤمن بقضيته ، والذي يعتزم الا يلقي السلاح حتى يحقق النصر ويبلغ القصد . .

وغدا يشرق فجر جديد :

ومع نهاية شهر مارس / آذار من عام ١٩٨٤ أنهت الحملة مهمتها ، وعادت الى موطنها ، بعد أن تمكنت من جمع ما يزيد على مائتي عينةمن الدم ، ليصبح مجموع ما حصلت عليه خلال الحملات الأربع قرابة ثمانمائة عينة ، عادت الى موطنها . . لا لتستريح ، وانما لتدخل معركة جديدة ، تحقق فيها للعلم والطب نصرا جديدا تذكره الأجيال ، ويستريح به المعذبون على الأرض . .

تلكم كانت قصة التعرف على المرض المأساة . . أما تتمة القصة وأعني بها قصة التوصل الى علاج يريح ضحاياه والمعذبين به ، فان خيوطها تنسج الآن في دأب وصمت ، وعسى أن تكون في الغد القريب خبرا ينشر وبشرى تذاع . □

■ **لا وصول الى ساحة السعادة ، الا من أحد أبواب ثلاثة : الايمان والفن والحب (يحيى حقي)**

■ **أن ترى ما هو حق ، ثم لا تعمله ، فهذا دليل على فقدان الشجاعة (كونفوشيوس)**

أرقام

بقلم : محمود المراغي

البعض يفضلها غير عربية . .

نقول : « تسعة أعشار الرزق فى التجارة » . .
ونقول : « ان التجارة مهنة عربية قديمة ، وان قوافل التجارة العربية لعبت فى يوم ما الدور الأول فى التواصل بين أجزاء الوطن العربى . . شماله وجنوبه . . شرقه وغربه . .

و . . مع السلع ، كانت تنتقل الأفكار والأخبار . .

خارج المنطقة العربية لعبت التجارة ، كما لعبت الحدود المفتوحة دورا كبيرا فى تنشيط الانتاج ، وخلق روابط الصلة بين أجزاء المنطقة الجغرافية الواحدة . . حدث ذلك فى غرب أوروبا ، وبدرجة متزايدة بعد انشاء السوق الأوروبية المشتركة . . وحدث فى شرق أوروبا فى ظل سوق مشتركة أخرى ونظام اقتصادى مختلف . .

وفى كل الأحوال كانت التجارة قناة تحمل رغبات المستهلك ، وتحيلها الى قرارات فى مراكز الانتاج . . . وكانت ـ على الجانب الآخر ـ تعبيرا صادقا عما وصلت اليه القدرة الانتاجية . .

والسؤال :

هل تلعب التجارة العربية فى الوقت الراهن هذين الدورين المتميزين . . دور التواصل ودور تنشيط وتوجيه الانتاج ؟ . .

هل لعبت التجارة العربية ـ مثلا ـ دورها فى ربط أجزاء الوطن العربى ، بحيث يصبح نسيجا واحدا تكون التجارة أحد شرايينه . . ؟ . .

وهل ساعدت هذه التجارة ـ فى الحقبة الأخيرة ـ على تنمية عربية ، توفرت مواردها المالية فى معظم الأحوال ؟ . .

الأرقام تصدم العين والعقل والسمع . .

فى ندوة أخيرة للمؤسسة العربية لضمان الاستثمار وغرفة الكويت التجارية أذيع الرقم . (٩٢,٥) بالمائة من تجارة العرب تتجه للعالم الخارجى . . . , (٧,٥) بالمائة فقط تتجه عربيا ، وذلك كمتوسط علم للسنوات العشر الأخيرة

فى التفاصيل يقف العرب بين أكبر المستوردين فى العالم . .

وفى التفاصيل تبدو المجموعة العربية أشد اعتمادا على الآخرين من أى مجموعة دولية أخرى . .

وبتحديد أكثر ووفقا للتقرير الاقتصادى العربى الموحد فان واردات العرب الزراعية قد ارتفعت من ٧,٧ مليار دولار عام ١٩٧٦ ، . . الى ٢٤ مليارا عام ١٩٨٢ . . بينما ظلت الصادرات الزراعية فى حدود ٣ ـ ٣,٤ مليار . . ! .

أيضا ، وفى التفاصيل تبدو الحقيقة الغريبة ، وهى أن الوطن العربى الذى يملك مساحات زراعية شاسعة ، وله تاريخ طويل فى تربية الأغنام،استورد

عام ١٩٨٢ (على سبيل المثال) :

** (٧٧) بالمائة من واردات العالم كله من الأغنام والماعز .

** وثلث واردات العالم من لحوم الدواجن .

** و (٢٧) بالمائة من البيض الذى يستورده العالم .

** و (١٧) بالمائة من القمح و (١٨) بالمائة من الحليب .

** و (وفى الأرقام الاجمالية) يستورد نحو (٨) بالمائة - من واردات العالم الزراعية و(١٥) بالمائة من واردات العالم الغذائية .

وبالطبع فان معظم هذه الواردات من خارج الوطن العربى . . !

نحن اذن نتجه عبر الحدود البعيدة . . حتى فى الغذاء ، وبما يضاعف تكلفة الاستيراد نتيجة النقل الطويل . .

ونحن اذن لا نتعامل مع الذات . . الا فى أضيق الحدود . .

وحين نتأمل الأوضاع نجد اطارا سياسيا يجمعنا اسمه : الجامعة العربية ومجلسها الاقتصادى . . ونجد اطارا اقتصاديا يجمع أكثر من ثلثى العرب ، وهى اتفاقية الوحدة الاقتصادية . . ونجد سوقا مشتركة ينضم لها أكثر من نصف البلاد العربية . . وأكثر من ثلاثة أرباع عدد السكان . . ! .

أيضا ، نجد هجرة داخلية واسعة بين أجزاء الوطن العربى . . ونجد اتصالا بشريا كثيفا . .

و . . مع ذلك فالنتائج : قدر محدود من التعامل التجارى . . !

بالمزيد من التحليل نجد أن هناك حدودا مفتوحة وحدودا مغلقة . . والحدود المفتوحة تضم - فى معظم الأحوال - البلدان ذات الكثافة السكانية الكبيرة ، والقدرة المالية والاستيرادية الصغيرة . . وعلى العكس فان الحدود المغلقة التى لم تشملها السوق العربية المشتركة ، تضم على الأرجح البلدان ذات القدرة المالية والاستيرادية الأكبر . .

لقد نادينا فى الخمسينيات « أن اتحدوا » . . وكان أمامنا نموذج وليد هو السوق الأوروبية المشتركة . . وحينذاك قلنا : « هاهى أسباب النجاح قائمة . . وحدة جغرافية . . وسوق متسع . . وقومية واحدة » . . وقلنا : ان ازالة الحواجز الادارية والجمركية والنقدية بين البلدان العربية كفيلة بأن تحقق انسياب السلع والأموال والأفراد بين أجزاء الوطن العربى . .

ولكن . .

وبعد سنوات من التطبيق لم يحدث ذلك الانسياب . . فتحنا الحدود فى عدد كبير من البلدان ، ولم تتدفق السلع أو الأموال . . وأصبح واضحا أن هناك عاملا ثانيا فى انكماش التجارة « العربية - العربية » . . وهذا العامل هو قضية الهيكل الاقتصادى ، وما يفرزه من سلع . .

لقد انفتحت بعض الأبواب وتوفرت بعض التسهيلات . . لكن السلع لم تمر ، وكان أحد الأسباب : فقدان الانتاج الصالح للتبادل . . . فالهياكل الانتاجية لم يتم تطويرها لتفرز ما يسد حاجة قائمة . . . والتكامل الاقتصادى لم يتحقق ليصنع التشابك الضرورى الذى تتوزع فيه الأدوار بين مختلف البلدان ، ليستفيد كل منها بتخصص قائم وسوق متسع .

لقد قدنا الاقتصاد العربى بسياسات قطرية ، ولم نقده بسياسات قومية . . ومن هنا كانت المأساة : بين كل أربعة عشر دولارا ندفعها للشراء من الخارج . . ندفع دولارا واحدا للشراء « العربى - العربى » . . لأن البعض وفى مجال السلع يفضلها غير عربية . .

أليس ذلك واحدا من وجوه المأساة ؟ . .

أظن ذلك . . □

●

الأمل .... والنوم

يقول الفيلسوف الفرنسي فولتير : ان السماء أرادت أن تعوضنا عن بعض ما ابتلتنا به من محن في هذه الحياة ، فمنحتنا الأمل من جهة والنوم من جهة أخرى .



الموت في معجم حجازي الشعري

بقلم : الدكتور غالي شكري

ليس المعجم الشعري خلاصة لغوية لتكرار المفردة في القصيدة الواحدة ، أو في عدة قصائد أو في مجموعها ، وانما هو الرصيد المتحرك من المفردات والأوزان والصور والمتخيلات الثقافية الأخرى . ليس المعجم جدولا من الاحصاءات ، وانما هو أقرب الى الخط البياني الشامل ، الأكثر شمولا من تسجيل درجات الحرارة ، أو عدد ضربات القلب . . ولكنه الأقرب الى تحليل العلامات الفارقة والبنى والجذور .

هل لهذا « المعجم الشعري » أية أهمية في تقويم الشعر ؟

في ظني ، أنه في مجال تأصيل الظاهرة الشعرية يتحول « المعجم » الى مقدمة ، بعد أن كان احدى النتائج . أي يتحول الى أداة منهجية في النقد ، بعد أن كان خلاصة تحليلية للتصنيف .

هيكل القصيدة هو توصيف وتصنيف ، يؤديان بنا الى معجم الشاعر ، ولكن هذا المعجم الذي حصلنا عليه ثمرة للتشخيص ، يعود فيقودنا ، ويصبح هو بوصلتنا في الابحار الى رؤيا الشعر .

اطار مرجعي

أي أن المعجم نتيجة ومقدمة في آن ، غاية ووسيلة . . وهو حركة دائمة التحول ، ليس سجلا

ثابتا لبعض الرموز ، ولكنه « الاطار المرجعي » على أية حال . . ولا يبقى ثمة مبرر لاستباق « التحليل » بلوحة كاملة الأوصاف الاجتماعية والسياسية والثقافية لبيئة الشاعر وعصره ، حينذاك لن نحصل على أكثر من المصادرة على المطلوب ، ولكن المعجم الشعري كاطار مرجعي هو الذي سيهدينا سواء السبيل الى البيئة والعصر والثقافة ، لا كشعارات على الجدران ، وانما كمشاعر وشعائر تتحلى في رؤ يا الشعر والشاعر .

هذا المعجم اذن ، هو كالشاعر نفسه ، خاص وعام . . وهو أبعد مايكون عن الانثروبولوجيا الثقافية ، وبالتالي عن النموذج المسبق في البنيوية ، وأيضا أبعد ما يكون عن التبسيط الميكانيكي لفكرة الانعكاس من أسفل (حيث التكوين الاقتصادي - الاجتماعي) الى أعلى (حيث البنى الفوقية من ثقافات وآداب وسياسات وحقوق وفنون) . . فالمعجم الشعري شديد الاتصال والاستقلال ، متصل بما هو أعلى وما هو أسفل ومستقل عنهما ، ولذلك فهو يملأ الفجوة المتوهمة بين داخل العمل الشعري (المقصود هنا : الفن عموما) وخارجه ، ولا يعود صحيحا أن هناك نقدا - أدبيا - من الداخل ، وآخر من الخارج .

وانما تصبح أمامنا في الطريق من هيكل القصيدة الى معجم الشاعر ، ومن هذا المعجم الى رؤ يا الشعر ، عدة مفارق لابد من اجتيازها ، منها : الأصول الاجتماعية أو (اللاوعي) : وبالطبع فالأصول الاجتماعية المعنية هنا بوضوح ليست الأصول الشخصية للشاعر ، وانما أصول حركة القصيدة كايقاع وتشكيل ودلالة ، هذه الأصول هي « اللاوعي » الابداعي في معناه البعيد كليا عن التحليل النفسي عند فرويد ، أو العقل الجمعي عند يونج ، أو الابداع الجماعي عند جولدمان .

أصول، تراثية وأخرى معاصرة

أولاً هذه الأصول أيضا ليست مجموعة من القيم،ولا هي رواسب من الأعراف الاجتماعية القديمة ، وانما هي جملة التحولات الايقاعية والتشكيلية والدلالية التي وصل بها التراكم عبر التاريخ داخل الشاعر وشعره ، الى حصيلة نوعية من الخبرة « اللاواعية » الى ما قبل عملية الخلق ، حيث تتفجر هذه الخبرة وتطفو و « تبدع » وعيها الجمالي الفريد .

ثانيا - الأصول التراثية : وليس المقصود هنا هو الحافظة الشخصية للشاعر وما تحمله من تراث الأقدمين . وانما المقصود ، هو ما يملأ الذاكرة من قيم معيارية ، تبقت في المخيلة التاريخية للشاعر ، وهي الغربال الواسع الثقوب . . هذا النوع من الذاكرة - ان شئنا التبسيط - هو الذي يجعل المرء ينطق لغته نطقا نحويا صحيحا دون لحن ، ودون معرفة بالقواعد النحوية معرفة دقيقة أيضا . ولكنها في الابداع - الشعري خاصة - تتجاوز هذا التبسيط الى ما هو أعمق ، الى تطويع المفردات والتفاعيل والقوافي وحروف الروى ، لما يطمئن الشاعر الى أنه الشعر ، مهما اختفت منه أو أضيفت اليه من ضوابط اعرابية أو موسيقية « شرعية » أو « غير معتمدة » .

ثالثا - الأصول المعاصرة : وهي التي تقوم بدور « الوعي » الشعري وليس الوعي السياسي أو الاجتماعي ، وانما هو الوعي « المعاصر » ، وكما أن الأصول الاجتماعية أو التراثية لاتعني « الماضي » فان الأصول المعاصرة لاتعني « الحاضر » ذلك أن « اللاوعي » و « الذاكرة » والوعي لاتشكل في المعجم الشعري عناصر الزمن ، وان شكلت عناصر الحركة في تكوين الشعر . والحركة زمانية ولكنها ليست الزمن ، فهي أيضا حركة في المكان ، والفضاء ، والطبيعة ، والانسان . والأصول المعاصرة ، أو الوعي ، في معجم الشاعر ، هي جملة الأفكار والسلوك والتصورات والفروض التي تتفاعل ابداعيا في شعره ، أي داخل حركة القصيدة .

رابعا - ويبقى عنصران هما السباق والتركيب اللذان يصوغان ، ويصوغهما النسيج اللغوي . المفردة ، الدلالة ، الرمز ، ثالوث التغير الوزني والذهني والبصري والقيمي من شطر الى آخر ، ومن فقرة الى أخرى ، حتى اكتمال « الروح » في القصيدة ، فتولد ، وتبدأ حياتها للمرة الأولى خارج ظنون الشاعر وأمانيه .

هنا أستطيع القول ان المعجم الشعري لأحمد عبدالمعطي حجازي « يتكون » دائما ولا « يتحول »

أبدا ، يتكون في « الموت » و « البطولة » و « الوطن » ولا يتحول في « السفر » و « التقمص » و « الحلم » .

ليس الموت والبطولة والوطن مجموعة من المجردات أو المعاني أو الرموز أو « المحاور » أو « الموضوعات » أو « القضايا » التي شُغِل بها الشاعر طوال الأعوام الثلاثين الماضية ، وانما هي حصاد الأصول الاجتماعية والتراثية والمعاصرة في شعره ، أي عناصر العمل الابداعي التي تفاعل بعضها مع البعض الأخر ، اللاوعي والذاكرة والوعي . . تلك هي المكونات الأساسية لمعجم الشاعر ، أما السفر والتقمص والحلم ، فهي من أدوات النسيج ، وليست خيوطه .

لن نحاول هنا اذن احصاء مفردة « الموت » ومشتقاتها وظلال معانيها وانما سنحصي عدد مرات « حضور » الموت وأشكال تجليه ، وما اذا كانت ثمة علاقة تربط هذه التجليات وذاك الحضور ، بالعنصرين الآخرين : البطولة والوطن . أي أننا لن نبحث عن المفردات الجذرية وفروعها ، وانما سنبحث عن الجذور ذاتها ، جذور الرؤ يا الشعرية .

اثنتا عشرة قصيدة يتجلى فيها الموت كحضور مكثف لاكقيمة معيارية نلاحقها بعدئذ في « البطولة » و « الوطن » بمعنى الشهادة .

هذه القصائد كتبها أحمد عبدالمعطي حجازي بين عامي ١٩٥٦ و ١٩٧١ ، ولكننا لسنا بحاجة لأن نؤ رخ كل « موت » فيها ، وانما سنثبت عناوينها دون أن يكون للترتيب أية دلالة زمنية ، انها .

١ ـ العام السادس عشر* .
٢ ـ لمن تغني ؟ .
٣ ـ الى اللقاء .
٤ ـ مقتل صبي .
٥ ـ بغداد والموت .
٦ ـ رسالة الى مدينة مجهولة .
٧ ـ يوميات الاسكندرية .
٨ ـ الموت فجأة .
٩ ـ الوجه الضائع .
١٠ ـ الموت في وهران .
١١ ـ مرثية لاعب سيرك .
١٢ ـ السفر .

لو شئنا « المحاور » أو « الموضوعات » لتساءلنا : ماذا يجمع هذه القصائد وفيها تجارب السياسة والحب ، وتأملات قد لا تشتمل على مفردة الموت أو معناه المادي المباشر ، أو حتى رموزه ، بينما يشتمل ديوان حجازي على الموت كمفردة تتكرر مترادفاتها وظلال معانيها في قصائد أخرى لم تدخل الاحصاء ، بالاضافة الى أن بين « قصائد الموت » المرصودة هنا ، ما يمكن نسبته الى عنصر البطولة أو عنصر الوطن (مثلا : بغداد والموت ، الموت في وهران) .

اننا في الحقيقة نبذل جهدا ضائعا اذا شئنا الاحصاء بمدلوله الكمي ، وانما نحن نبحث عن المدلول الكيفي ، أي عن الموت كأحد المكونات الأساسية في معجم الشاعر ، أو الموت كأصل اجتماعي في اللاوعي .

حالات الموت

ولعل قصيدة « بغداد والموت » تعني بحثا آخر عن اشاراتها السياسية ، ولكنها تعنينا هنا لسبب آخر .

« الموت ليس أن توارى في الثرى .
ولا الحياة أن تسير فوقه .
الزراع يبدأ الحياة في الثرى .
ويبدأ الموت اذا ماشقه .
فامنح هواك للذي يحيا .
وأعط للتراب ما استباحوا خنقه .
فلن تموت يامسيح ! انما
على الصليب ينتهي من رقه » .

هذا « التعريف » الفدائي الجهير للموت لايعني مطلقا أن المفردة كعلامة قد أصبحت دالا ومدلولا ، بل حسبه فقط أن يشير الى الدلالة في حالة كمون قبل ممارسة الطقس (الشعري ، الشعائري) . وهي الممارسة التي ترفض نهائية الموت أو « الارادة » في اللواذ به . الموت على هذا النحو ليس قدرا خارج الارادة ، والرغبة ، والحاجة الانسانية ، والا

* يعتمد الباحث على « مجلد أعمال أحمد عبدالمعطي حجازي » الصادر عن دار العودة في بيروت ١٩٧٣ .

ما كانت مقاومته ممكنة . ومقاومته اذن ، هي مقاومة الرغبة فيه أو الحاجة اليه ، هي مقاومة شيء ما داخل الانسان ، الموت في هذا الاطار المرجعي ليس كينونة مستقلة يدور معها الصراع ، الموت « حالة » تتخلل الأشياء والناس ولا تعتزلها . انها في الغصون العارية لأشجار التوت الخالية من الورق .

« ونعوش النور تمشي .
وهنا كما قلت آه .
كنت أهوى أن أموت .
أنتهي في عامي السادس عشر »

. . . .

« أصدقائي
ها هي الساعة تمضي
فاذا كنتم صغارا ، فاحلفوا ألا تموتوا
واحذروا عامكم السادس عشر »

والعام السادس عشر ـ عنوان القصيدة ـ يمكن أن يكون أي عام ، عام الحب ، أو عام الحرب ، عام الصبا ، أو عام الكهولة ، أي عام « يتخلله الموت » وكأنه عام « النهاية »أو الخاتمة التي يريدها صاحب العام أو يرغب فيها ، سواء كان هذا الصاحب فردا أو شجرة أو معنى أو وطنا ، ولذلك فحين يتساءل الشاعر « لمن تغني ؟ » ـ عنوان القصيدة ـ فانه يجيب نفسه « كي لايحب الموت انسان على هذا الوجود » .

غير أن ضمير المتكلم الذي ظل « يغني » كأنه يصلي حتى يخرج شيطان الموت من الجسد الذي يدفئه ، فجاءت القصائد في هذا الاتجاه كالابتهالات تنشد الصدى فلا يستجيب ، سرعان ما اقتحمه الشك ، كانت أشجار التوت والزرع والتراب ، هي المادة الشيئية الخام التي « يروى عنها » ضمير المتكلم ، لأن الصمت كان المخاطب .

الآن ، وقد اعتوره الشك ، لم يعد الموت مجرد ارادة أو رغبة ، وانما كائنا حقيقيا لابد أن يدور بشأنه حوار :

أليمة « الى اللقاء » و « اصبحوا بخير »
وكل الفاظ الوداع مرّة
والموت مرّ
وكل شيء يسرق الانسان من انسان »
(مطلع قصيدة « الى اللقاء ») .

يصبح الوداع المؤقت تذكيرا بوداع آخر لايفلت منه أحد ، بل هو يسرق الآحاد من بعضهم البعض ، وطالما أصبح الموت كائنا مستقلا ـ وليس ارادة انسانية ـ فان ارتباط الذات بالآخر يحقق الحوار المستحيل بين الغائب والمخاطب ، وتنشأ مبكرا بداية الحكاية الدرامية في شعر أحمد عبدالمعطي حجازي ، فهي الأقدر على تشخيص هذا الأصل الاجتماعي أو اللاوعي ، ومطاردته الى لحظة التحقيق . لايهرب المغني بل الساحر ، يتوقف الابتهال ، وننتقل من خضرة الحقول :

« والبحر ألوان تموت . . كلما ضاق المساء

. . . .

ونحن في المقهى نموت »
عن « يوميات الاسكندرية »

الموت المشخص اذن لايختص النوع البشري ، وانما الطبيعة الكونية ذاتها ، ففي ضوء النهار تتعدد ألوان الماء ، تتكلم ، تحيا ، وفي المساء تتوحد ، تصمت ، تتلاشى ، تموت مثلنا ونحن في « المقهى » اننا نموت في الحياة كموت الألوان في الليل .

حجازي لا ينتقل بشعره من الموت كحالة الى الموت ككائن ، ولا من الأغنية الى الدراما ، انه لاينتقل من « مرحلة » الى أخرى ، وانما هو يكشف أوراق هذا « اللاوعي ـ الأصل الاجتماعي الرابض في أحشاء رؤ ياه ـ ورقة ورقة أو قصيدة قصيدة . لذلك فما يزال الموت يتخلل الأشياء والناس كحالة « تتقمص » الشيء أو الانسان ، ويبقى الموت كائنا مستقلا ذا سيادة على حركة بقية الكائنات التي يتحتم عليها « السفر » ، هذا الكائن يتوحد والارادة ، فينهي عزلة المغنى ، ويقتطع من الجوار حساسية الشك ، ويضفي عليه ألوان الأكفان والمقابر ، فاذا بها ألوان الوطن . الوطن ـ المكان ، والوطن ـ الزمان ، ومن ثم فهو الوطن ـ الصيرورة .

و « المدينة » هي المكان والزمان ، حتى لو كان الموت في غيرها ، لأنها في معجم الشاعر مدينة الموت :

« الموت في الميدان طن .
الصمت حط كالكفن .
وأقبلت ذبابة خضراء .
جاءت من المقابر الريفية الحزينة .
ولولبت جناحها على صبي مات في المدينة .

فما بكت عليه عين » .

(عن مقتل صبي »

انتصب الموت كالتمثال في الميدان ، والميادين في بلادنا تعرفها المدن لا القرى ، ولأن الموت وقع في هذا المكان ، فقد كان له « طنين » ولكن الصمت كان غطاء الصبي الذي مات دون أن تبكيه المدينة ، وانما القرية هي التي أرسلت ذبابتها الخضراء من مقابر الريف الحزينة ، هذه المقابر التي يدعوها في « رسالة الى مدينة مجهولة » بـ « مدينة الموتى » وهي قصيدة الشاعر في رثاء والده ، ومنذ البداية فلولا « المدينة لاستطاع أن يودع أباه قبيل الغياب ، ولكنه لم يستطع ، وهي مدينة « من الزجاج والحجر » لم يقع الموت هذه المرة في المدينة ، ولكن المقابر أينما وجدت هي « مدينة » الموت ، وفي « الموت فجأة » (ص ٣٥٥) ـ كما في قصيدته « لا أحد » ـ والتي لاعلاقة لها بالموت ـ تزدحم المدينة بالبشر ، وتخلو من البشرية في آن ، في « الموت فجأة » يدفع السلب الى الاحتمال الأكثر رجحانا .

« تصوروا لو أنكم لم تحضروا
ماذا يكون . . ؟
أظل في ثلاجة الموتى طوال ليلتين
يهتز سلك الهاتف البارد في الليل يبدأ الرنين
بلا جواب . . مرة . . ومرتين » .

نقاء المدينة والريف

وفي قصيدة « لا أحد »

« لو أنني ـ لاقدر الله ! ـ أصبت بالجنون
وسرت أبكي عاريا . . بلا حياء
فلن يرد واحد على أطراف الرداء
. . . .
هذا الزحام . . لا أحد »

ولا تصبح المدينة في هذا الاطار مدينة الموت ، بل هي الموت ، فالأم الريفية الحزينة كيف تسير وحدها في هذه « المدينة » وياليتها وشمته في اخضرار « ساعده »

« حين أرى أن الحياة قد خلت من الجنون .
ورف فوق الكل طائر السكون .
أحس أني مت فعلا ، واضطجعت صامتا
أرقب هذا العالم الفاني »

من « الذبابة الخضراء » الى « الوشم الأخضر » مرورا بالاستباق المتخيل « لو أنني . . لو أنكم » الى تمثيل الموت لمراقبة « العالم الفاني » ـ هو المدينة ؟ ـ يتجلى الأصل الاجتماعي (اللاوعي) للموت كمفارقة مأسوية بين الحضور والغياب ، في كل من الريف والمدينة ، كزمان ومكان معلقين . واستدعاء الفانتازيا في حرف « لو » يخفف من غلواء الشعور ، ولكنه يزيد من درامية الحكاية الفاجعة . وفي « الوجه الضائع » يبرز العنصر الحكائي فيضم « التذكر » و « البكاء » الى عناصر الأصل الاجتماعي ، حتى لتبدو الوحدة في زحام المدينة حضورا ناقصا يستلزم البحث والمعاناة .

« عدت الى بكائه . . وهل لذكراه .
غيري ؟ ومن بعدي سيلقاه
اذا أتى من عالم الموتى يزور الذكريات
أجيب نفسي . . لا أحد »

« لا أحد » ، أو الخواء الذي يتردد صداه بين جنبات المدينة الفارغة ، رغم الزحام أو بفضله . وتبدو الأرض كما لو كانت مرادفا للقرية وحدها ، وتبدو كما لو أنها رحم الأم في شوق لاستعادة الابن الضال ، الذي لا يقل اشتياقا للعودة الى « الأصل » . هكذا يتجلى « الموت في وهران » وفي « مرثية لاعب سيرك » وفي « السفر » . حالة تتخلل الأشياء والناس ، وكائنا مستقلا متوحدا بالارادة وفيها . هذا الكائن وتلك الحالة يفرضان على معجم الشاعر كافة الأشكال اللغوية والبيانية ، ذات العلاقة بالجذر أو الأصل الاجتماعي أو اللاوعي ، بدءا من مجموعة الخرافات الريفية والنقوش الدينية والعادات الفكرية ، والسلوكيات العفوية الممتدة في وجدان الفلاح المصري ، وتلافيف مخيلته الجمالية ، وتصبح علاقة الزراعة أو الندب أو التعديد والذبابة الخضراء والوشم وقماش الكفن بالموت ، علاقة جمالية تتداخل في اختيار المفردة والوزن وتركيب الشطرة والفقرة ، ونسج ألوان الفانتازيا أو التراجيديا ، وتشكيل ايقاعات الأغنية والحكاية الدرامية . حتى اذا عاد « الابتهال » من جديد ومعه الغناء ، لايتخلى الشاعر عن رصيد الأصل الاجتماعي .

« وانتظمت أقدامهم في الذى

يسيِّر الريح ، ويسقي الزروع
ويجعل الموت أليفا كما
لو كان وجها آخر للطلوع »
. . . .

« القمر اللاهب في كفّه
ياقوتة مسقية بالنجيع
والوقع من أقدامه غنوة
أوتارها كل الرُّبا والنجوع
والموت أن يقبل اليه انحنى
مستأذنا ، وقال . . آن الهجوع » .

يعود « الراوي » متحدثا رسميا باسم الموت الذي يتوسل بمختلف الديكورات المنتصبة سلفا في المخيلة الابداعية ، القمر والرابية والنجع والياقوتة . تسقط أوراق الخصومة المرتبطة في اللاوعي « بالشر » ليصبح الموت أليفا متحضرا ينبه السيد مستأذنا أن هجوعه قد حان ، ذروة اللقاء بين الحالة والكائن ولكن الالتحام نفسه لدرجة التوحد لايعني تسليم الطهر لحائط الاعدام . لأن ثغرة ما في جدار الصمت تظل « مفتوحة » ، خافية عن العيون ، ربما ، ولكنها باقية بقاء الموت ، وكأنها شرطه الوحيد . ويمسي الموت ، على هذا النحو ، نافذة « الخلود » الوحيدة الممكنة ، أو هو « الفداء » انه الخطأ في « مرثية لاعب سيرك » : الجميل الجذاب ، الرشيق ، الجليل ، فربما كان الطاووس أو الأفعى أو النمر أو الأسد أو :

« حين تدور الدائرة !
يرتبك الضوء على الجسم المهيض المرتطم
على الذراع المتهدل الكسير والقدم
وتبتسم !
كأنما عرفت أشياء .
وصدقت النبأ » .

الموت والرؤيا

أضحى الموت جسرا الى « الجمال » و « الاكتشاف » أي الى الرؤيا ، معجم الشاعر الذي يلملم مفرداته من طرقات المدينة وساحاتها العامة ، حيث الموت هو القتل واقعا أو رجحانا (مقتل صبي لا « موت » صبي - لاعب السيرك « قتيل » لاميتا - الموت في بغداد قاتل) يشتمل على وحدات الأصل الاجتماعي في اللاوعي الجمالي : المدينة الموت هي القاتل المحترف ، كنظام اجتماعي للوطن ، تقتل البراءة والجمال والاكتشاف والحنين والذكرى والدموع ، تقتل حتى الذبابة الخضراء والوشم الأخضر ، تقتل الاخضرار ، تقتل أبوة الأب وبنوة الابن وأمومة الأم ، ومن هذه العلامات تنتصب في « السفر » مشانق الروح للقتلى الأحياء .

« انهم يأكلون لحم الصغار ،
ويخترعون مشانق للروح تستلها ،
ويظل القتيل يعيش ويغشى المقاهي ،
ويعشق زوجته ، وينام
ويكتب في جاره للمباحث نثرا وشعرا ،
وفي عينه جثث الأصدقاء ،
وفي فمه الكلمات القديمة »

هذا هو « كشف المسافر » وكأنه لم يسافر . الموت شرط الكشف وثمنه وأصله و « لاوعيه » .

« استرح يا طبيبي
ان دائي الاقامة
ودوائي السفر »

الارتحال على صعيد المعجم الشعري بنية جمالية ، لارمزا ، فقصيدة « الموت » في شعر حجازي ترتحل من المدينة الى المدينة كدائرة مغلقة ، من مدينة الأحياء القتلى الى مدينة الأموات الحبلى بالمقابر ، وسواء كانت القصيدة أغنية أو نشيدا أو حكاية أو دراما ، فانها دائرة نغمية وتشكيلية محكمة الاغلاق من صنع المفردات الحية الطازجة الشديدة الاستعمال في الحياة اليومية ، ومن صنع المخيلة الريفية العميقة الاستبصار بالغيب ، ومن صنع الهوية التي يخلعها الشاعر على مدينته ، نظامه الاجتماعي القاتل والقتيل .

هكذا تتجلى الأصول الاجتماعية للموت ، في الخبرة الجمالية اللاواعية ، التي تصوغ معجم الشاعر في اطار « الرفض » ، وهو الرفض الذي يلعب دورا اشكاليا ، في بناء المعجم الشعري لأحمد عبدالمعطي حجازي ، أعني عنصر « البطولة » ، فالرفض القاطع للمدينة ليس رفضا للموت في حد ذاته ، وانما هو رفض للبنية الاجتماعية التي أثمرت نقيضها ، البطل . فهل آن لمن يرفض المدينة أن يرفض بطلها ، أم أن بطل المدينة شيء وبطولتها شيء آخر ؟ . □



ديمقراطية

مصطلح مشتق من كلمتين (شعب وسلطة) ، ويعنى به حكم الشعب ، أو كما عبر ابراهام لنكولن « حكم الشعب لصالح الشعب بواسطة الشعب » أي اختيار الشعب لحكومته وغلبة السلطة الشعبية على هذه الحكومة .

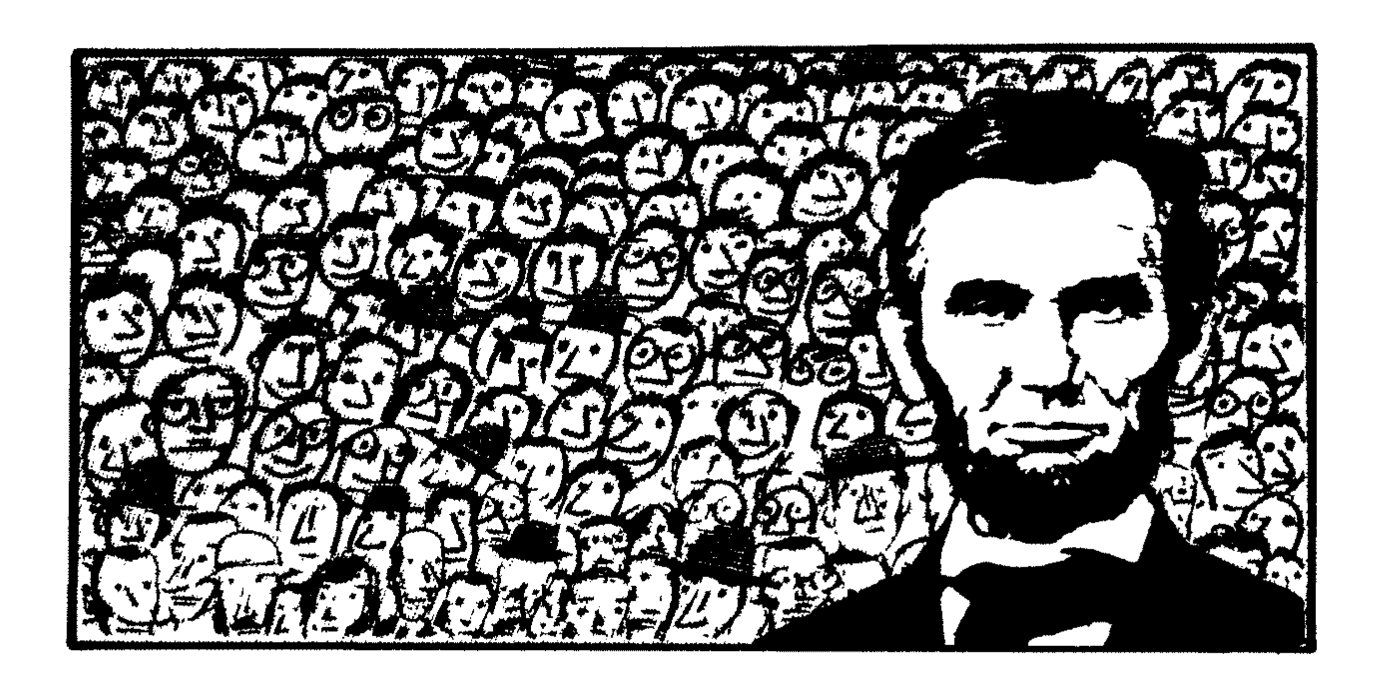
وفى الحقيقة . . فإن المصطلح الآن أكثر اتساعا وشمولا من معناه الضيق الذى بدأ به ، فوفق الاشتقاق اليونانى للمصطلح وبدء تاريخه فى ديمقراطية أثينا واسبرطة ، فإن المصطلح ينسحب بهذا المهم فقط على التفسير السياسى للكلمة .

وكان مونتيسكيو ، المفكر الفرنسى المعروف ، وصاحب نظرية الفصل بين السلطات الثلاث فى الدولة . . هو الذى أضفى على المصطلح معناه السياسى الذى مازال موجودا حتى الآن ، فوفق ما يرى مونتيسكيو ، فإن الشعب هو صاحب السيادة ومصدر الشرعية ، وبالتالى فإن الحكومة مسؤولة أمام ممثلى المواطنين وهى رهن ارادتهم ، ولكن اسهامات مفكرى القانون والعلوم السياسية بعد ذلك هى التي أكسبت المصطلح شموليته واتساعه ، الى أن أصبح يدل على النظام السياسى والاجتماعى الذى يضع مبدأى: المساواة بين المواطنين ومشاركتهم الحرة فى صنع وصياغة التشريعات التي تنظم الحياة - يضع هذين المبدأين - أساساً للعلاقة بين أفراد المجتمع .

ويرجع تعبير الديمقراطية الى نظم الحكم القديمة ، وأقدمها ديمقراطيات المدن الاغريقية ، وأشهرها ديمقراطية أثينا ، وتعرف أيضا بالديمقراطية المباشرة ، لأن المواطنين كانوا يجتمعون فى مجلس واحد ، وكانوا يتشاورون فى أمورهم ، ونظرا لقلة عدد المواطنين ، فقد كانوا لا يحتاجون الى اختيار نواب عنهم ، وهكذا منذ بدأ ظهور المصطلح لأول مرة في بلاد الاغريق ، فإنه ظل يخضع للتطور والاضافات ، فلم تظهر الديمقراطية بالمعنى الليبرالى الا فى القرن الثامن عشر ، حين حمل المفكرون الأوروبيون لواء الدعوة الى المساواة ، وحق الشعب فى اختيار حكومته ، والاشراف عليها ، وحملت دعوة المساواة في جوهرها حق مساواة المواطنين في التصويت ، اذ لم يكن كل من يعيش فوق أرض وطن ما - حتى ذلك التاريخ - يتمتع بكامل حقوق المواطنة المتعارف عليها الآن .

وتختلف المدارس الفكرية فى رؤيتها للديمقراطية ، فالديمقراطية فى النظام الأثيني هى ديمقراطية الأحرار ، وليست ديمقراطية العبيد ، والديمقراطية في النظام الرأسمالى هى مساواة أصحاب رؤوس الأموال فى الفرصة للسيطرة على الدولة وتوجيهها لمصالحهم ، وتبتعد بهذه المصالح عن مصالح العمال والفلاحين والأجراء . .

وترى المدرسة الليبرالية أن الديمقراطية تقتضى



تعـدد الأحـزاب ، وكفـالـة الحقـوق والحـريـات الأساسية ، ولكن فريقاً من غلاة الليبرالية يرون أن بعض النظم الديمقراطية التى تتيح تعدد الأحزاب ، وتكفـل الحـريات العـامة ، تـناقض الديمقـراطية الأصليـة ، لأنها بعد انتخـاب النواب فـإن الشعب تسلب منـه سلطة مـراجعـة حكـومتـه ، ويـرى الاشتراكيون - أن الـديمقراطيـة تستخدم فى النـظام الـرأسمـالى لتـدعيم النـظام الاقتصـادى وتكـريس آلياته . . وان المصـطلح ملىء بـالألفاظ المـطاطة . . فلفظة الشعب شديدة الاتساع . . وتداخل وسيطرة القوى الاقتصادية اقتصاديا واجتماعيا يجعلان تعبير الشعب ينسحب من كـل المواطنـين الى بعض قوى الرأسمالية .

ولهارولد لاسكى رأى جدير بالالتفات . . توصل اليه بعد دراسة النظام الامريكى ، والديمقـراطيات الـرأسمـاليـة الأوروبيـة ، يقـول لاسكى : ان الـرأسماليـة لاتسمح بـالديمقـراطيـة الا اذا كـانت الرأسمالية فى حالة ازدهار ونمو ، وعندئذ فانها لا تمانع فى منح بعض الحقوق السياسية الى الشعب ، ولكن اذا كانت الرأسمالية تمر بفترات انكمـاش وكساد ، فانها لا تتردد كما فعلت فى أزمة ١٩٢٩/ ١٩٣٠ أن تسحب تلك الحقـوق الـديمقـراطيـة ، وتشهـر الدكتاتورية سلاحا قاطعا فى وجه الشعب .

ومـن مجمـوع الانـتقـادات الـتى وجـهـت الى الـديمقـراطيـة الليبـراليـة ظهـرت الـديمقـراطيـة الاجتمـاعية ، وهى التى تـطالب بحقوق المـواطنين السياسية متوازنة مع تحقيق العدل الاجتماعى ، فالغاء الاستغلال والتأميم الشامل لوسائل الانتاج هو وحده الذى يكفل المساواة ، وربط أنصار هذه المدرسة بين الحـرية السيـاسية لكـل المواطنـين ، وبـين التقـدم الاجتماعى ، وبهذا - وحده - لاتصبح الديمقراطية - كما يقول أنصار هذه المدرسة - مجرد مشهد سينمائى يؤدى مرة فى كل عملية انتخابات ، ثم تنقطع صلة المواطنين بادارة شئون حياتهم حتى موعـد الاقتراع القادم . □

حكمـــــــة

قال أبو الدرداء : أنصف أذنيك من فيك ، فقد جعل الله لك أذنين وفماً واحداً ، وذلك لتسمع أكثر مما تقول .

العربي - العدد ٣٣١ - يونيو ١٩٨٦



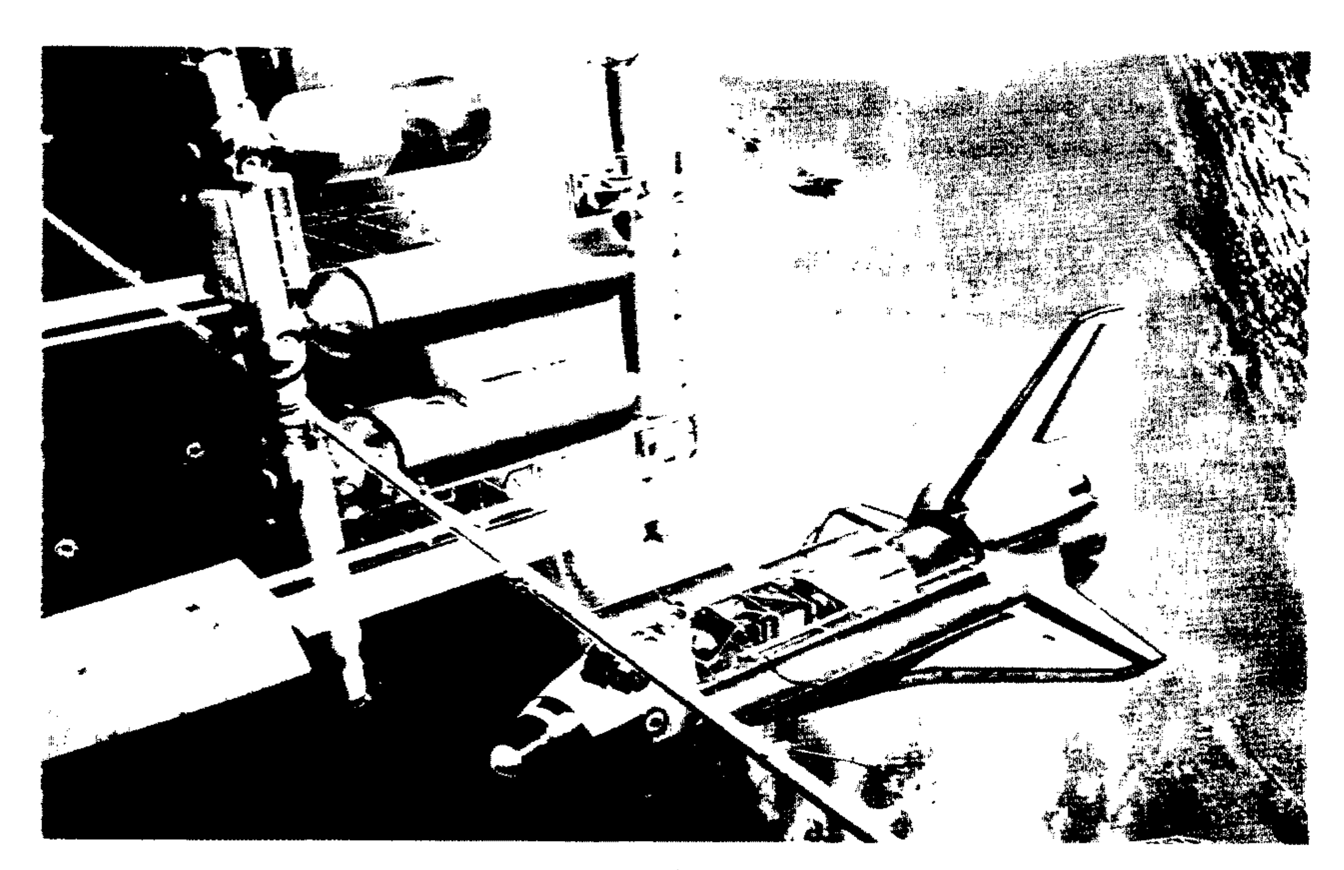
اعداد : الدكتور مازن المغربي

ان تصدير محاسن حضارتنا الى مايقرب من مائتي مليار نجم ليس بالامر الهين ، فالمسافات بين الكواكب المختلفة هائلة جدا ، وستستغرق كل رحلة باتجاه نجم ما ، عشرات بل المئات من السنين ، وهذا يعني أن الذين يسعون جاهدين الى استعمار الفضاء لن تتاح لهم الا رحلة واحدة محددة ، وستكون رحلتهم هذه بلاعودة .

بتاريخ ٢١/٧/١٩٦٩ وطأت أرض القمر ، أقدام ثلاثة من معاصرينا ، عندها قرر سكان الأرض من الذين انهكهم السفر في رحلات مابين الأرض والفضاء ، ايجاد موطىء قدم ثابت لهم في الفضاء .

لم تؤيد الفئات العسكرية الأمريكية هذا المشروع ، لأنها أيقنت ان مثل هذا المركز سيكون عرضة للهجمات المعادية . ولم يتم تبني هذا المشروع . الا بعد تدخل شخصي من الرئيس ريغان ، وعلى اثر ذلك تبنت السلطات العسكرية الأمريكية المختصة موضوع اقامة المحطة المدارية (بالرغم من أن ذلك يعتبر من الحلول العملية) ومن المفترض أن يتم تحقيق هذه المحطة عام ١٩٩٢ ، وذلك على بعد (٤٠٠) كم من سطح الأرض وستكون هذه المحطة عبارة عن مركز لمراقبة الكون ، ويحتوي هذا المركز على مصنع ومختبر للأبحاث ، وقاعدة لتدريب المهيئين لاستكشاف الكواكب الأخرى في المستقبل ، اضافة الى اقامة محطة لارسال

* عن مجلة العلم والحياة للكاتبة آنا آلتر



محطات فضائية تمهيداً لاستعمار المجرات

مجسات ذاتية الحركة ، الى نجوم أخرى ، وستشكل هذه العملية الخطوة الأولى في الاتجاه الصحيح ، لكن هذه العملية مكلفة جدا ، اد ستصل نفقاتها الى مايقرب من ثمانية مليارات من الدولارات ، ويضاف الى هذا المبلغ نفقات الصيانة ، وهذا يعني رصد اعتمادات سنوية تقدر بمئات الملايين ، ولمدة لاتقل عن عشر سنوات .

التعاون مع الحلفاء

كانت الولايات المتحدة تأمل ألاتكون هي وحدها المسؤولة عن تمويل هذا المشروع فقد اقترحت وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) منذ عام ١٩٨٤ ، التعاون مع الحلفاء في الاسهام بالنفقات على ان تتحمل اليابان مبلغ مليار دولار ، وأن تتحمل دول أوروبا الغربية ملياري دولار ويبدو أنه لم يحسب ادخال السوفييت في هذه العملية . . . ! لكن الجميع يعرف ، أن السوفييت جادون في اقامة محطتهم الكوبية النموذجية الخاصة بهم وذلك قبل اطلالة عام ٢٠٠٠ .

لم تهدف الرحلات المطولة لساليوت (٧) ، الا الى التحضير الأرضي لانهاء صنع الصاروخ العملاق الذي سيرسل الى الفضاء . مع نماذج أكبر بكثير من الساليوت ، أظهرت اليابان حماسها للمشروع الأمريكي منذ البداية ، كذلك فعلت كندا ، الا أن دول أوروبا الغربية بقيت وحدها الجهة المتحفظة ، اد كان لديها مشروعات أخرى ، وقد دافعت فرنسا عن البرنامج الهادف الى تحسين صاروخ اريان القادر على قذف رجال الفضاء الموجودين داخل المركبة الصغيرة هرميس .

أما ألمانيا الغربية فكانت تتمنى تطوير مختبر فضائي أدبي اطلق عليه اسم (كولومبوس) وباختصار نقول : ان أوروبا الغربية تريد الاحتفاظ باستقلالها في مجال الفضاء ، ولكن ، وبعد أشهر معدودة من التفكير ، وبعد بضع صفقات ، تساهلت دول أوروبا الغربية ، وبتاريخ ١٩٨٥/٦/٣ وقعت اتفاقيات بين وكالة الفضاء الأوروبية (E.S.A) وبين (ناسا)

ونصت هذه الاتفاقيات على تكليف وكالة الفضاء الأوروبية القيام -وعلى نفقتها الخاصة - بانجاز وحدة مكيفة الضغط ، قابلة للاستعمال كمختبر فضائي ، أي المختبر (كولومبوس) . وذلك اضافة الى حامل عتاد ذاتي الحركة وغير مسكون ، أي مخزن عتاد وعربة خدمة ، مع وحدة تغذية مجموع وحدات المحطة الفضائية بالطاقة (كهرباء - تبريد - محروقات) .

الميكروجاذبية

عندما تكون محركات المحطَة الفضائية مطفأة ، تتصرف كجسم في حالة قصور ذاتي ، خاضع فقط الى قوة الجاذبية ، وتدور حول الأرض ، وكتلة المحطة ضئيلة جدا ، بحيث لاتشكل قوة جذب محسوسة خاصة بها ، وتسير الأمور كما لو أننا نقوم بعملية سقوط حر ، في قفص المصعد ، وتكون موجودات المحطة كمثل أشخاصها في حال انعدام الوزن .

وفي الواقع ، لاتتوازن قوى الجاذبية ، مع القصور الذاتي بشكل دقيق لأسباب عديدة ، وخاصة مايتعلق بتنقلات الركاب ، وحركة المركبة نفسها ، التي تسبب باستمرار حدوث تسارعات مشوشة ، ولهذا يفضل المختصون استعمال تعبير (ميكرو جاذبية) بدلا من تعبير (انعدام الوزن) .

وسيعمل الاشخاص الستة أو الثمانية ، الذين سيتناوبون باستمرار بالوجود في المحطة وذلك بعد اعتيادهم على الميكروجاذبية في مخبر واسع بشكل نسبي ، تحت ظلال سماء سوداء داكنة ، وفي ظروف بعيدة عن الاضطرابات الجوية .

وسيقوم الباحثون بدراسات فلكية في ظل أفضل ظروف ممكنة وسيتسنى لهم العثور على كواكب ، ان لم تكن مسكونة ، تكون على الاقل ، قابلة للسكن فيها .

ويستطيع الباحثون بعد تحررهم من الجاذبية الارضية ، مع امكانات توفر فراغ شبه كامل ، القيام بأبحاث على المعادن وفي مجال علم البلورة وفي الطب والصيدلة والبيولوجيا . . الخ . . وسيستفاد من هذه الأبحاث في الأرض ، كما سيستخدم البعض منها في ابحاث غزو الفضاء ، وتسعى كل من وكالتي الفضاء الأمريكية والفرنسية ، الى القيام بكل مايجعل الاقامة في المحطة الفضائية ممتعة للرجال والنساء الثمانية ، الذين سيشاركون في الاقامة ، وتكريس النفس للعلم والتقدم .

عادات الفضاء وعادات الارض

لكن توفير الراحة العصرية على ارتفاع (٤٠٠ كم) من سطح الأرض يطرح بعض المشكلات مثل الفروق الحرارية الكبيرة ، اضافة الى عدم وجود ليل أو نهار ولافوق أو تحت ، وأية حركة خاطئة ستقذف بمرتكبها نحو الحائط . . . ! وحتى أن مجرد الجهد المبذول خلال عملية استعمال سكين ، ستؤدي في حالة فقدان الحذر الى نتائج غير منتظرة ، كما أنه لاتوجد أية أسباب لكي يبقي الشيء الذي نضعه في مكان ثابتا في مكانه ، اضافة الى ان الأغذية ستلتصق بالشوك وستتحول السوائل الى كرات ، حتى عملية البلع ستتطلب مهارة فائقة ووفقا لتعابير رجال الفضاء ، وكأنك على الأرض تأكل ورأسك باتجاه الأسفل ، يضاف الى ذلك ضرورة العيش ضمن نطاق محصور ، والاختلاط القسري مع بقية المشاركين ، مما يؤدي الى مشكلات نفسية واجتماعية ، وتحاشي هذه المشكلات ، يرتكز على التدريب المستمر على احترام الآخرين مع محاولة الحفاظ ، قدر المستطاع ، على العادات الأرضية ، ويشمل هذا عطلة نهاية الأسبوع . وتشتمل ساعات العمل على أوقات فراغ ، وتعبأ بالتمرينات الجسدية ، وبالالعاب والقراءة ، ومشاهدة التلفزيون ولعب كرة الطاولة . . الخ . . ، وحتى عملية التغذية لن تكون بدون نكهة ، وسيتم الاستغناء عن الأغذية المسحوقة الموجودة في أنابيب الالمنيوم وكذلك عن الوجبات المقطعة والمغطاة بالجيلاتين .

أما وسط الحياة فسيكون قريبا من جو الأرض ، اذ ستتراوح الحرارة بين (١٦° - ٣٢°) ، ولتوفير الوزن سيتم نزع ماء نصف الأغذية ، مثل البيض المسحوق والهليون والدجاج الرومي ، في حين سيكون البعض الآخر من الأغذية ملفوفا بصفائح المنيوم ومحفوظا .

على سطح الأرض يبقي الدم في الأطراف السفلية بفضل الجاذبية ، وآلية توزيع الدم ، تعمد الى توزيعه على سائر الجسم بشكل متساو ، وفي غياب الجاذبية ،

تسير الأمور كما لو ان آلية التوزيع تسير بشكل غير متوازن ، وهذا يؤدي الى صعود الدم الى الرأس ، وهكذا يندفع من الدم كمية ليتر ونصف ليتر وحتى ليترين نحو قمة الجمجمة ، مما يؤدي الى ازالة التجاعيد والذقن المضاعفة ـ ان وجدت .

اذا كانت رائدة الفضاء شابة ، فان منظرها لن يكون أنثويا جميلا ، اذ أن وجهها سيكون منتفخا وأنفها محتقنا وجفونها ثقيلة وستصبح أطرافها المفرغة من السوائل أنحف جدا ، بحيث يصبح من الصعب عليها الوقوف ، وسيكون وجهها في استدارة البدر ، وسيقانها كأرجل الدجاج ، وعلى هذا الأساس ستفقد رائدة الفضاء كل جمالها وسحرها ، ومع ذلك تسعى الناسا الى تسهيل العلاقات المحتملة بين الرجال والنساء ، الذين يتراوح عددهم بين الستة والثمانية ، ويشكلون طاقم المحطة الفضائية ، وتقترح اخصائية علم النفس ، اقامة غرفة مغلقة ومعزولة أو وضع جدار متحرك لأن نسبة الرجال والنساء لن تكون متساوية أو ثابتة ، في المحطة الفضائية ، ومثل هذا النظام يتلاءم مع الأوضاع المحتملة .

القمر أول المستعمرات

ان أرض القمر غنية خاصة بالتيتان والسيليسيوم والألمنيوم ، والأوكسجين ، اضافة الى العديد من المواد الضرورية لصنع الياف الزجاج ، والعديد من هذه المواد سيكون مفيدا جدا بالنسبة الى مستعمري الفضاء ، وذلك لعزل مساكنهم ، اذ أن وضع المنازل في الأعالي ليس بالامر السهل فعلى الارض يقوم الحقل المغناطيسي بحرق معظم الجسيمات المشحونة بالكهرباء ، التي تقصف أعالي الجو باستمرار وذلك يحمينا من الاشعاع الكوني ودون هذا كانت الجسيمات ستدمر ترتيب الجزيئات ، ويشكل ذلك الخطر الجسيم بالنسبة للأنسجة الحية ، فكل جسيم كوني يعتبر خلية ، يشترك فيها أثر ذرة مشردة ، وتبعا لوضع هذه الذرات ، يمكن أن تكون النتيجة موت الخلية ، أو تسرطنها بسبب حدوث طفرة .

لقد تم تصور الطريقتين التاليتين للحماية من هذا الخطر في الفضاء ، وتنص الطريقة الأولى على خلق مجال جوي مغناطيسي صناعي ، من خلال توليد حقول مغناطيسية مكثفة حول المساكن الفضائية ، ولكن . . يوجد مساوىء عديدة لهذه الطريقة ، التي تتطلب تجهيزات هامة ، واستهلاكا كبيرا في الطاقة وهي غير قابلة للتحقيق ، لأنه في حالة ضعف أو قطع الحقل المغناطيسي لأي سبب من الأسباب فان الساكنين سيتعرضون للاشعاع بشكل كامل ، وذلك خلال الوقت اللازم لتحديد العطل والقيام باصلاحه .

اما الطريقة الثانية فهي بدائية ، لكنها اقتصادية وأكثر فاعلية ، وهي تنص على تغطية المساكن بمادة تمتص الاشعاع ، وذلك باستعمال طبقة ذات سماكة (٢م) من مادة قمرية تنزل الاشعاعات الى مقدار جرعاتها الأرضية ، ولايحتاج الأمر الى أية صيانة ولا الى أي استهلاك في الطاقة ، اضافة الى عدم حدوث أية أعطال . ونظرا لعدم توافر وسائل حماية بيولوجية من الاشعاع ، وهي الوسائل التي لم تتطور منذ (٣٠) عاما ، فان اللجوء الى هذه الطريقة (الطريقة الثانية) سيكون من أعمال الجهات المستعمرة للفضاء .

وسيتطلب انشاء الورشات على سطح القمر بضع سنوات ، وسيصل المستعمرون الأوائل مع حاويات مليئة بالمعدات ، مثل الجرارات وأدوات استخراج المعادن ، ومفاعل نووي صغير ، وستستخدم الحاويات الفارغة كأكواخ في الورشات والمشاغل ، ولكن سيتم اخفاء هذه الحاويات اتقاء للاشعاع الكوني ، وسيبدأ استثمار الأرض فور تشغيل المفاعل وتمديد الخطوط الكهربائية ، وسيقوم العلماء بصنع الزجاج والأبيال الضوئية ، والمكونات الألكترونية ، وذلك من مادة السيلسيوم ، ويمكن توسيع المستعمرة بفضل وسائلها الذاتية ، وأن تزود نفسها بالالمنيوم والتيتان ويستعمل الأوكسجين المنتزع من التربة في خلق جو اصطناعي .

يبقي علينا ايجاد الممولين الذين يجب أن يكونوا من الأثرياء جدا ، اذ حددت لجنة الدراسات التابعة لجمعية عبر الكواكب البريطانية ، نفقات استطلاع أرض القمر بحوالي (١٦,٥) مليار دولار امريكي ، يضاف اليها مبلغ (٣٥,٦) مليار دولار لبناء القاعدة حيث يصل مجموع المبالغ اللازمة للمشروع حوالي (٥٢,١) مليار دولار أمريكي ، في حين أن هناك



القمر أول المستعمرات

تقديرات أخرى تتجاوز هذا المبلغ ، وتصل الى حدود (٧٠ ـ ٩٠) مليار دولار أمريكي .

مستعمرة المريخ

للوهلة الأولى يبدو كوكب المريخ غير مشجع ، فالحرارة فيه تتراوح بين (١٤٠°)و (٢٧°) وتقترب درجة الحرارة المتوسطة عليه من (١٠٠°) عند القطب و (ـ و ٢٠٠°) عند خط الاستواء ، او (ـ ٤٠°) في المناطق الوسطى ، والجو خانق ـ اذ يتكون من ٩٥٪ من غاز الفحم المشبع بالرطوبة ، والتراب جاف بشكل كامل ، ومع ذلك فان جو الكواكب بحد ذاته ، هو منجم ، ويكفينا أن نعرف كيفية استغلاله . ويدعم السيد توماس ماير ـ وهو كيميائي من فريق دراسة كوكب المريخ الموجود في جامعة كولورادو ـ المعلومات التي جلبتها المركبة الفضائية فايكنج .

ووفقا لهذه المعلومات ، فان بالامكان الحصول على (٥٠٠ غ) من الماء ، من خلال القيام بضخ (٩٠٠م ٣) من هواء المريخ ، أما التكاليف ، فلا تتجاوز ثمن زجاجة ماء معدني على الارض ، ولا يحتاج الأمر الى آلات معقدة ، بل يحتاج الى توربين يعمل بالطاقة الشمسية ، تتوافر فيه القدرة على العمل ، ضمن ضغط منخفض . والنقطة السوداء الوحيدة في هذا الاقتراح ـ هي أن المهندس لم يقدم بعد الرسوم التفصيلية لهذه الآلة .

أما العثور على هواء يمكن تنفسه والأغذية التي يمكن الاستفادة منها ، ويمكن حل هذين الأمرين ، من خلال ضغط هواء المريخ ، وسحب غاز الفحم منه ، نحصل على خليط من الأرغون والآزوت ، مع آثار من الأوكسجين ومن غاز الفحم ، وهذا الخليط ليس سليما بشكل فعلي ، لكنه ليس ساما ، ويمكن استخدامه كحاجز بين هواء السكن وبين الجو السام ، ويمكن الحصول على الاوكسجين من خلال تحطيم جزيئات غاز الفحم ، بطريقة (ساباتيه ـ ساندر) التي تعتمد على مجموعة تفاعلات كيميائية متسلسلة ، فثاني أوكسيد الكربون

عند تفاعله مع الهيدروجين يعطي أوكسيد الكربون والماء ، ويمكن أن نحصل على الأوكسجين من تحليل الماء كهربائيا ، في حين نعيد الهيدروجين الناتج الى نقطة البداية ، ليتفاعل مع غاز الفحم ، وهكذا دواليك . .

مجتمع الفضاء

يتم في المرحلة الأولى جلب الطحالب ، ومستعمرات باكتيريات تبذرها في الكوكب ، واذا لم تتم فيمكننا حينئذ اطعامها للقادمين الأوائل بانتظار أيام أفضل .

ويتم في المرحلة الثانية ، نصب بيوت قابلة للنفخ تحت الضغط البسيط ، يقوم الرواد الذين أنهكتهم وجبات الطحالب والباكتيريات ، باستعمالها في زراعة الخضار ، والاستفادة من رطوبة جو المريخ ، ويمكن للخيمة البلاستيكية المنصوبة فوق حفرة طبيعية بشكل يسمح لها بالحفاظ على ضغط متوسط بين سطح الكوكب ، وضغطه المنخفض والمساكن مكيفة الضغط ، القيام بدور الحقل .

وفي المرحلة الأخيرة يتم اقامة نظام اقتصادي مصغر مع الهيئات المناسبة . ولكن ، بما أن تربة المريخ ليست مثالية للزراعة ، يتوجب علينا القيام بغسلها من المواد السامة التي تحتويها وهذه المواد يمكن أن تكون مفيدة لانتاج حمض الكبريت ، والاسمنت والجبس ، والزجاج . . الخ وهي المواد الضرورية للرواد .

وفي الواقع ، نستطيع انشاء صناعة صغيرة ، بالاعتماد على المواد السامة فقط ، وذلك باستخدام الكاربون المستخلص من غاز الفحم ومن المواد الكيميائية الاخرى ، نستطيع صنع الورق والبلاستيك والمطاط والصمغ والمتفجرات .

موجات الهجرة نحو الفضاء

من المقرر اجراء تجربة طيران بين عام ٢٠٤٥ وعام ٢٠٦٠ ، ولن تكون المركبة مسكونة ، وستتم الرحلة في الغالب وفقا لبرنامج (B. I .S. M.A) الذي وضعته مؤسسة (B . I . S. M.A) وقد تم حساب كل شيء ، والهدف هو نجمة برنار الصغير ، والأضعف من الشمس بـ (٢٣٠٠) مرة ، وميزتها الوحيدة كونها تتبع خطا غير منتظم ، كما لو أن الكواكب تتجاذبها ، ونحن لم نشاهد هذه الكواكب بشكل مباشر . وهناك شك قوى في وجودها ، وهذه واحدة من الدوافع الكافية لمحاولة استطلاعها .

تستمر الرحلة حوالي (٥٠) عاما ، مع الهبوط لمرة واحدة ، بغية التزود بالوقود ، الوقود هو من نوع الهليوم ، الذي يقدم الطاقة اللازمة للصاروخ ، ليندفع في الفراغ بين الفلكين .

ونتصور أن أولى موجات الهجرة ستكون حوالي عام ٢٢٦٠ ، لأن الاستطلاعات ستؤدي حتما الى العثور على كواكب تكون مواردها وموادها ومصادر الطاقة فيها سهلة الاستخراج ، وسيقرر البعض ترك أولادهم فيها ، وسيغادر أسطول من المركبات الفضائية النظام الشمسي ، وستتابع الأجيال القادمة من البشر ، خلال مئات السنين ، اجتياز الصحراء الكونية ، وخلال رحلتهم ، سيتسنى لهم رؤية نجوم جديدة ، تظهر من اللانهاية .

وفي يوم جميل سيصلون الى العالم الجديد ، حيث سيتم لهم تأسيس أول المستعمرات في المجرة ، وسينتشر الجنس البشري ، وسيتكاثر ، وستقوم الأجيال الجديدة ، باستعمار نجوم جديدة ، وخلال (٣٠) مليون سنة ، ستكون المجرة مسكونة بالبشر .

ومن المؤكد انه خلال قرن من الآن ستعيش مجموعات بشرية على كواكب أخرى ، بعيدة عن الأرض ، أو ضمن مستعمرات فضائية ، وستقام هذه المستعمرات على النيازك ، أو حول القمر ، وفي كل مكان تكون فيه المواد الأولية سهلة الاستخراج ، وخلال عدة قرون نكون قد استثمرنا المجموعة الشمسية ، وستكون مزروعاتها ملكا لنا ، وسيتعلم الانسان كيف يتدبر أمره بعيدا عن الكوكب الأم وقد يضعف ارتباطه العاطفي بالأرض ولن يهمه مكان موطنه الجديد ، وهكذا يكون الانسان قد نضج للرحلات بين مجرات الفضاء . □

رؤية لقصيدة

أمضي كل الأيام

للشاعر الألماني : فريدريش هيلدرلين

بقلم : الدكتور عبدالغفار مكاوي

وهب الشعر كل شيء ، فأعطاه بعض أسراره الغامضة .

ثم لاح له الحب . . . فغرق فيه حتى الوهم . . . ثم الجنون . . . !

انه الشاعر الألماني فريدريش هيلدرلين وهذه دراسة لجانب من أشعاره وحياته .

أمضي كل الأيام على درب غير الدرب ،
حينًا للشجر الأخضر في الغابة ،
حينا آخر للنبع ،
للصخرة حيث الأزهار مفتحة الأكمام ،
أنظر من فوق التل إلى السهل ،
لكني لاأجدك أبدا ياحبي ،
في أي مكان لاأجدك أبدا في النور ،
تتطاير مني الكلمات وتذروها الأنسام ،
كلماتي الطيبة وكانت فيا مر من الأيام . .
حقًا ، أنت بعيد ، ناءٍ ياوجه النعمة
يخبو نغم حياتك
وأنا لاأملك أن أنصت . .

يا أيتها الألحان الساحرة الصوت ،
يامن أفرغتِ على قلبي الراحةَ من نبع الخُلْد
طال العهد وغاب . شب الولد وشاب .
حتى الأرض - وقد كانت تبسم لي -
عابسة الوجه .
الآن أقول وداعا ، عِيشي في خير .
روحي كل نهار ترحل عنك ، تعود إليك ،
عيني تبكيك ، تريق الدمع
تتمنى يوما أن تَصْفُوَ كي ترنو لك
فتراك هناك وتهنأ بك . .

* * * *

هذه أغنية لم تتم . فقد اختنقت في صدر الشاعر مع غُصّة الفراق ، إنه يتلفت بقلبه وعينه إلى حيث تقيم المحبوبة ، ولكنه لايستطيع أن يخدع قلبه ولا عينيه عن بُعد الشاطىء واستحالة اللقاء ، ومع ذلك فهو لايزال يناجيها ويتعلق بها كما يتعلق الغريق بطوق النجاة وكيف يصدق أن حبيبته « ديوتيما » التي جسدت حلم حياته بالجمال الاغريقي وعالم النورانيين ، بل أوشكت أن تتمثل أمامه واحدة من تلك القوى العلوية التي طالما حَنَّ إليها واشدها العودة إلى الأرض المعذبة والبشر الفاني ـ كيف يصدق أنه حُرم منها الى الأبد ، وأنه سيَهيمُ بعدها كما تهيم الظلال :

أنت يامن أشرتِ لي قديما وأنا على مفترق الطرق
يامن علمتِني بصمتك وأوحيتِ لي في هدوء
أن أرى العظمة . .
هل تتجلين لي وتحيينني كما كنتِ تفعلين ،
وهل تلهمينني الحياة والسلام من جديد ؟

هل ستفعل « ديوتيما » ذلك حقا ، فتدب فيه الحياة ، ويحلق جناحاه ، ويهتف بفرحته لعودة الربيع واخضرار الأرض ، أو تتركه في يأسه وحيرته ، يحاصره شتاء الاكتئاب ، وتُطبق عليه جدرانه المظلمة الخرساء ، في سجن الجنون الذي سيبقى فيه طوال الأربعين سنة الأخيرة من عمره ؟

لكن من هذه المحبوبة التي أطلق عليها الشاعر اسم الكاهنة الاغريقية القديمة « ديوتيما » التي أجْرى أفلاطون الحكمة على لسانها في محاورة « المأدبة » وجعلها تُعلِّم سقراط ما لم يكن يعلم من أسرار الحب الفلسفي ؟ ومن هذا الشاعر الذي ساقه القدر إلى طريقها كما ينساق الحالم في النوم ، واندفع اليها حين تصور أن الرؤ يا والنبوءة تتحققان .

إنه فريدريش هلدرلين (١٧٧٠ ـ ١٨٤٣) الذي وهب الشعر كل شيء ، فأعطاه بعض أسراره الغامضة ، شاعر الغربة الذي عاش غريبا في عصره وبين أهله .

تلاقي الفلاسفة

ولد هيلدرلين في العشرين من شهر مارس سنة ١٧٧٠ م في بلدة « لاوفن » على نهر الينكر في منطقة « أشفابن » المعروفة بغاباتها وجبالها الغامضة التي غرست في سكانها حب الوطن والحنين الدائم إليه مثل حنينهم الصوفي إلى عالم مثالي موغل في البعد والخفاء والطموح . .

مات أبوه وهو طفل صغير ، وتردد على مدارس الأديرة قبل أن يدخل المعهد الديني في مدينة « توبنجن » تحقيقا لرغبة أمه الطيبة المسكينة واحتمل مرارة الحياة الخشنة الصارمة بين جدران هذه الزنزانة اللاهوتية التي تعرَّف فيها على صديقي صباه وفيلسوفي المثالية الالمانية الكبيرين « هيجل وشيلنج » . . ولم تلبث الصداقة والمحبة أن جمعت بين الثلاثة . . كما جمع بينهم الطموح الى عالم مثالي تتحقق فيه الحرية ويتم الخلاص من الظلم والركود والاستبداد الجاثم على صدور أبناء شعبهم وصدورهم . . واشترك الأصدقاء في قراءة أفلاطون وروسو وشيلي واسبينوزا الذي عبَّرتْ الكلمة اليونانية القديمة « الواحد والكل » عن مذهبه في وحدة الوجود ، وأثَّرت بعد ذلك على حياة هيلدرلين ، وكان من الطبيعي أن يتأثر الشاعر مع شباب جيله بالثورة الفرنسية التي تأججت نيرانها فجأة فبدت كأنها فجر الخلاص والأمل في الحرية والتقدم والكرامة ، وأن يتأثر كذلك بحركة بعث الروح الاغريقية ومحاكاة روائعها محاكاة خلاقة ، وكان مؤرخ الفن القديم « فنكلمان » هو باعث هذه الروح التي تمثلت فيها « البساطة النبيلة والعظمة الساكنة . . » ، ثم ازدهر الأدب والفلسفة الألمانية على يد « ليسنج » و هيردر » وكانط وجوته وشيلر فأمدتها بدماء جديدة وأكدت مثلَها الأعلى الذي تراءى لعيون هذا الجيل ، وهو الانسان الحر الجميل ، المتحد بالطبيعة والأبطال الأسطوريين في وحدة حية متجانسة لم تجرب التمزق والتصدع الذي كانوا يعانونه . وقد كان هلدرلين أكثر أبناء جيله انفعالا بهذا العالم المقدس الرائع وأشدهم حنينا اليه في كل أناشيده وأغانيه . . تغلغلت هذه الرؤ ية الدينية والكونية في أعماقه يوما بعد يوم ، وراح يغوص في متاهتها الباطنة ويستغرق في أسرارها مع كل تجربة جديدة تؤكد عجزه واخفاقه في الحب والحياة ومع كل يوم يزداد بعدا عن الوعي وعن الناس ، ومع كل عذاب تزداد لغته تكثفا وغموضا ، وتشتد قسوة قدرة المعذب الوحيد فينحني له راضيا

ومطمئنا ، وتستجيب له نفسه الوادعة في خشوع وانكسار : « أيتها الروح : أيتها الروح : أنت يا جمال العالم : يامن لا تتحطمين أيتها الساحرة الفاتنة بشبابك الأبدي : أنت حية باقية ، وما الموت وكل عذاب البشر اذا قورن بك ؟ آه : كثيرة هي الكلمات الجوفاء التي صنعها هؤلاء المدهشون ، ومع ذلك فكل شيء يصدر عن الفرح وينتهي الى السلام . وما مظاهر الشذوذ في العالم الا كالخلاف بين الأحباب ، إن الصلح قائم في قلب التنازع والشقاق ، وكل ما تفرق سيلتقي من جديد . والشرايين تتشعب ثم تعود فتصب في القلب ، وتظل الحياة الواحدة الخالدة المتوهجة هي الكل » . .

بين المهانة والصبر

تخرج هلدرلين من المعهد الديني سنة ١٧٩٣ وقرر أن ينفض عنه أغلال اللاهوت والوظائف الكنسية ليتفرغ لموهبته الشعرية واضطره ذلك أن يعيش عشر سنوات مليئة بالحرمان والسعي الخائب من بيت الى بيت في سبيل لقمة العيش ، وكانت مهنة التعليم وإعطاء الدروس الخاصة لأبناء الأسر الثرية هي الباب الوحيد الذي يمكن أن يطرقه المثقفون والأدباء الذين يعز عليهم في كثير من الأحيان أن يتحملوا المهانة والهوان ، ويعاملوا معاملة الخدم والأتباع . وتوسط له الشاعر « شيلر » للعمل في أحد هذه البيوت المرموقة التي كانت على صلة بالحياة الأدبية . ولكنه أخفق في مهمته التربوية ، وتأكد له اخفاقه في الحياة العملية عندما حاول بعد ذلك أن يستقر في مدينة « يينا » ويعمل بتدريس الفلسفة في جامعتها . وتبين له عجزه عندما سعى للاتصال « بفختة » رائد المثالية وباعث القومية ـ والتقرب من « جوته » أمير الشعر وعملاق الأدب ـ فتجاهله الفيلسوف وأعرض عنه الشاعر الأكبر ولم يستطع أن يقدر موهبته التي اتهمها بالغموض والاضطراب . ولم يبق له غير مواطنه شيلر الذي كان مثله الانساني والشعري الأعلى . وقد أشفق عليه الشاعر في البداية ورعاه ، ونشر له الصيغة الأولى من روايته « هيبريون » في مجلة « ثاليا » التي كان يصدرها ولكنه لم يلبث أن ضاق به وانصرف عنه ، وكانت هذه التجربة من أمرّ التجارب التي ذاقها في حياته ، وعاد يجرب حظ المعلم الخاص البائس فالتحق سنة ١٧٩٦ ببيت رجل من رجال المال والأعمال والبنوك يدعى « جونتار » في مدينة فرانكفورت .هنالك لقي من المهانة ما لم تحتمله نفسه الحيِيَّة الوديعة ، فصبر ثلاث سنوات على النزيف المستمر من جرح الكبرياء ، وقد عوضه القدر عن ذلك بالنعمة الوحيدة التي عرفها في حياته البائسة فأحب ربة البيت « سوذيته جونتار » وبادلته السيدة الرقيقة حبه ، ومدت يدها الحنون الى روحه الغريقة في ظلمات الاكتئاب ، ووجد فيها مثال الانسانية الجميلة الطاهرة .

كانت « سوذيته » مثال الجمال والانسجام والحكمة الذي طالما داعب أحلامه ورؤ اه ، وكانت هي الروح الاغريقية نفسها التي اشتاق اليها وانتظر ميلادها وتعزَّى بها عن محنة وجوده وسط غابة الظلم والتجاهل والفساد والطغيان ، ولكنه اضطر أن يغادر البيت الذي تحققت فيه الرؤ يا ، غادره مهانا مدحورا ، وافترق عن المحبوبة التي لم تجد حيلة في الفراق ، فحبست حبها في صدرٍ عِشّش فيه السل وافترس حياتها بعد ذلك بسنوات قليلة : ها هو ذا يناجيها بعد رحيله عنها في قصيدة عنوانها « ديوتيما » :

تسكتين وتصبرين ، وهم لايفهمونك
يا أيتها الحياة الغالية
تذبلين في صمت لأنك واحسرتاه
تبحثين عبثا بين البرابرة
عن أهلك في نور الشمس ،
عن تلك الأرواح النبيلة الحانية ،
التي ما عاد لها وجود .
غير أن الزمن يسرع الخطا ،
ولا زالت أغنيتي الفانية ترى اليوم
الذي تسميك فيه ، يا ديوتيما ،

لكن ديوتيما قد غابت عنه الى غير رجعة ، وصار الفراق عنها هو مأساة وجوده كله :

آه : أين أنت الآن ياحبيبة ؟
أخذوا مني عيني ، وقلبي فقدته بفقدها
لهذا أهيم هنا وهناك ،
مَقْضِيًا علي أن أعيش كما تعيش الظلال
وكل شيء يبدو بلا معنى . .

* * * *

طريق العذاب

بدأ الشاعر طريق العذاب ، لم يُعَزِّه قليلا في فراقه عن حبيبته ، الا قدرته على الحب والأمل والعرفان ، أي قدرته على قول الشعر . ففي هذه الفترة التي امتدت من سنة ١٧٩٨ حتى حوالي سنة ١٨٠٤ - ولم تكد تزيد على خمس سنوات - كتب عددا كبيرا من أناشيده الغنائية الكبرى ، وأتم روايته الوحيدة « هيبريون » وترجم مسرحيتي سوفوكليس أوديب ملكا وأنتيجونا وعددا من قصائد « بندار » الأوليمبية ترجمة شاعرية رائعة كما عكف على مسرحيته الشعرية « موت أنبا دوقليس » والواقع أنها ليست مسرحية تصلح للتمثيل ، بل هي قصيدة درامية عن ذلك الفيلسوف الطبيعي والكاهن والساحر والطبيب والمصلح الثائر الذي ولد في مدينة أجريجنت عاصمة صقلية حوالي سنة ٤٩٠ قبل الميلاد ثم طرده أهلها بعد أن أوشكوا أن يؤلهوه ويتوجوه على عرش مدينتهم ونسجوا عن موته تلك الحكاية العجيبة التي ألهمت العديد من الشعراء .

فقد رووا عنه أنه ألقى بنفسه في فوهة بركان « أتنا » وترك حذاءه بجانبها ليدل على موته أو انتحاره الأعجب . . هل استجاب الفيلسوف لنداء الأرض الأم ، أم لجأ الى حيلة ماكرة أراد منها تخليد اسمه وذكره ؟

لقد كتب عنه هلدرلين إحدى قصائده قبل أن يكتب المسرحية ، وهو يمجده فيها ويتمنى لو يتبعه إلى أعماق الأرض لولا أن قوة الحب تمنعه :

أنت تبحث عن الحياة ، تبحث عنها فتنبثق وتلمع
نار الهية من أعماق الأرض ،
وأنت بالشوق الواجب
تلقي بنفسك في لهيب « أتنا »
لكنك مع هذا مقدس عندي ،
مثل قوة الأرض التي اختطفتك ،
أنت أيها المقتول الجسور ،
ولكم تمنيت أن أتبع البطل الى الاعماق
لولا أن الحب يمنعني . .

* * * *

لكن الحب ومعه الرؤيا والتجربة الكبرى أسلماه للانتحار البطيء بسم الاكتئاب ، يفترسه ليل نهار ، وبعد أن كان هبوط الفيلسوف القديم في فوهة البركان تكفيرا عن ذنبه عندما وضع نفسه في مصاف الآلهة : أصبح في الصياغة المتأخرة للمسرحية تعبيرا عن شوق صوفي الى رحم الأرض وحنيناً الى أحضان الطبيعة المباركة والأصل المقدس :

عندما ينوح الآن قلب الأم ،
في وحدته الأليمة ،
وتنشر الأم المظلمة
- وهي تذكر الاتحاد القديم -
ذراعها النارية للأثير ،
ويأتي ملك الشمس في هالة اشعاعه
هنالك نغوص في اللهب المقدس
علامة على قرابتنا له .

وبدأ هلدرلين يغوص في هاوية اللهب الأسود المقدس وراح الاكتئاب المميت يحاصره من كل ناحية ويضطره للتسليم . ولكم حاول أن يتشبث بذكرى الحب ورؤياه الشعرية لتحميه من السقوط . وأخذ يناجي القوى السماوية ويستنجد بها من لعنة الوحدة التي تطبق عليه .

بلا قدر ، كالرضيع النائم
يتنفس المخلصون
أعِفَّاء مصُونين
في البرعم الطيب .
تزدهر أرواحهم أبدا
وعيونهم المباركة
تظل في هدوء وصفاء خالد .
أما نحن فكتب علينا
ألّا نهدأ في موضع
والبشر المعذبون
يتلاشَوْن ، يسقطون
كالعميان من ساعة لأخرى
كما تندفع المياه على مر السنين
من صخرة لصخرة
الى الهاوية الغامضة . .

الطريق الى الهاوية

أخذ الشاعر يندفع الى الهاوية الغامضة التي لن

يخرج منها . وبدأت ظلال الجنون تلتف حوله يوما بعد يوم . وعاد يهيم في البلاد بحثا عن لقمة العيش فعمل فترة قصيرة في سويسرا ثم هجرها وقام برحلته الأخيرة الى مدينة « بوردو » الفرنسية ليتولى تعليم أبناء القنصل الألماني المقيم فيها . ولكنه لم يلبث أن ترك عمله وعبر الحدود على قدميه حتى وصل الى وطنه وقد ظهرت عليه امارات الاضطراب النفسي والعقلي .

هل انفجر فيه جرح الحب الذي ظل سنوات ينزف في صمت ؟ وهل تأكد له أن العالم الذي يحيا فيه قد صار حطاما لاموضع فيه للتجانس والجمال ، لقد صور له الأمل أو الشعر أنه يمكن أن يحلم على الرغم من قسوة الواقع ، وأن يتحدى القبح المتفشي من حوله .

ولهذا يسأل ولِمَ الشعراء في الزمن الضنين ؟ وكأنه قد تشكك في جدوى الشعر والشعراء في زمن المحنة ، بعد أن آمن بهما من قبل وقال بيته المشهور :

وما يبقى يؤسسه الشعراء . .

* * * *

لا لم يعد في طاقته أن يأمل أو يتشبث برؤ ياه ، فقد حاصره الشتاء وهاهو ذا يعلن صرخته للريح :

وَيْلِي . . لو جاء شتاء
أينَ سأقطف أزهاري
وألاقي نور الشمس
وظل الارض ؟
تبدو الجدران أمامي
باردة خرساء
والرايات ترفرف في الريح . .

كان المريض الذي عبر جبال الألب على قدميه قد لجأ الى أمه وعاش معها في بلدته الصغيرة « نور تنجن » حتى سنة ١٨٠٤ . لكن المرض ألحَّ عليه فغادر البيت وعاد يتنقل بين البلاد حتى استقر في مصحة الأمراض العقلية في مدينة « توبنجن » ، ولما يئس الطب من شفائه تسلمه نجار طيب يدعى « تسيمر » وآواه في بيته فعاش فيه نصف عمره الأخير أشبه بالظل الهادىء والشبح الهائم في الليل الطويل :

ما عاد صوت يتردد من أجلك
أنت أيها الرائي المسكين !
عينك المشوقة تنطفىء
والنعاس يجرفك الى الأعماق
فلا يذكرك أحد ولا يبكيك إنسان . .

* * * *

وأقبل الموت فخلصه من حلمه أو من رؤ ياه في اليوم السابع من شهر يونيو سنة ١٨٤٣ وتمت دورة الحياة التي غناها قبل ذلك بأكثر من أربعين عاما :

تطلعت روحي الى السماء
غير أن الحب جذبها إلى الأرض
والعذاب قهرها بقوة
هكذا أعبر قوس الحياة
وأعود الى حيث جئت . .

□

تحملها يا أخي

جاء رجل الى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو اليه خلق زوجته السيىء، فسمع الرجل امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها ، وعمر ساكت ، فانصرف الرجل لما وجد هذا التطاول من زوجة عمر على عمر ، فناداه عمر قائلاً : « ما حاجتك يا أخي » .

فقال الرجل : جئت أشكو اليك استطالة زوجتي علي ، فسمعت زوجتك كذلك .

فقال عمر : « لقد تحملتها لحقوق لها عليّ ، فانها طباخة لطعامي ، خبازة لخبزي ، غسالة لثيابي ، مرضعة لولدي ،وليس بواجب عليها ، ويسكن قلبي بها عن الحرام » . فقال الرجل : وكذلك زوجتي فقال عمر : « فتحملها يا أخي فانما هي مدة يسيرة والعهد قريب » .



قصة قصيرة بقلم : ليلى العثمان

كانت تراودها فكرة واحدة وهي تقف وسط الضجيج ، عيناها تتركزان على الطفلة ذات الشعر الناعم وهي تجلس داخل المقعد الحديدي ، وهو يحضنها بذراعه وترتمي برأسها على صدره .

العالم كله يعوي بأصوات المكائن والألعاب ، وتتلاطم أصوات الناس حولها ، والعروسة تفتح أذرعها عملاقة ، يحمل ذيل فستانها المقاعد الحديدية .

تتراكض الأقدام وقلبها يتراكض نحو وجه الطفلة ، يتسابقون كل يبحث عن مكان ، الكبار قبل الصغار ، ويفرحون اذ تستقر مؤخراتهم داخل المقاعد ، بينما تتحجر أو تنحدر دمعات من عيون الأطفال الذين ارتدوا خائبين وفي قلوبهم سباب مكتوم .

عيناها على الطفلة ، من بين الأصوات والصخب المتناثر في المكان يرتفع صوتها عاليا :

ـ شد عليها . . انتبه .

يهز رأسه ويبتسم ملوحا بيده ، تفهم أنه يطمئنها ، لكن الفكرة بدأت تتوغل الى رأسها ، فتحس ضربات قلبها تتزايد . .

« ماذا لو . . ماذا لو . . لو !! . . . لو !!!

الجرس يصرخ معلنا بداية الشوط ، العروسة تدور . . تدور . . ذهنها يدور ولا يستقر ، والفكرة مثل نحلة مجنونة تطن في رأسها ، كلما ارتفعت مقاعد العروسة شيء يرتفع ، شيء يهبط ، الأدوار تتبادل ، وهي تتابع الفعل ، وتتلهف أن تأخذ الدائرة دورتها ، لتلمح وجه الطفلة يتلاعب مع الدوران . . فوق . . تحت . . فوق . . يمين . . يسار . . وصراخ الفرح ممزوج بالخوف . . وصراخ الفكرة :

« ماذا . . لو . . ماذا . . لو . . »

صوتها يخرج من حلقها متسائلا :

ـ لماذا يأخذون أماكن الصغار ؟

ـ وأنت ؟

جاءها سؤال لم تتوقعه ، هزت كتفها دون أن تنظر :

ـ هِهْ ! ماذا ؟

ـ ألا تحبين الركوب في دائرة العروس هذه ؟

ـ أنا ؟

انتفضت . . هي أبدا لم تحاول طوال سنوات عمرها أن تركب لعبة من الألعاب ، رغم كل اغراءاتها ، هي لاتكرر ألما جربته طفلة .

يزوغ ذهنها . . يتمرد على لحظة القلق ويسافر . . تتذكر ، كانت تحسب دائما أن الماضي يذوب مع حركة الأيام وارتجاج الليالي ، كما يذوب الملح في الماء . . لكنه ها هو . . يبقى خامدا ، وما ان تسنح له الفرصة حتى يستيقظ ويعيد ذكرى عام . . شهر . . أو . . يوم . .

كان ذلك نهار يوم الوقفة ، وكان الصبي مسعود

يهش الخراف ، فتندلق داخل البيت يسبقها صوته :

- خرفان الأضاحي . . واحد . . اثنان . . أربعة . . خمسة . .

الخراف تتراكض وتتوزع في الحوش الكبير ، بعضها يلهث ، وبعضها يتبرز ، وبعضها يأكل أطراف الحُصُر وهدب السجاجيد .

- هش . . هش . .

أختها تهش الخراف حتى حوش المطبخ ، ومن هناك الى باب الكراج الكبير الذي نصبوا في ساحته أرجوحة الحبال . . ووضعوا الخيش القديم وسادة للجلوس . . أخوتها يتصايحون ويلاحقون الخرفان ، ويغنون أغنية الفرح بقدوم العيد . .

« باكر العيد ونذبح بقرة . . نادوا « بوسعود » كبير الخنفرة » وهي تعابث الأرجوحة، تحاول أن تعتليها ، لكنها لاتجرؤ ، حتى أقبلت أختها الكبيرة ، وبابتسامة ماكرة سألتها :

- ها . . تركبين « الديرفة » ؟

فرحت غير مصدقة ، أختها تعرض عليها هذا وترفعها وتجلسها على « الخيشة » ثم تبدأ تهزها . . تعلو . . تهبط . . رويدا . . رويدا . . سريعا سريعا . . فوق . . تحت . . تطاول السماء فتخشى أن تسقط على رأسها الشمس والقمر والنجوم . وصرخت :

- يكفي . . يكفي . . أنا خائفة .

لكن أختها لاتولي فزعها اهتماما ، تستمر في أرجحتها ، وكان آخر ما تذكره انها كانت تطير في محيط ليس له مدى .

عندما استفاقت كان يوم العيد أمام بصرها متشحا بالسواد . . ورأسها ويدها مربوطان بأقمشة بيضاء ، وفي الكراج رأت دمها ممتزجا بدم الأضحيات .

فبكت وحيدة . . وحلفت . .

عيناها مشغولتان . . متحركتان . . دامعتان . . والفكرة اللئيمة تطرق أبواب رأسها .

« ماذا . . لو . . ماذا لو . . »

الطفلة سعيدة . . يتطاير شعرها كما يتطاير قلبها ، وهي تتابعها كلما اقترب مقعدها من الأرض ، وحين تطير تشعر وكأن قلبها انخلع وطار معها ، وتقذف صرختها في كل مرة :

- انتبه . . شد عليها .

هي تدرك أن صوتها لايصل ، بل يضيع ويتبعثر مع زحام الأصوات الأخرى أصوات الألعاب ، والمغنين من الفرق الشعبية ، وموسيقا فرقة الجيش ومزامير الاحتفال الوطني الكبير ، وصوت السماء ترسل رعودها بين لحظة وأخرى ، منذرة بهطول المطر . . والعروس تدور . . تدور . . تدور ، شعرت بدوخة غريبة ، وأمامها تراقص شيء ما كالغمامة السوداء . قاومته لتركز النظرة على الطفلة ، لكن أزيز الفكرة ظل يخدر جسدها . . « ماذا لو . . ماذا لو . . » .

فجأة ! تطير الطفلة في الهواء ، تسقط على قضيب الحديد الجارح . . وينفصل الرأس ، فتطلق صرخة موجعة مزقت صحب المكان وتهاوى أمامها كل شيء .

قال لها المحقق :

- استجوبنا الصبي فاعترف بأنه ألقى بأخته متعمدا .

رفعت وجها سابحا في برك الدم ، ورفعت كفين مهزومتين ، كل شيء فيها يبكي وينزف ، والذراعان ترشحان عرقهما المالح وتصرخان :

- لا . . لا . . لم يفعل . . أنتم تكذبون .

- لقد أكَّد لنا .

رفست اصرارهم وصرخت :

- أرفض هذا . . مهما قلتم لن أصدق . . هي أخته .

دنا المحقق منها . . لامس كتفها علَّه يوقف ثرثرة جسدها المهتز بعنف :

- ياسيدتي قال ان أمه قد حرضته .

- هذا كذب ، أمه لاتعلم أنني سآتي بهما الى حديقة الشعب .

- الولد قال انه يكرهها ، يغار منها .

- هو يكذب انه يحبها ، هو يأتي لها بالألعاب والبالونات في كل مرة يأتي لزيارتنا .

صرخ المحقق في وجهها :

- الولد يكرهها . . وتخلص منها . . أليست أخته من أبيه ؟

تهدج صوتها مصرا :

- لا . . لا مستحيل ألقت برأسها على صدرها ، تحوم من الآلام . . ماذا تحتمل ؟

-

فجيعتها بموت الصغيرة ؟ أم فجيعتها في الصبي الذي تحبه ؟ هل يعقل أن يكون قد
ذاكرتها لاتحرس والزمن البعيد بحّار عنيد لايهدأ زورقه ، يأتيها عبر موج الذكريات المتلاطم ، ومعه يحمل وجه أختها من أبيها
عندما انفصل والدها عن أمها وسحبها كنعجة الى بيت زوجته القديمة وابنتها ، كانت طفلة تبحث عن محطة راحة بالأمومة ، لكنها لم تجدها ، وظل ارتحالها عبر سنوات القهر ، والألم
« كانت تكرهني تغار مني ، حتى من جدائلي الشقراء ، لقد قصتها أكثر من مرة ولوحت بها في الهواء فتناثرت كأشعة شمس منتحرة حزينة ، كانت تعار من وجنتي المتوردتين دائما ، رغم وسائل التجويع التي تمارسها ، كانت تكويني بالنار ، وترشقني ببصاقها المر ، فيجف على وجهي البريء منه حبيبات كريهة لاأجرؤ على مسحها بِكُمّ ثوبي ، وعندما أرجحتني في « الديرفة » كانت تقصد قتلي لقد فعلت وألقت بي من الأرجوحة الى الأرض المكتظة بالحجارة والمسامير الصدئة ، وبقايا الأثاث والأبواب القديمة ، لكن عمرا جديدا تحداها ، وعشت لأحمل جروحي وحدي ، تلك الجروح التي علمتني أن الحياة قاسية ، لايجب أن أطمئن اليها ولا آمن ، فالجرح النازف غدير لايجف والغدر وصمة في نفوس الضعفاء ، فلم لا أصدق ان الصبي فعل مافعلته أختي بتحريض من أمه لم لا لم لا »



ارتعدت . . رفضت حديث النفس ، وانهمار الذكريات المرة تعصر فؤادها ، وتعصر ذهنها حتى يضيق . . يضيق وتسيطر عليه الفكرة العمياء . .

رفعت وجهها الى المحقق بصمت بنظرة حادة واثقة صفحة وجهه الطويل :

ـ لا . . هو لم يفعل . . أنت كذاب . . كذاب . . كذا . .

امتدت يده الرفيعة الأنامل . . رشقتها بكف . . حارّة على وجنتها فتابعت صراخها :

ـ لايفعل . . لايمكن . . لاتكن كلبا يعض في براءة صبي أحبه -

جاءتها كف أخرى أكثر حرارة . . تصدم وجنتها الثانية ،احتملتها، أحستها تشبه كف أختها الكبيرة .

« كم تلوثت وجنتاى بصفعات الكبار ، وكم دمعت عيناى ، كانت تثور غيرة أختي ـ البومة ـ فتنقض علي بمخلب من نار ، حتى يتفجر قلبي الذي مثل وردة ، لكني تحديت . . كبرت وأزهرت الصفحات وردا أحمر ، أولجت شوكة بعناد واصرار في وجه أختي الذي تغضن كبصقة خاثرة، ليست هذه أول كف . . ولن تكون آخرها . . الحياة مجموعة من اللطمات » .

آخ . . آخ . .

أنت أنينا نازفا . . دموعها تتراكض ساخنة على وجهها وحده ، صوتها كان يشع عنيفا ويصمم :

ـ لا . .

يتغلغل صوته اليائس الى أذنيها :

ـ اذن أنت مصرة على عدم تصديق ماأقول ؟

ـ نعم . . نعم بملء الفم والقلب . .

ـ سوف نأتي به لتسمعي بنفسك .

ـ ولن أصدقه أبدا . .

فتح الباب . . لمحت الصبي وهو يدلف ذليلا يدب دبيب نملة جائعة ، حفيف خطوته يطرق سمعها الشارد يصل اليها متكاسلا ، تحس باللحظة غير المرغوب فيها تطول،تتناسل . . تلد توائم أيام عصيبة ، يقترب . . عيناها مساحتان واسعتان للدمع ، للشفقة . . للألم . . وقلبها المثقوب يكاد يفرغ دمه كله . . ستموت . . هي حتما ستموت لو أن الصبي اعترف بأنه قتل أخته . تمنته أن يستعجل . . أن ينطق . . أن يخرس ألسنة اللهيب الممتدة من داخلها الى قنوات العين .

مدّت ذراعيها . . تصلبتا بانتظار أن يحط العصفور بداخلهما ، أن ينفض عن جناحه الخوف ، أن يفقس شيئا غير الوجع ، أن يحرر رأسها نهائيا من سواد الفكر . . ألا يغرس في جلدها حقيقة تكون بيوضا تفقس السرطانات التي لاعلاج لها سوى الموت .

صوتها المنكسر وذراعاها جسران يتوقف عليهما زمن خطوته ، وزمن اللحظة المرعبة .

ـ أنت .

خرج صوتها مجزوزا من دثاره القوي ، كما الهمسة الأخيرة لحظة نزع النفس يخرج السؤال المتردد . . فجأة . .

رأته ينهمر اليها . . يدفع بذراعيها بعيدا عن الطريق يسقط على صدرها ، يحاوط عنقها المرتعد ، يصك على شرايينه المتضخمة هلعا بحرارة . . وحب عنيفين . . ويدفن وجهه فيه ويتوجع :

ـ لم أفعل . . لم أفعل .

ـ أعرف . . لقد كذبت

ـ أردت أن أعرف هل تصدقين هذا أم لا ، هل حبك لي حقيقة أم مجرد كذبة ؟ اني أحبك وأحبها ، لم أفعل ، لقد سقطت رغما عني .

سقط عن جسدها الثقل الرازح ، شدت الصبي اليها أغمضت عينيها ودقات قلبها تعلو . . تعلو . . بشكل أشبه بالصراخ . . صراخ . . صراخ . . عواء لايهدأ وتفتح عينيها لتخرس الضوضاء .

ينتفض جسدها . الغمامة السوداء رحلت . هي ماتزال في موقعها واقفة بين الحشد والموسيقا والعروسة التي ماتزال تصعد وتهبط . . تصعد . . ووجه الطفلة يضحك ، والصبي يشد عليها كأنها حمامة روحه يخشى أن تطير .

ارتخت عضلاتها المتصلبة ، تأوهت ، لقد كان ذهنها يرحل في متاهات عجيبة ، بينما الغروب القادم مهرجان فرح يتناثر على جدائل السماء .

كل ماحولها فرح . . وعيد . . وعندما رن الجرس ، وتوقفت العروسة ، انخرطت الأجساد متلاحقة ، أقبل الصبي والصغيرة نحوها بانتشاء واضح ، ففاضت السعادة على أطراف وجنتيها ، ولفها توق لمعانقة الاثنين ، وحين فعلت كان العيد في قلبها أكبر من كل عيد . □



بقلم : الدكتور محمد موفاكو

سالونيك واحدة من المدن القديمة ، اذ يعود تاريخ تأسيسها الى سنة ٣١٤ قبل الميلاد ، وقد قام بانشاء هذه المدينة حينئذ الملك المقدوني كاساندوس وأطلق عليها اسم زوجته . بنت الملك فيليب المقدوني وأخت الاسكندر المقدوني .ولكن بها مسجداً يشكو المصير الذي آل اليه ، فهل من مغيث ؟ !

تميز تاريخ سالونيك بعدم الاستقرار ، نتيجة لتعرضها للغزوات العنيفة مس شتى الجهات ، وللكوارث الطبيعية (الزلازل) ، وانتقال حكمها من طرف الى آخر . فخلال القرنين السادس والسابع (٥٩٧ ، ٦١٧ ، ٦٢٦ ، ٦٧٥ ، ٦٨١) تعرضت سالونيك الى عروات عنيفة مس البرابرة ، ومن الاوار والسلاف ، وفي بداية القرن العاشر (٩٠٤) قام العرب المسلمون بأول محاولة لفتح سالونيك ، وقد خرجت هذه الحملة من جزيرة كريت ، التي كانت في ذلك الحين امارة عربية ، وبعد حصار قصير تم الاستيلاء على المدينة لفترة بسيطة فقط ، وخلال القرون الثلاثة اللاحقة استقرت سالونيك تحت الحكم البيزنطي ، الى ان سقطت الامبراطورية البيرنطية خلال الحروب الصليبية ، ففي عام ١٢٠٤ تأسست مملكة سالونيك اللاتينية ، الا أنها لم تستمر سوى فترة بسيطة (١٢٠٤ ـ ١٢٢٤) . ومنذ ذلك الحين بدا أن الامبراطورية البيزنطية ، التي برزت ثانية ، أصبحت عاجزة عن الدفاع عن هذه المدينة ، وخاصة أمام القوة العثمانية الجديدة . وقد قام العثمانيون بأول محاولة لفتح المدينة سنة ١٣٩١ ، ثم عادوا اليها ثانية سنة ١٣٩٥ ، ولكن دون أن يتمكنوا من الاحتفاظ بها ، وفي بداية القرن الخامس عشر ، ومع ازدياد عجز الامبراطورية البيزنطية ، قام حاكم سالونيك البيزنطي سنة ١٤٢٣ ببيع أو تسليم المدينة للبندقية ، ولكن في أواخر آذار من عام ١٤٣٠ ، وبعد أن أصيبت المدينة بزلزال مروع ، سقطت

سالونيك أخيراً في قبضة جيش السلطان مراد الثاني .

ومع الفتح العثماني دخلت سالونيك في عهد طويل من الاستقرار ، استمر حوالي خمسة قرون (١٤٣٠ - ١٩١٢) ، وأصبحت خلال هذه الفترة واحدة من أكبر المدن في الامبراطورية العثمانية ، ومن مراكز الحضارة الاسلامية في أوروبا .

جوامع سالونيك

في السنة الأولى للعهد العثماني أقيم أول جامع في سالونيك ، الا وهو « جامع حمزة بك » ، الذي بقي الى اليوم في المدينة ، وبعد هذا أخذ عدد الجوامع يزداد بسرعة ، وذلك مع توسع المدينة وتضخم عدد المسلمين فيها . وتجدر الاشارة هنا الى أن بعض الجوامع كانت كنائس في الأصل ، بينما كانت غالبية الجوامع قد بنيت من قبل المسلمين ، وفي الواقع كان من عادة العثمانيين بعد فتحهم لمدينة ما في البلقان أن يحولوا احدى الكنائس الى جامع رمزاً لانتصارهم ، بينما كانت كل الجوامع تتحول الى كنائس في المناطق الأخرى ، كما في كريت واسبانيا مثلا . ومع هذا يلاحظ في سالونيك أن العثمانيين قد حولوا كنيستين في السنة الأولى الى جامعين ، وحولوا بعض الكنائس الأخرى الى جوامع خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، ويبدو أن السبب في هذا يعود الى التغيرات الديموغرافيةالكبيرة التي حدثت في المدينة خلال هذه الفترة ، حيث تناقص عدد المسيحيين ، وازداد عدد المسلمين بشكل واضح ، حتى أصبحت النسبة واحداً الى ثلاثة .

في نهاية العهد العثماني ، وبالتحديد في بداية القرن العشرين ، كان عدد الجوامع في سالونيك حوالي ستين جامعا ، بالاضافة الى عشرات المساجد الصغيرة . ومن هذا العدد الكبير للجوامع يمكن حصر ثلاثة عشر منها ، كانت في الأصل كنائس قديمة ، بينما تم بناء العدد الأكبر منها كجوامع على مدى عدة قرون . وكان بعض هذه يتمتع بقيمة أثرية كبيرة كـ« جامع حمزة بك » الذي بقي باعجوبة الى اليوم .

جامع حمزة بك

لقد بني هذا الجامع سنة ١٤٣١ ، أي في السنة الأولى للعهد العثماني ، واستنادا الى هذا يعتبر أحد أقدم الجوامع في أوروبا التي بقيت حتى الآن ، بل أقدم جامع بقي الى اليوم في أوروبا خارج تركيا الأوروبية واسبانيا ، وفي الواقع أن وضع هذا الجامع لا ينفصل عن المصير الذي لاقته جوامع سالونيك الأخرى بعد . « تحرير » المدينة .

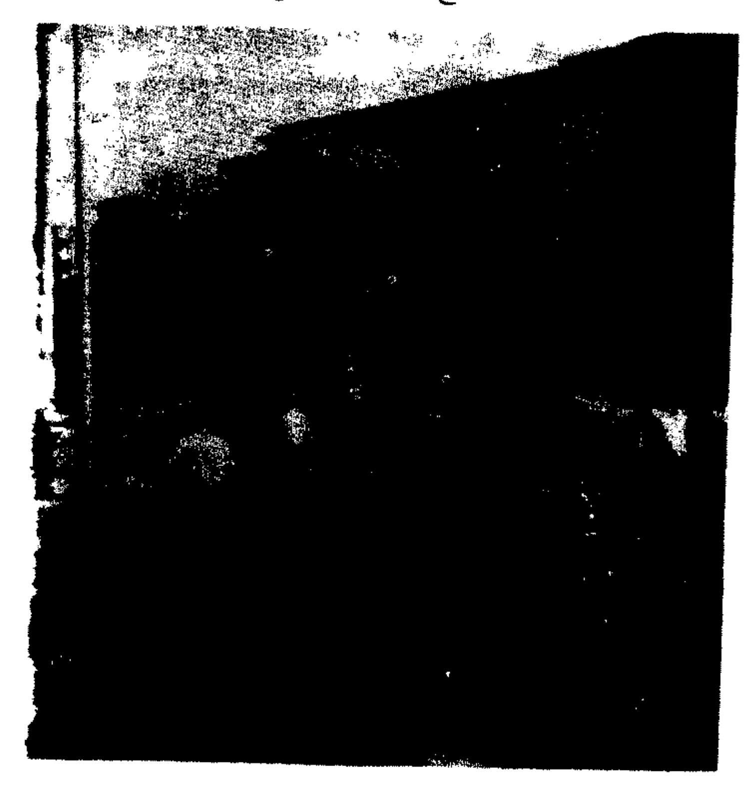
بعد اندلاع الحرب البلقانية الأولى ، دخلت القوات اليونانية الى المدينة أولا في ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٢ ، وفي اليوم الثاني دخلتها القوات البلغارية أيضا ، وفي الواقع كان القائد العثماني قد وقع صك الاستسلام للقوات اليونانية التي أخذت تتصرف في المدينة على أساس أنها « أصبحت يونانية ثانية بعد حوالى ٥٠٠ سنة من الاحتلال » ، ولذلك جرى بسرعة تحويل بعض الجوامع الى كنائس ، وبالتحديد تلك التي كانت في الأصل كنائس ، ومن ناحية أخرى فقد أدى تجمع الجيشين اليوناني والبلغاري في المدينة الى استخدام الجوامع لاقامة الجنود ، وقد بقي وضع المدينة بين اليونانيين والبلغاريين على هذا النحو ، الى أن اندلعت الحرب البلقانية الثانية (حزيران ١٩١٣) التي انتصر فيها الجيش اليوناني ، ونتيجة لهذا تم ضم سالونيك ومناطق واسعة ذات وجود اسلامي الى اليونان ، وخلال الحرب العالمية الأولى أصبحت سالونيك قاعدة عسكرية ضخمة للحلفاء ، وفي عام ١٩١٧ أصيبت المدينة بأكبر كارثة ، حين شب فيها حريق هائل استمر اسبوعين (٥ - ١٩ آب) ودمر حوالي مليون متر مربع من المساحة العمرانية ، وقد التهم الحريق في ذلك الحين عدة جوامع ، كجامع الساعة مثلا ، بينما نجت من هذا المصير غالبية الجوامع الأخرى . وعلى الرغم من أن « جامع حمزة بك » كان أقرب من غيره الى دائرة الخطر ، الا أن ألسنة النيران لم تمسه بأذى .

وبعد الحرب العالمية الأولى التزمت اليونان بالتوقيع على ما ورد في اتفاقية فرساي حول حماية الأقليات ، وبالتحديد المسلمين ، التي تضمنت بندا خاصا

بحماية الجوامع ، فقد التزمت الحكومة اليونانية حسب هذه الاتفاقية بحماية الجوامع والمقابر وبقية المنشآت الاسلامية ، وتقديم كافة التسهيلات الضرورية للأوقاف الاسلامية الموجودة والمؤسسات الدينية الخيرية ، وعدم التقصير في منح التسهيلات الضرورية في حالة تشييد منشآت دينية وخيرية جديدة » .

وعلى الرغم من هذا فقد ارتبط مصير الجوامع بمصير المسلمين في سالونيك ، وبشكل عام في كل المناطق الجديدة التي تم ضمها لليونان . لقد لجأت الحكومة اليونانية منذ السنوات الأولى الى ترحيل كل المسلمين بالترغيب أو الترهيب الى تركيا ، بحيث بقيت الجوامع لفترة ما مهجورة لعدم وجود مسلمين ، وهذا ما تحول أخيرا الى مبرر للتخلص منها ، وهكذا نجد أن عدد المسلمين قد انخفض فورا من حوالي أربعين الف نسمة في عام ١٩١٢ الى أربعة وعشرين الفا سنة ١٩١٣ ، ووصل سنة ١٩٢٠ الى عشرين ألفا ، بينما تلاشى المسلمون من المدينة في سنة ١٩٢٨ ، ومع هذا الوضع الجديد ، ـ أي وجود الجوامع دون وجود المسلمين ـ بدأ هدم الجوامع في سالونيك بشكل تدريجي سواء بحجة « توسيع الطرقات » أو حتى دون اي سبب ، وبالتحديد بسبب « الاستخفاف والغباء » كما يقول أحد المؤرخين اليونانيين المعاصرين ، وهكذا بعد عدة سنوات فقط ، حين جاء الشيخ محمد سليمان من مصر لزيارة سالونيك سنة ١٩٣٣ ، لم ير فيها جامعا للمسلمين بل وجد « ما كان أصله كنيسة قد عاد الى أصله ، وما أنشىء مسجدا ، فقد ذهب الأصل وما أنشىء له » .
وهكذا بقي منذ الثلاثينيات الى اليوم عدة جوامع فقط تستخدم في أغراض مختلفة ، ومن هذه « جامع حمزة بك » .

يقع هذا الجامع في شارع « أغناتيا » ، وهو الشارع الرئيسي في سالونيك ، ولا تنقصه الا المئذنة التي هدمت في أواخر العشرينيات أو أوائل الثلاثينيات ، ففي تلك الفترة ، وبعد ترحيل المسلمين من المدينة ، بقي الجامع مهجورا لفترة من الزمن ، الى أن بدأ استخدامه بعد ذلك في أغراض مختلفة . فقد أنشئت في جهاته الثلاث محلات تجارية مختلفة ، وتحولت قاعته الرئيسية الى دار للسينما في



جامع حمزة بك . يبدو من واجهته الجنوبية

الخمسينيات باسم « الكازار » (القصر) . ومع التطور العمراني الكبير في سالونيك ، وانشاء دور فخمة للسينما ، أصبحت هذه السينما تبدو « قديمة » و « متخلفة » ، ولذلك لجأ أصحابها في أواخر السبعينيات الى اغراء الجمهور بعرض الأفلام الجنسية فيها ، فقط على مدار النهار والليل ، وذلك مقابل بطاقة واحدة ، بحيث يمكن للمشاهد أن يدخل مقابل مبلغ بسيط الى هذه السينما في الصباح ، ويبقى فيها الى منتصف الليل ، وفي الواقع أن ما يعرض في هذه السينما ليس له علاقة بالفن السينمائي ، بل هو عبارة عن أشرطة « فيديو » قصيرة تعرض العمليات الجنسية فقط بكل تفاصيلها وآخر صرعاتها ، دون ان تكون هناك قصة أو حوار بالمعنى المتعارف عليه

لم يزل متماسكا

ان وضع هذا الجامع الآن لا بأس به ، اذا أخذنا بعين الاعتبار تعاقب القرون عليه ، والظروف التي



الاعمدة الخشبية ما تزال تسند الواجهة الجنوبية .. ولكن إلى متى ؟

أحاطت به وبقية الجوامع ، التي كانت كافية لاندثاره تماما ، ومن الخارج يبدو هذا الجامع متماسكا ، اذ أن الجدران مازالت قوية باستثناء الجهة الجنوبية ، حيث وضعت أعمدة خشبية لمنع الجدار من الانهيار (انظر الصورة) . الا أن هذه الأعمدة لا تعتبر حلا ، نظرا لأن الجامع لا يفصله عن الشارع سوى رصيف ضيق جدا (انظر الصورة) ، وهذا الشارع يتميز بكونه من أكثر شوارع سالونيك ازدحاما ، بحركة السير ، بحيث ان الضغط المتواصل الناشيء عن مرور الباصات والسيارات أمام الجامع يهدد تلك الجهة المدعومة مؤقتا بالأعمدة الخشبية ، اما من الداخل فالجامع ما يزال في حالة جيدة ، على الرغم من استخدامه كدار للسينما خلال الفترة الماضية . فالأعمدة والأقواس وحتى بعض النقوش ما تزال كما هي ، بينما جرت فيه بعض التعديلات البسيطة فقط ، ففي جهة المحراب أقيمت منصة بسيطة ، وثبتت موقها الشاشة التي أصبحت تشغل تقريبا كل الجهة ، ووضعت مقابلها صفوف الكراسي التي تحتل تقريبا كل قاعة الجامع .

ان وضع هذا الجامع ، والظرف الذي يستخدم به الآن ، يفترض تدخلا عاجلا لانقاذ هذا الأثر الاسلامي ، فمن الناحية العمرانية يتطلب وضع الجامع تدخلا بعد هذا الاهمال الطويل الذي تعرض له والذي أصبح يهدده الآن ، ومن الناحية الحضارية الانسانية يستدعي هذا الجامع أيضا تحركا سريعا لانقاذه من الاساءة اليومية التي يتعرض لها ، وتجدر الاشارة هنا الى أن تلك الاشرطة « الجنسية » التي تعرض في الجامع لا تغرى حتى الشعب اليوناني ، كشعب متحضر من هذه الناحية ، ولذلك فان عدد المشاهدين عادة داخل الجامع لا يتجاوز ٣٠ ـ ٤٠ شخصا ، وهكذا فان هذا العدد الضئيل من المشاهدين لا يبرر استخدام هذا الأثر الاسلامي النادر لعرض هذه الاشرطة الجنسية . وعلى كل حال ففي الشارع نفسه ، وعلى بعد ٥٠٠ متر من هذا الجامع ، لدينا دار أخرى للسينما تدعى « اليون » تختص أيضا بعرض هذا النوع من الأشرطة الجنسية التي تبقى معظم مقاعدها شاغرة أيضا ، ولذلك فان التوقف عن عرض الأشرطة الجنسية في جامع «حمزة بك » لن يحرم « المهتمين » من هذه العروض الجنسية طالما أن هذه تعرض في سينما أخرى مجاورة للجامع .

ان التدخل لانقاذ هذا الجامع يعتبر موقفا حضاريا بالدرجة الأولى ، لأنه يمس موقعا له مكانته الأثرية التاريخية ، كأحد أقدم الجوامع التي بقيت الى الآن في البلقان وفي أوروبا ، ويبدو لنا أن اليونان كبلد حضاري لن يضيق بهذه البادرة الحضارية ، التي تعني الكثير للمسلمين ، خاصة وأن الحكومة اليونانية الحالية قد سجلت في السنوات الأخيرة موقفا متقدما فيما يتعلق بالمسلمين في اليونان . وفي الواقع أن انقاذ هذا الجامع لن يسيء الى سالونيك ، لأنه قد يجعلها تفقد دارا مغمورة للسينما لا تشد اليها الاعشرات المشاهدين ، ولكنها ستكتسب مقابل هذا موقعا أثريا يمكن أن يشد اليه الألاف ، ففي الإعلانات السياحية التي تنشرها اليونان في المجلات العربية لدينا ما يغري السياح بزيارة سالونيك ، ولكن يبدو لنا ان سالونيك ستكون مثيرة بوجود « جامع حمزة بك » التاريخي أكثر مما تكون بوجود دار للسينما من الدرجة الثالثة تدعى « الكازار » . وفي نهاية الأمر فان مدينة سالونيك الضخمة ، التي يتجاوز عدد سكانها المليون ، يعيش فيها الآن عدة آلاف من المسلمين دون جامع ، وهؤلاء يحتاجون الى جامع أكثر مما يحتاجون الى دار للسينما في جامع كان لهم في يوم من الأيام ☐



قضيّة

أسطورة النفوذ الصهيونى فى أمريكا

بقلم : بهية ماردينى

أود أن اسلط الضوء فيما أكتبه على تلك الأسطورة التى كثيرا ما تتردد ، وهى قوة النفوذ الصهيونى فى أمريكا ، من خلال عرضى لمجموعة حقائق ، وسردى لأقوال الصهاينة أنفسهم فيما يخص هذا الموضوع .

ان من يروج هذه الأسطورةالتى تصور قوة يهود أمريكا وسيطرتهم عليها يدعى أولا بأن اليهود قوة اقتصادية مسيطرة متميزة ، متحكمة باقتصاد الولايات المتحدة وبسياستها الداخلية والخارجية ، تسيطر على المتحكمين بالقرار السياسى ، ولا تتحرك هذه القوة الا وفق ماتمليه عليها الصهيونية « علما بأن اليهود الذين يبلغ عددهم ٥,٧ ملايين نسمة ، أى ٣٪ من سكان اميركا تقريبا ، لا يخضعون للسيطرة الصهيونية » . ويدعى ثانيا ان هذه النسبه يمكنها ان توجه سياسة دولة امبريالية كأمريكا ، ويقول ضمنيا ان الدعم الأمريكى « لاسرائيل » هو دعم آنى ومن الممكن أن يتغير مع كل انتخابات تجرى فى الولايات المتحدة ، على أساس أن المساعدات الأمريكية « لاسرائيل » لا علاقة لها بمصالح امريكا فى الشرق الاوسط . .

محك التجربة

لكن لنناقش هذه الأقوال ، ولنضعها على محك التجربة ، وعلى محك أقوال القيادات الصهيونية ذاتها :ـ يؤكد الصهاينه على ضعف الصهيونية فى أمريكا ، وعدم مقدرتها على السيطرة حتى على اليهود . . ففى عام ١٩٥٣ صدر لكاتب صهيونى عريق يدعى اليعزر ليفنه كتاب . . « الدولة والشتات » ذكر فيه : « والحقيقة أنه لم توجد فى الولايات المتحدة فى أى وقت من الأوقات حركة صهيونية بالمعنى المقبول لهذه الكلمة ، فلقد كان للمنظمات الصهيونية فى أمريكا بصورة دائمة موقف مساند لاسرائيل فقط ولا شيء غير ذلك . . لقد عملت هذه المنظمات ليس على ترويج فكرة المشاركة الشخصية فى بناء البلاد (يقصد اسرائيل) ولكن على ترويج فكرة التأييد السياسى والمالى لمهمة يقوم بها آخرون . ان غياب أي رد فعل ذى اهمية معاد للصهيونية فى الولايات المتحدة هو أمر فرضه غياب صهيونية حقيقية . لقد اختارت اليهودية الأمريكية

سياسة تتسم بالمراضاة فى تخليها عن كل من الصهيونية ومعاداة السهيونية . »

فهذا الكاتب كغيره من الكتاب الصهاينة يرى ان المقياس الحقيقى لمدى صهيونية أية جالية يهودية هو فى مدى مساهمة هذه الجالية فى الهجرة الى « اسرائيل » والجالية اليهودية فى الولايات المتحدة بالرغم من أنها أكبر جالية يهودية فى العالم لم تشارك اطلاقا فى الهجرة .

وفى عام ١٩٥٨ صدر للكاتب الصهيونى هوارد مورلى سامز كتاب « مجرى التاريخ اليهودى المعاصر » يقول فيه « ان اليهود فى امريكا لم يكونوا ذوى علاقات قوية بالصناعات الرأسمالية الأساسية ، أى الفحم والفولاذ والمصارف والنفط والسيارات والسفن ووسائل المواصلات ، وهى الصناعات التى أنتجت ثروة أمريكا المذهلة . . ولم يكن معظم اليهود موجودين بين الأغنياء جدا أو بين الفقراء جدا ، بل فى وسط الطبقة الوسطى » .

وفى عام ١٩٧٥ كتب يهوشع تدمور فى صحيفة دافار معلقا على مناقشات اجتماع للجنة رؤساء المنظمة اليهودية الأمريكية ، الذى عقد فى اسرائيل فى شهر آب : عرفت بأنهم « يقصد رؤساء المنظمات اليهودية الامريكية » ليسوا صهاينة بالمفهوم الرسمى ، وهم يقولون ذلك صراحة ولا يعتقدون بأن اسرائيل هى الملاذ الأمين للشعب اليهودى . . كذلك لا يعتقدون بأن الحياة اليهودية الكاملة يمكن أن تكون فقط فى « اسرائيل » ، كما يزعم المبعوثون الاسرائيليون ، وهم يرون بأن هنالك حياة يهودية غنية فى الولايات المتحدة ، وهم لا يرغبون بالتحدث عن الهجرة الى « اسرائيل » ، وحتى هذا الموضوع لم يطرح على جدول الأعمال . . ان أولئك الذين لا يطرحون أنفسهم كصهيونيين هم أفضل مؤيدى « اسرائيل » وأصدقائها » .

الاندماج

وفى ١٩٧٨/٢/٢٤ وأثناء انعقاد المؤتمر الصهيونى التاسع والعشرين فى القدس ، أدلى الحاخام اليعزر بيرنشتاين رئيس حركة المزراحى ، التى تمثل التيار الدينى فى الحركة الصهيونية ، بحديث الى صحيفة هتسوفيه الاسرائيلية قال فيه : ان تأثير الصهيونية قد انخفض . . ولم يصوت فى الانتخابات للمؤتمر التاسع والعشرين فى الولايات المتحدة سوى أقل من ٢٠٠ الف يهودى ، من اصل حوالى ستة ملايين يهودى . . ان القول بأن الحركة الصهيونية فى الولايات المتحدة تضم حوالى مليون عضو هو ادعاء بعيد عن الحقيقة . . ان التضامن مع « اسرائيل » بين يهود الولايات المتحدة هو تضامن سطحى ، ولا أعرف ماالذى سيحدث فعلا لو كانت هناك خلافات بين « اسرائيل » والولايات المتحدة .

وقد كتبت هذه الصحيفة فى ١٩٧٨/٢/١٧ . . « ان الجالية اليهودية آخذة فى التناقص ، سائرة فى طريق الاندماج ، فان ٤٠٪ من يهود أمريكا تضرروا من الزواج المختلط ، بينما نسبة الزواج المختلط قبل عشر سنوات هى ١٠٪ فقط » .

وفى عام ١٩٧٨ أيضا كتب يوسف فى صحيفة يديعوت أحرونوت يقول « هناك ثلاثة ملايين يهودى على الأقل منفصلين تماما عن المؤسسة اليهودية فى الولايات المتحدة ، وهؤلاء فى غالبيتهم من أبناء الجيل الشاب ، ونصف الطلاب اليهود فى الجامعات يتزوجون زواجا مختلطا . . . وان عشرات المنظمات الصهيونية واليهودية تتجمل بقوائم أعضاء مضخمة ، لكن هذا خيالى لدرجة كبيرة ، فمعظم الهيئات هى أطر فارغة من المضمون الحقيقى » . . وأما دان اليعزر العالم الاجتماعى اليهودى الأمريكى فيقول : . . ان اليهود الأمريكيين يعيشون فى تناقص . . فى المركز يوجد نشاط فعال كبير . . ولكن فى الأطراف يوجد تآكل وانقراض فى الشخصية اليهودية ، ويوجد اختلاط بغير اليهود » . . وهذا ما نشرته له الصحيفة الاسرائيلية هآرتس . . . .

وفى كتاب صدر للكاتبة اليهودية نعومى كوهين فى نيويورك عام ١٩٧٨ قالت « ان اليهود الأمريكيين لم يتمتعوا بقوة سياسية خاصة ، وقد بولغ كثيرا فى قوتهم الاقتصادية . . صحيح أنهم أصبحوا مجموعة ميسورة ، ولكن ذلك عائد الى تمركزهم فى المدن ، وانتمائهم الى فئة أصحاب الياقات البيضاء ، وقد وفر لهم ذلك مستوى من الدخل أعلى من معظم المجموعات العرقية الأخرى ، هذا وقد لعبوا أدوارا هامة فى عالم الصناعات الخفيفة ، والمنتجات

والخدمات الاستهلاكية ، ولكنهم كانوا غائبين عن تطور الصناعة الثقيلة ، وحتى فترة قريبة لم يكونوا يشاهدون فى المناصب الادارية » .

وتقول « صحيفة هآرتس » إن القوة اليهودية فى أمريكا هى أمر غير ملموس ، ومن الصعب جدا قياسها . .

جنرال موتورز وامريكا

وقد يثار التساؤل التالى : بما أن اليهود فى أمريكا ليسوا بكتلة مترابطة مسيطرة على الاقتصاد الأمريكى . . فمن هو المسيطر اذن ؟

وأما الجواب فهو أن فئة البروتستانت البيض من أصل انجلوسكسونى هى المسيطرة .

ويطلقون عليهم فى الولايات المتحدة اسم WASPS الزنابير وهى عبارة عن الأحرف الأولى لاسمهم ، فكل الصناعات الثقيلة كالحديد والصلب والاسلحة والنفط ووسائل المواصلات كالسيارات والطائرات والمناجم وتكرير البترول والكهرباء تسيطر عليها عائلات بروتستانتية ساكسونية معروفة مثل : « دبون ـ فورد ـ روكفلر ـ أكسون ـ . . فلا اليهود ولا الكاثوليك لهم نفوذ حقيقى يذكر ، حتى أن كل هذه الصناعات قد وضعت دعاماتها قبل هجرة اليهود الكثيفة الى أمريكا ، ولم يكن لهؤلاء اليهود المهاجرين أى نشاط فى أى فرع من فروع الصناعة ، ولكنهم بعد ذلك دخلوا بعض المجالات على نطاق محدد وضيق ، والدليل على أن فئة البروتستانت السكسونية هى التى تحدد سياسة أمريكا داخليا وخارجيا وهى التى تحدد رؤساءها حسب قول أحد مديرى شركة جنرال موتورز : « ما هو جيد لجنرال الكتريك هو جيد لأمريكا » .

وكما تشير الحقائق الى أنه لاصحة اطلاقا للفرضية التى توضح بأن اليهود كتلة اقتصادية موحدة ، تشير ايضاً الى أن اليهود ليسوا كتلة انتخابية مترابطة ، من الممكن أن تعطى صوتها وتأييدها لمرشح معين دون آخر ، والدليل على ذلك نتائج الانتخابات التى تؤكد أن اليهود ككل لم ينحازوا ويدلوا بصوتهم لمرشح واحد ، فلم يسبق أن كان أحد مرشحى الرئاسة مؤيدا « لاسرائيل » ، والآخر معاد لها ، فان كل المرشحين أصحاب مصلحة فى قيام الكيان الصهيونى ، لذلك فهم يوزعون أصواتهم وفق مصالحهم وانتماءاتهم السياسية والاقتصادية ، ولم تكن هذه الأصوات أبدا عاملا حاسما فى تحديد نتيجة الانتخابات ، فكثير من الرؤساء الأمريكيين دخلوا البيت الأبيض ، مع أنهم لم يحصلوا الا على نسبة قليلة من أصوات الناخبين اليهود .

دور الصحافة

اذن أسطورة النفوذ الصهيونى ما هى الا خرافة كما قال الكاتب الاسرائيلى ناحوم ربيع فى صحيفة هآرتس عام ١٩٧٥ : « بمساعدة الصحافة نشأت خرافة القوة اليهودية السرية القوية التى تفرض ارادتها على الولايات المتحدة ، ويعتقد عدد من اليهود بأنه حتى لو كانت هذه الأسطورة غير دقيقة ، فانها تساعد على تقوية نفوذ وتأثير اليهود ، بينما يرى آخرون فيها مصدرا للخوف وعدم الراحة ، وهى بالنسبة لهم طبقة جديدة ، وربما أكثر اعتدالا من بروتوكولات حكماء صهيون » .

فكل الوقائع والحقائق تؤكد أن الامبريالية الأمريكية هى التى تصنع التأييد اليهودى الأمريكى والصهيونى والامريكى « لاسرائيل » ، وهي التى تحركه حسب كل مرحلة ، ولا ننسى أن نذكر قول موشي شاريت وزير خارجية « اسرائيل » ورئيس وزرائها السابق : « لا يمكن أن يساعد يهود الولايات المتحدة « اسرائيل » فى حالة قيام نزاع بينها وبين الولايات المتحدة ، ومعنى هذا أن مشاركة يهود الولايات المتحدة الفعالة فى بقاء دولتنا متوقفة على اندماج السياسة الخارجية « لاسرائيل » في السياسة العالمية لواشنطن ، ولن يساعدنا أخوتنا أبناء « اسرائيل » فيما وراء البحار اذا لم نخضع لرغبات حكوماتهم »

كلب حراسة

وقال اسحاق رابين عندما كان يعمل سفيرا لاسرائيل فى واشنطن فى صحيفة هآرتس ١٩٨٢ : « أعتقد أن ارتباط الشعب الأمريكى وادارته

« باسرائيل » يفوق وزن الجالية اليهودية ونفوذها ، وفي مقالة نشرها رئيس تحرير الصحيفةنفسها ويُدعى جريشوم شوكن قال : « لقد أعطيت « اسرائيل » دورا لا يختلف عن دور كلب الحراسة ، ولا داعي هناك للخشية من أن تمارس « اسرائيل » سياسة عدوانية تجاه الدول العربية ، اذا كانت هذه السياسية تتعارض مع مصلحة الولايات المتحدة وبريطانيا ،ولكن اذا شاء الغرب لسبب أو لآخر أن يغمض عينيه ، فبالامكان الاعتماد على « اسرائيل » لتنزل عقابا قاسيا بتلك الدولة المجاورة التي تتجاوز الحدود المناسبة في قلة أدبها تجاة الغرب » .

وأما المعلق السياسي لصحيفة هآرتس يوئيل ماركوس فيقول : « بسبب أزمة الطاقة وارتباط الدول الغربيةبشكل لم يسبق له مثيل بدول النفط ، يحتاج الغرب إلى « اسرائيل » مثل حاجته الى كلب حراسة ذي اسنان حادة ، مربوطة بالسلاسل الأمريكية الطويلة جداً بحيث يؤذن له بغرس أسنانه اذا تحدوه أكثر من اللازم .

إذن « فاسرائيل » هي جزء من الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط ، فمصلحة الصهيونية في التوسع واقامة دولة قوية ، تخدم في نهاية الأمر اهداف الامبريالية الأمريكية ، يقول هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية السابق « ان ما هو جيد للولايات المتحدة في الشرق الأوسط جيد « لاسرائيل » ، ومصالح الولايات المتحدة « واسرائيل » تتناسب مع بعضها ، لأن وجود « اسرائيل » قوية هو لصالح المصالح الأمريكية » .

وقد وضح اسحق رابين في صحيفة معاريف عام ١٩٧٢ مهمة « اسرائيل » بقوله « : ان « اسرائيل » قد حصلت على مكانة خاصة في الوعي الأمريكي ، وثمة أسباب عديدة لذلك ، « فإسرائيل » تقف حجر عثرة في وجه الاتحاد السوفيتي ، وتقف كصخرةجبل طارق في وجه الوطن العربي بأسره » .

الوجود والمصلحة الامريكية

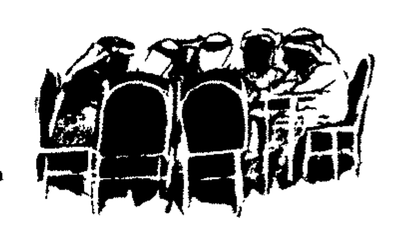
وأما صديق موشي ديان الكاتب الاسرائيلي حجاي ايشد فقد ذكر لصحيفة دافار عام ١٩٧٣ ، « أن ما هو مشترك بين « اسرائيل » والولايات المتحدة يتعلق أساسا بالمحافظة على ميزان القوى والردع بالنسبة للعرب والسوفييت . . ان وجود « اسرائيل » قوية سيبقى مصلحة أمريكية على الصعيد العالمي » . وقال الكاتب الاسرائيلي اوري دان في صحيفة معاريف عام ١٩٧٦ : « ان شعار تنسيق المواقف بين واشنطن والقدس قد تحول إلى شعار مضحك خال من المضمون ، ذلك لأن هناك مواقف واضحة لجانب واحد فقط هو الولايات المتحدة ، ولكن ليست هناك أية سياسة واضحة « لاسرائيل » ولذا نرى أنها تتكيف على مراحل مع السياسةالامريكية» .

فما « اسرائيل كما أوضحت كل هذه الشواهد الا أداة لأمريكا ، وما أسطورة النفوذ الصهيوني الا وهم وحكاية لا أساس لها من الصحة ، وما هي الا خرافة قدمت لنا على طبق أميركي صهيوني لتشويه الصورة الحقيقية التي لا يمكن أن تخفى على كل متأمل للأحداث والبراهين . □

المال أمره عجيب

اذا كان الانسان يسعى وراء المال يقال عنه أنه مجنون مال ، واذا احتفظ بالمال فأنه رأسمالي ، واذا انفقه يقال عنه انه سفيه ، واذا لم يحصل عليه يقال عنه أنه نحس ، واذا لم يحاول الحصول عليه يقال عنه أنه ينقصه الطموح ، واذا حصل عليه دون عناء يقال له طفيلي ، واذا حصل عليه بعد كفاح مرير وقضى عمره في تحصيله يقال عنه أنه مجنون لم يحصل من الحياة على شيء .

المنتدى العربي
تعقيبات



عن محدث الديار الشامية الأكبر . . .
العلامة الشيخ : بدر الدين الحسيني

جاء في العدد ٣٢٢/ من « العربي » الصادر في سبتمبر ١٩٨٥م ، في المقالة القيمة التي سطرها د. صالح الخرفي ، تحت عنوان (عروبة المغرب العربي) (وبدر الدين الحسيني ١٨٥١ - ١٩٣٥ « لم يكن (محدث الشام في عصره) فحسب كما قال الزركلي في الاعلام) ، ولا الزاهد في البيعة على الخلافة من أهل دمشق في وجه الاتحاديين وبطشهم ، وانما كان الأب الروحي للثورة ضد الاحتلال الفرنسي لبلاد الشام».

ثلاث حقائق لم يعطها المؤرخون حقها ، تنصف العلامة الشيخ بدر الدين الحسيني :

طلب جمال باشا السفاح من الشيخ بدر الدين أن يتحفه ببعض ارشاداته خطا ، يريد بذلك الحصول على شهادة تبرىء ساحته ، فأرسل اليه الشيخ بدر الدين الأستاذ الشيخ محمد يحيى المكتبي ، يحمل كتابا فيه عنف مع الحكمة

ودعم الشيخ بدر الدين الحسيني الثورة العربية الكبرى ، وحمل فيصل كتابا بذلك لأبيه الشريف حسين . ولما علمت الحكومة العثمانية بخروج الحسين عليها ، أفتت بخروجه عن الطاعة ، وطلبت مقاتلته ، وصادق أناس على هذه الفتوى ، خوفا من الشنق أو الابعاد ، أو من كليهما ، ولما انتهى دور ختمها الى الشيخ بدر الدين ، امتنع فحاولوا اقناعه بالوعد تارة ، وبالوعيد أخرى ، حتى أن جمالا الطاغية كلف تاج الدين نجل الشيخ بدر الدين أن يقنع والده بختمها فأبى ، لوقوفه رسميا مع الثورة العربية الكبرى .

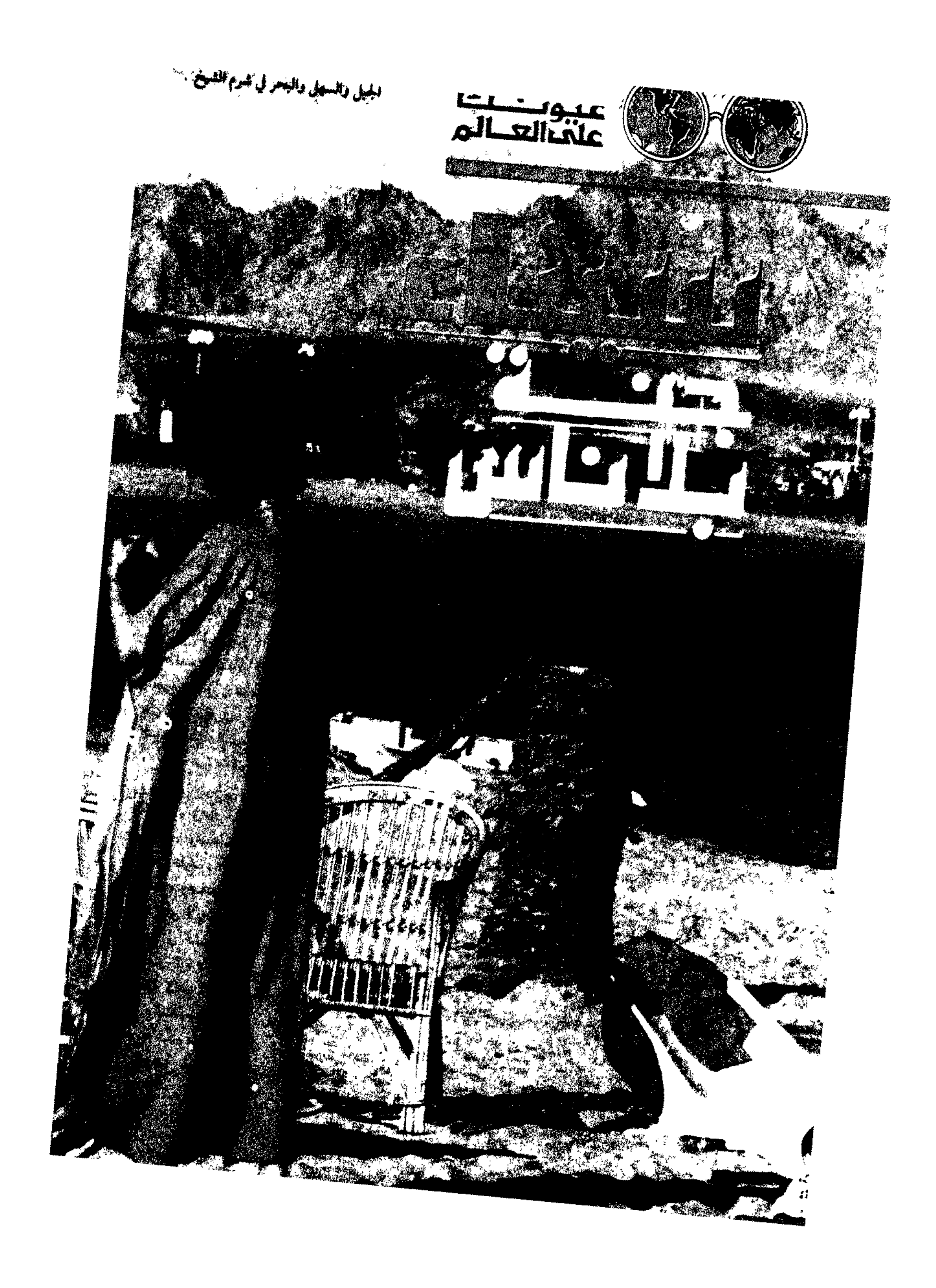
لما وصل غورو الى دمشق - أوائل أغسطس (آب) ١٩٢٠ - رفض الشيخ بدر الدين مقابلته ، ومنع الناس من دفع الضرائب للفرنسيين ، أو التعامل معهم وصار في دروسه العامة تحت قبة النسر في المسجد الأموي يعلن أن الجهاد فرض على الناس .

ومما يذكر ان الضابط المغربي « عطاف باشا » كان يزور المسجد الأموي بين آونة وأخرى ، ليسترق النظر الى الشيخ بدر الدين .

قال لي أبو الهدى العاني في مقابلة تمت في وزارة الاوقاف بدمشق أوائل الشهر السادس عام ١٩٧٥ : « ترصدت عطاف باشا أياما ، ولما جاء الى المسجد الأموي زائرا ، قلت له : « المجاهدون في بلدة حرستا بحاجة الى سلاح » فقال عطاف باشا : « طيب ، غدا سنخرج بحملة الى بلدة دوما ، وفي طريق العودة ستنشطر الحملة شطرين ، شطر سيرجع من الطريق الرسمي ، وشطر سينطلق من دوما عن طريق ترابي شمالي بين البساتين ، وهذا الشطر كله من المغاربة ، سنضع للمجاهدين كمية من السلاح والذخيرة في كرم الشيخ موسى بحرستا » . وفي طريق عودة الحملة وفي كرم الشيخ موسى أنزل عطاف باشا ومن معه حمولة أكثر من مئة بغل ، وكان الثوار وقائدهم أبو عمر ديبو الشيخ على بعد ٥٠٠ متر فقط ، ينظرون من خلف الأشجار ، وبعد انزال السلاح والذخيرة ، أطلق عطاف باشا سبع طلقات في الهواء اعلاما للثوار بانتهاء العملية » .

وذكر الشيخ محمد الأسمر « أن عطاف باشا ساعده وقدم له كمية جيدة من السلاح ، ولما تنبهت فرنسا الى ذلك ، كانت حياة عطاف باشا الثمن » . □

شوقي ابو خليل


الجبل والسهل والبحر في شرم الشيخ
عيوننا على العالم

استطلاع : منير نصيف
تصوير: سليمان حيدر



عاشت منسية مهملة لقرون طويلة رغم تاريخها الغني الحافل الموغل في القدم وفجأة اكتشفنا هذه البقعة الخالدة من الارض العربية التي ارتوت بدماء شهدائنا فعدنا اليها نبني ونعمر وكأننا نلتقي بها للمرة الاولى انها قصة ارض القمر والفيروز انها قصة سيناء

قلت أحدث نفسي ، وانا أرفع نظرى الى سلسلة الجبال الشامخة التي تربض على جانبي الطريق الذى كنا ننطلق فيه بالسيارة ، في الوادى السحيق الذى ينبسط أحيانا ويضيق أحيانا ، حتى ليخيل اليك أن هذه الصخور الهائلة التي ترتفع هاماتها توشك أن تتساقط فوق رأسك ، قلت « أليس غريبا ان يفنى الانسان جيلا من بعد جيل على امتداد آلاف السنين ، ويبقى الجبل شامخا في مكانه ، شاهدا على الأحداث التي مرت من حوله وأمامه وكأنه يختزنها في بطنه ليوم يحكي فيه مارأى ! ولكن أى يوم ، وهل عرف البشر جبلا يتكلم ؟

فالجبال إذن شاهد حضارة ولكنها حضارة باقية صامتة ، وفى ذلك قال توينبي المؤرخ الانجليزي يوما « كنت أقف أمام آثار الحضارات التي اندثرت وأبكى ، لأنها لن تعود ، كم تمنيت لو أنها بقيت صامدة صمود الجبل !

ولكن أى جبل ؟ وأى حضارة وعن ماذا نتحدث ؟ إنها شبه جزيرة سيناء ، تلك البقعة من الأرض العربية التي ورد اسمها في القرآن وفى التوراة وأسموها في التاريخ ،لقديم والحديث أرض القمر ، وأرض الفيروز . وأرض الشمس المشرقة ، وأرض الأنبياء وأرض الموت والجدب ولعل هذا الاسم الأخير هو الذى رافقها والتصق بها لسنوات عديدة ، فقد نسيها أهلها وأهملها أبناؤها الى ان ضاعت منهم ! وكما يضيع أى شيء ثمين ، فيحس أصحابه بقيمته ، بدأ أصحاب الأرض يحسون لأول مرة بقيمتها ، فلما استردوها ، أقبلوا على الأرض السليبة يبنون ويعمرون ويصنعون الحياة الجديدة على شواطئها وفى وديانها

لقاء خاطف

كان لقاؤنا بها سريعا خاطفا أو كما قال لنا أحد الصحفيين الزملاء في مصر « أنتم لم تزوروا سيناء ، ولكنكم فقط زرتم الطريق المؤدى اليها ، انكم في حاجة الى عدة أسابيع لا بضعة أيام محدودة ، تركبون فيها البر والبحر والجو وتجوبون فيافيها وقفارها من الشمال الى الجنوب ، ومن الشرق الى الغرب عندئذ فقط تستطيعون أن تقولوا انكم زرتم سيناء ! »

وكان الزميل على حق ولكن الخطأ لم يكن خطأنا ، فقد كان الحماس يملؤنا ونحن نستعد لهذه الرحلة التي سيزور فيها « العربي » سيناء لأول مرة ، ولكن ما كدنا نبدأ حتى اصطدمنا بالمعوقات التي تصنعها البيروقراطية في الكثير من مرافق الحياة في وطننا العربي

وكانت النتيجة أننا لم نر من سيناء الا المحافظة الجنوبية بمدنها الأربع الرئيسية الصغيرة ، شرم الشيخ ، والطور (العاصمة) ، ودهب ، ونويبع ، أما العريش عاصمة المحافظة الشمالية وأهم مدن سيناء كلها ، حيث تجرى الان أكبر عملية بناء تشهدها هذه المنطقة ، فلم نزرها رغم أنها كانت في رأس برنامج استطلاعنا صحيح أنهم رحبوا بنا ودعونا الى المجيء ، ولكن الدعوة جاءت متأخرة ! فقد كانت مهمتنا محدودة لارتباطنا بأعمال أخرى

التاريخ مر من هنا

ونعود الى حديثنا عن سيناء قبل أن نمضى في رحلتنا القصيرة معها وفوق أرضها أرض التيه والرسالات التي دارت فوق رمالها عشرات المعارك سارت عليها جحافل جيوش الغزاة ، منذ أن عرف الانسان أول أداة من أدوات القتال

جيوش الهكسوس والأشوريين ، ثم جيوش الصليبيين ، وجيوش صلاح الدين الأيوبى التي ألقت بهم في مياه البحر ، وكانت بعد ذلك مسرحا لمعارك

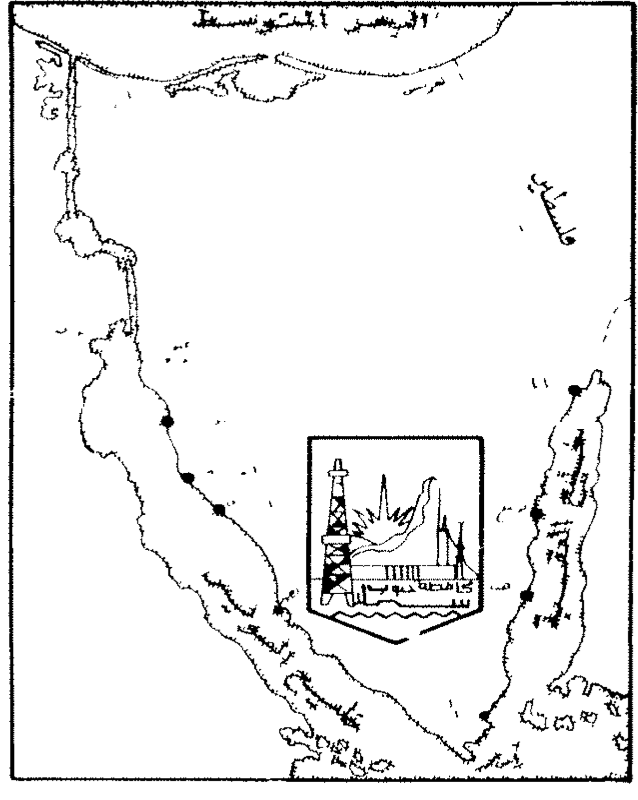
الجيش المصرى العربى فى عام ١٩٤٨ ، ثم فى عام ١٩٥٦ ، وفى عام النكسة ١٩٦٧ ، وأخيرا فى عام النصر ، عام ١٩٧٣ وكان العدو فى كل هذه المعارك واحدا اسرائيل التى زرعها الاستعمار فى قلب الوطن العربى ، لتصبح سرطانا يتهدد جسم هذه الأمة !

كان لابد أن نقرأ عن سيناء قبل أن نبدأ رحلتنا اليها ، فهذا هو لقاؤنا الأول بهذه الأرض العربية التى وقفت صامدة تتحدى التاريخ كما يجهل الكثير عنها ، وما أكثر جهل المواطن العربى بأرض هذه الامة الواسعة الشاسعة التى تمتد من الخليج الى المحيط وبدأنا نفتح الكتب ونقرأ فى سطورها ما أعظم التاريخ الذى مر به سيناء بين ودیانها شق الأنبياء والقديسون طريقهم الى مدخل وادى نهر النيل العظيم ، ودخلتها جيوش المسلمين فى عصر عمر بن الخطاب بقيادة عمرو بن العاص الى مدينة الاسكندرية،وكان طريقهم وسط جبالها هو نفس الطريق الذى سلكه المصريون القدامى (الفراعنة) طريق حورس ، الذى سار فيه من قبلهم ابراهيم ويعقوب ويوسف وقمبيز والاسكندر الأكبر ثم أسرة المسيح عليه السلام

كانت سيناء ، هذه الأرض الشاسعة التى تشبه فى شكلها المثلث المقلوب الذى تستقر رأسه فى الجنوب عند رأس محمد على البحر الأحمر ، وقاعدته فى الشمال على البحر المتوسط من مدينة بورسعيد غربا الى مدينة رفح شرقا ، على امتداد مائتى كيلو متر تقريبا كانت سيناء منذ فجر التاريخ قطعه من أرض مصر ، لا يفصلها عن الوطن الأم سوى ذلك العزوف من أبناء مصر عن العيش فوق هذه الأرض ، لأنها بعيدة عن النيل ومياهه التى يرتوون منها ، ويروون بها أرضهم وحيواناتهم

الأرض المهجورة

وهكذا بقيت سيناء أرضا مهجورة إلا من أبنائها الذين نبتوا فيها ، أو رحلوا اليها من شبه الجزيرة العربية ، أو من بلاد الشام العرب الرحل الذين ينتمون الى قبائل عدة ولكنهم فى النهاية عرب الصحراء مأواهم وخيام الشعر بيوتهم ،



محافظة جنوب سيناء

والابل سفنهم ، ينتقلون بها ومعها سعيا وراء الماء والكلأ فهم لم يعرفوا حياة أخرى

أما أبناء وادى النيل الذين أصبح هذا الشريط الضيق الأخضر على جانبى النهر يضيق بهم ويضيق عاما من بعد عام ، حتى لم يعد فيه موضع ومكان لمزيد من الأنفس التى تتضاعف على مر السنين ، أما هؤلاء الذين التصقوا بالأرض فقد كان مجرد التفكير فى الهجرة الى سيناء المقفرة التى تزيد مساحتها على واحد وستين الف كيلو متر مربع ، أى ثلاثة أمثال مساحة دلتا النيل المزدحمة المكتظة كان مجرد التفكير فى الانتقال الى هذه الأرض الجديدة يثير فى نفوسهم الرعب والهلع وبقى هذا حالها خلال الأعوام الطويلة التى سبقت ثورة يوليو عام ١٩٥٢ وربما كان حفر قناة السويس فى عهد اسماعيل باشا ، من الأسباب التى ضاعفت من عزلتها ، فقد أصبح هناك ممر مائى يفصل بين خليج السويس أحد ذراعى البحر الأحمر وبين البحر المتوسط وهكذا امتد الشاطىء المائى لمسافة أربعمائة كيلو متر تقريبا وكادت هذه



رأس كندي
بحجمه الطبيعه
وسط الجبال !

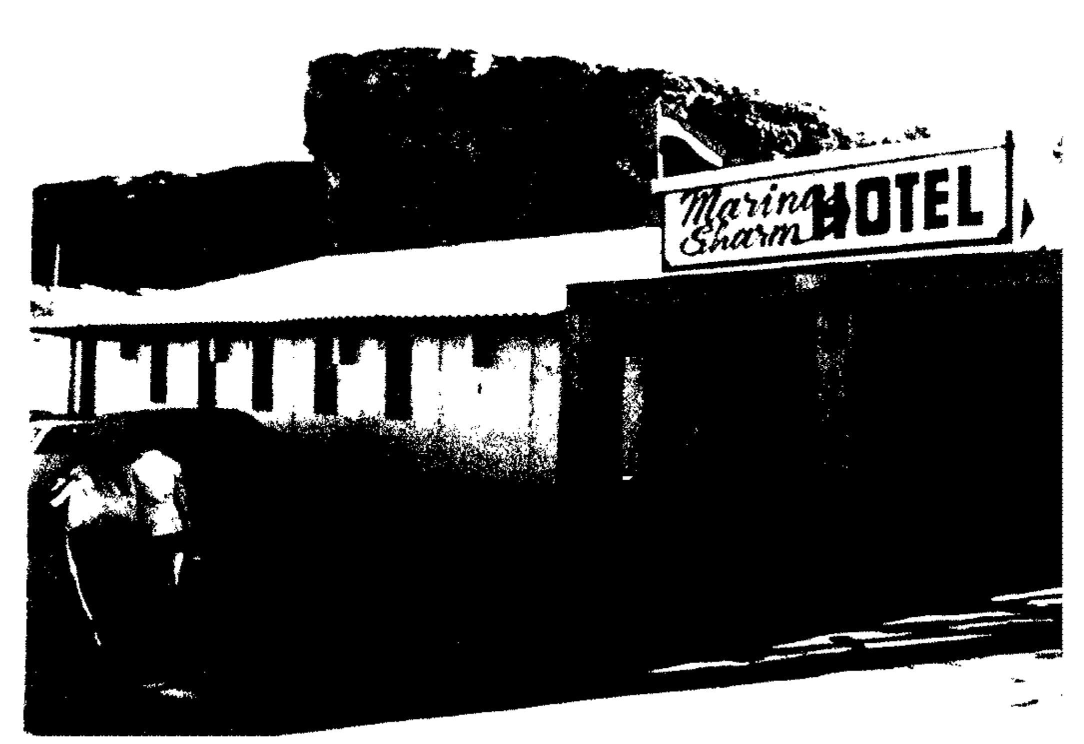


فرع لاحد
مصارف مصر
في جنوب
سيناء



جانب من
المساكن الجديدة
التي شيدت
لأبناء سيناء
العاملين فيها

هذه القباب غرف بكامل مرافقها اقيمت على شاطىء البحر بجوار الفندق الرئيسي الذي شيد لاستقبال السائحين والزائرين في شرم الشيخ



العزلة تقتل سيناء بعد أن ابتعدت بها كثيرا وطويلا عن بقية أنحاء مصر

دبيب الحيـــاة

ثم جاءت الثورة ، وتم جلاء القوات البريطانية عن مصر ، وعن منطقة قناة السويس بالذات ، وأمم عبد الناصر القناة نفسها في عام ١٩٥٦ وخلال تلك السنوات الأربع بين نشوب الثورة وتأميم القناة ، شهدت سيناء ، ولأول مرة في تاريخها يد الاصلاح تمتد اليها لتبني وتوفر لابنائها حياة كريمة وكان التعليم أول أهداف الثورة ، وبدأ بناء المدارس التي انتشرت في المناطق السكنية ، ولم يكن في سيناء كلها في ذلك الوقت سوى مدرسة واحدة في مدينة العريش في الشمال ، وفي الوقت ذاته بدأ الأعراب من ابناء الصحراء الجبلية القاحلة يسمعون دبيب الحياة انها مياه النيل التي بدأ أول مشروع لتوصيلها الى المنطقة الواقعة شرقي قناة السويس ، لري مساحة من الأرض تزيد على العشرين ألف فدان كانت عيون الثورة اذن على سيناء المنسية على أرض المستقبل

ولكن العدوان الثلاثي الذي أعقب تأميم قناة السويس وشاركت فيه بريطانيا وفرنسا واسرائيل عطل اتمام المشروع ، وانقضت بعد ذلك فترة طويلة شغل فيها المسؤولون في مصر عن سيناء وتعميرها ، بمشاكل أخرى ، وكادت السحابة تنقشع لولا العدوان الثاني في عام ١٩٦٧ الذي أسفر عن انتكاسة مازالت الأمة العربية تعاني من اثارها حتى اليوم وتوقف مشروع المياه ، ولكنه ايضا كان توقفا مؤقتا وبعد حرب الاستنزاف التي قادت مصر الى خوض غمار أول معركة مواجهة حقيقية ضد الجيش الاسرائيلي في عام ١٩٧٣ ، وما تلا ذلك من أحداث انتهت بعودة سيناء الى عروبتها ، عاد العمل في المشروع الذي يستهدف انشاء ثلاثة أنفاق لتوصيل مياه النيل الى الصحراء القاحلة

في انتظار مياه النيل

ان سيناء وأهلها والوافدين اليها من الوادي المزدحم ، كلهم ينتظرون الانتهاء من هذا المشروع الحيوي الذي سيعيد الحياة الى الأرض التي ظلت مهملة منسية قرونا طويلة ، بكل ما تحويه في جوفها من ثروات ! ويوم تجري مياه النيل فوق هذا الجدب في هذه الأرض المترامية ، ستتحول سيناء الى أقوى منطقة جذب لهؤلاء الذين مازالوا يلتصقون بالنيل وواديه ، ويرفضون الافتراق عن البقعة التي نشئوا فيها !

ربما نكون قد أطلنا بعض الشيء في حديثنا عن سيناء قبل أن نلتقي بها ولكنها مقدمة كان لابد أن نسوقها ونتوقف عندها ، قبل ان نتابع رحلتنا فوق هذه الأرض ولقد كانت هذه هي المرة الأولى التي نرى فيها سيناء ، كما ذكرت وكان اللقاء بها مشوقا مفاجئا فقد كنا نتوقع أن نرى أي شيء في سيناء الا هذا الذي رأيناه من نافذة الطائرة الصغيرة التي تقوم بأربع رحلات أسبوعيا الى شرم الشيخ ، المنطقة التي انطلقنا منها في رحلتنا الى المدن الأربع التي ذكرتها من النافذة رأينا الصورة جبال شاهقة تعلو كثيرا فوق سطح البحر ، ويخيل اليك وأنت تتطلع اليها أنها تكاد تلامس جسم الطائرة التي تحاول أن تبعد بصرك من وراء نافذتها المعلقة وهي جبال متجاورة متلاحمة وكأنها قطعة واحدة ترتفع وتنخفض ، وبين الحين والحين ترى الهوة السحيقة التي تفصل بينها

عرب مغتربون

قال لنا أحد رفقاء رحلتنا ، ويبدو انه اعتاد هذا المشهد من خلال زياراته المتكررة لسيناء بحكم عمله « أنتم غرباء عن مصر اذا لم أكن مخطئا ؟ »

قلنا « بل نحن عرب ، وما أكثر ما يشعر العربي بالاغتراب عن أرضه ووطنه ! »

قال « نحن الان نحلق فوق المنطقة الجبلية من سيناء ، هنا أعلى الجبال وأكثرها انحدارا انهم يطلقون عليها اسمُ المرتفعات الجبلية ، وهي تقع بين خليج السويس غربا وخليج العقبة شرقا هنا من تحتنا مباشرة أكثر الجبال ارتفاعا في مصر ، اذ يصل ارتفاع أعلى قمة من قمم هذه الجبال الى أكثر من ٢٦٤٠ مترا فوق سطح البحر !

كان واضحا من نظراتنا الخاطفة الى هذه المرتفعات



اللواء مجدي سليمان محافظ جنوب سيناء هدفنا في هذه المرحلة الاهتمام بالسياحة وتطوير المرافق والخدمات نحن في أنتظار وصول مياه النيل

الهائلة أننا أمام طبيعة قاسية وعرة ، أو كما يقول بعض المشتغلين بالطوبوغرافيا : « انها أعقد وحدة في تضاريسها على سطح الأرض ! »

ولكن المشهد لم يكن كله جبلا ومرتفعات ، فقد التقطت عيوننا من الارتفاع زرقة مياه البحر ، وصفرة رمال الصحراء ، في الوادي الممتد الذي يبدو أمامنا بلا حدود وبلا نهاية . .

ولكن ما أبعد الفرق بين ما رأيناه من هذا الارتفاع الكبير ، وبين الذي التقينا به وجها لوجه ، عندما عدنا نضرب الأرض بأقدامنا ، بعد هبوط الطائرة في مطار شرم الشيخ .

انها الجنة

قال لي زميلي المصور ونحن نقف أمام الفندق الذي يشرف على مياه الخليج مباشرة : « لم أكن أتصور أن أرى كل هذا الجمال في هذه البقعة من الأرض . . تأمل لون المياه الزرقاء . . ثم هذه السماء الصحوة ، وتلك الشمس الدافئة المشرقة في عز الشتاء ألا ترى معي انها الجنة ؟ ! » .

ووقفنا نتأمل هذا العناق الأبدي ، بين مياه البحر والرمال الناعمة التي تغطي الشاطىء . . لوحة رائعة يأتي اليها ألوف السائحين من جميع أنحاء العالم . .

ولكن أين الناس ؟ بالكاد وجدنا عددا لا يزيد على أصابع اليدين من الأجانب الذين جاءوا من ألمانيا وايطاليا ليسبحوا في مياه الخليج الدافئة ، ويغوصوا في أعماقه ، ليسجلوا بعدساتهم صور الشعب المرجانية والأسماك الملونة التي تشكل صورة من صور الحياة في أعماق البحر !

وأهل سيناء ؟ ان آخر الاحصائيات تقول ان عدد السكان بالنسبة لمساحة هذه الأرض الشاسعة لا يزيد على فرد واحد لكل كيلومترين ، حتى بعد السماح بالهجرة من وادي النيل الى الأرض المسبية التي عادت الى الوطن الأم بعد رحلة طويلة من القهر والعذاب في ظل الاحتلال الاسرائيلي .

رحلة جديدة

قبل عام ١٩٧٩ كان جنوب سيناء منطقة عسكرية ، الى أن كان يوم ١٦ نوفمبر من ذلك العام عندما انتقلت السلطات الى المحافظة ، ومع هذا الانتقال بدأت رحلة جديدة في تاريخ شبه الجزيرة . . مرحلة بناء وتعمير ، لعلها الأولى من نوعها ، من أجل تعويض هذه المنطقة عن سنوات الحرمان والاهمال التي عاشتها قبل الاحتلال الصهيوني ومن بعده ، وفي ظله !

فلم يكن في سيناء أي مظهر من مظاهر التجمعات السكانية المستقرة ومن هنا كانت البداية وعلى الفور بدأ تنفيذ مشروعات الاسكان والطرق والمرافق الحيوية . والمشروعات الانتاجية والأمن الغذائي . . فقد كان لابد من اقامة مجتمعات جديدة تعتمد على الامكانيات المتاحة محليا . .

وقد أخذ المسؤولون في المحافظة بزمام المبادرة ، وقاموا بالتوسع في انشاء الطرق المرصوفة والأرصفة البحرية في مدينة شرم الشيخ .

في جنوب سيناء تسخو الطبيعة . . وهو سخاء بلا حدود . البحر والسهل والجبل في بقعة واحدة ، تنفرد بكل المقومات التي يبحث عنها السائح الذي ينشد الجمال والهدوء .



عربي مع ناقته صحبة أبديه
وعراقة





« انا بنت الصحـراء لم اعـد مهملة منسية »



سائحة المانية في عباءة بدوية !

البـدو في سينـاء حيث
تسخو الطبيعة في أجمل
صورها



انا نتحدث عن شيء رأيناه وواقع عشناه ، ولو لفترة قصيرة ، ولكنها كافيه لأن ترى معهـا تلك الشواطىء الرائعة على خليج السويس غربا ، وعلى خليج العقبة شرقا .. انها الذراعان اللتان تحتضنان هذه الأرض التي قدر لأبناء مصر والأمة العربيه من هـذا الجيل أن يشهـدوا نهايه اغتـراب هذه المنطقه الغالية من الأرض العربية بعد احتلال دام لأكثر من ست سنوات امتدت وكأنها دهر

شجرة النخيل !

ثم تلك الوديان الجميلة التي تحتضنها الطبيعه وما تحويه فوق رمالها ، وعند سفوح الجبال المطلة عليها من كهوف وآثار قديمة ، تحيط بها أشجار النخيل .. تلك التي عاشت تحكي قصة الحياة مع كل بقعة في قلب رمال الصحراء الساحرة ، تصل اليها قطرات الماء ، حتى لو كانت في جوف الأرض وأي جوار أجمل وأروع من هذا الذي عرفـه الاعرابي في قلب الصحراء ، بينه وبين هذه الشجرة التي تمتلىء أغصانها بثمار الوفاء ، حتى أصبحت التمور ولبن الناقة أعلى وأول ما يقدمه للغريب حين يحل عليه ضيفا !

والعرب .. عرب أينما حلوا بعاداتهم وتقاليدهم الأصيلة العـريقـة ، التي تـوارثـوهـا عن الآبـاء والأجـداد .. وبعض أهل سينـاء يسكـنون المدن والقرى الصغيرة المنتشرة حولها ، والبعض الاخر من البدو الرحل يعيشون في خيام لها قدر من الاستقرار طالما ان أسباب الحياة لا تضطرهم الى التنقل من واد الى آخر ، مع حيواناتهم التي لا يفترقون عنها ..

ولعل أبرز معالم تلك التقاليد الأصيلة التي يتحلون بها ، هي الفروسيـة التي بقيت الغالبـة عند الأمم والشعوب دهورا طويلة .. وكغيرهم من الفـرسان نراهم يكبرون الشجاعة ويحتقرون الجبن ، وواجبهم الأول الذي يحرصون عليه هو الدفاع عن قبيلتهم .. وهـذا النزوع الى تـأكيد الأمن في ديـارهم جعلتهم يتصدون دوما للغريب ..

حضارة قديمة

ولم تكن سيناء يوما أرضا بلا حياة .. فقد قامت فوق رمالها حضارة صنعها أهلها ، ويقول الدكتـور أحمد فخري في كتابه « سيناء تاريخها وآثارها » : « اننا اذا رجعـنا الى أقدم العصـور ، أو الى أيام العصـر الحجري ، نجد أن من كانوا يعيشون في سيناء عرفوا كيف يستخدمون الأدوات التي صنعوها من « حجر الصـوان » الذي يشبه ما كـان مستخدمـا في شرق أفريقيا وفي غرب اسيا وقد تم العثور على تلك الأدوات منذ وقت قريب ، وكان أهم ما عثر عليه في السنوات الأخيرة في وادي العريش »

وقد عرف المصريون القدامى والفراعنة طريقهم الى سيناء ، بل ربما يكونون قد عرفوا كيف يستغلون هذه الأرض أكثر من المصـريين المحـدثين ، فمنـذ أربعة آلاف وسبعمائة عام ، كانوا يوفدون جماعات منهم لاستخـراج المعـادن من جبـال سيـنـاء ، في الجنوب وكان الفيروز والنحاس أكثر ما وجدوه وحملوه معهم في رحلة العودة ومن هنا جاء اسمها « أرض الفيروز ! »

ولكن البدو كانوا هناك منذ هذا التاريخ البعيد ، قبل أكثر من سبعة وأربعين قرنا من الزمان ، وكان لابد أن يتحركوا ، فقد كـان البدو من أهـل سيناء يخـرجـون اليهم ويتعـرضـون لهؤلاء الغـربـاء ، ويتهددونهم ان هم بقوا فوق أرضهم !

ملاحم الأبطال

وفي العصر الاسلامي بعد مجيء عمرو بن العاص الى مصر عبر سيناء ، نقرأ الملاحم التي تحكي قصص الأبـطال الذين وقفوا في وجه التتـار والصليبيين ، والأدب الشعبي في مصر يحتفل بالظاهر بيبرس الذي يتصدر اسمه قائمة هؤلاء الأبطال ، فقد استطاع أن يحتل مكانا بارزا في ذاكرة الشعب ، وكانت شجاعته في الـدفـاع عن سينـاء هي التي صنعت لـه هـذه المكـانـة .. فهـو الـذي حقق النصـر للمصـريـين والعرب ، وتمكن من صد المد المغولي والصليبي ، وقد ظل اسم هذا البطل يتردد على ألسنة القصاصين حتى أوائل هذا القرن .

هل نمضي في الحديث عن سيناء في التاريخ ؟ يبدو أننا ابتعدنا كثيرا عن حاضر سينـاء ، وعن المستقبل الذي ينتظر هذه البقعة من الأرض العربية .. ولكنها وقفة أمام التاريخ ، كان لابد لنا أن نقفها ، لننقـل



صوره لما كانت عليه الحياة في هذه الارض ، ونحن تمضي في رحلتنا فوق رمالها

صحيح انه ماض ... وربما كان بعضه ضاربا في جذور التاريخ ، بعيدا عن الواقع الذي تعيشه سيناء ... ولكن أليس الحاضر ... حاضر أي بلد ، هو امتداد للماضي القديم !

نقطة اللقاء الأبدي

ان أهمية سيناء على مر العصور ، كانت وما زالت تكمن في موقعها حيث تلتقي اسيا وافريقيا برا ، وحيث يفترق البحر المتوسط والبحر الأحمر ... أما شمال شبه الجزيرة فيقع عند طرف هلال كبير ، يشمل بلاد الشام والعراق ، حيث يقترب بحر ثالث من الطرف الجنوبي للعراق ، وهو الخليج العربي

وقد عاشت سيناء لأكثر من ست سنوات في ظل الاحتلال الاسرائيلي ، الى جانب معاناتها الطويلة ، كما ذكرنا ، نتيجة اهمالها ونسيانها ، حتى ان الكثيرين من أبناء مصر عاشوا ورحلوا دون أن يعرفوا أن سيناء كانت وما زالت جزءا من أرض مصر العربية

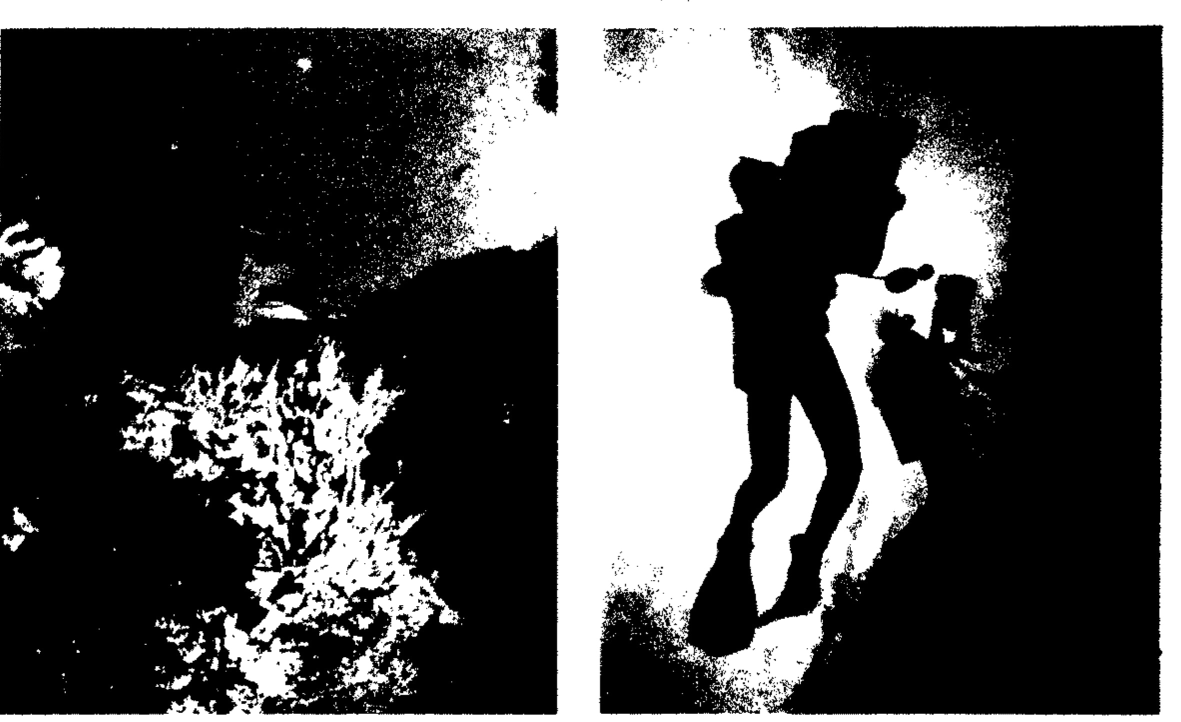
ومن هنا بدأت عملية اعادة تشكيل الحياة على هذه الارض بعد عودتها الى الوطن الأم

ولكن قبل ان نخوض في الحديث عن المستقبل الذي حددت الدولة كل امكاناتها لصنعه ، لابد لنا من رحلة قصيرة تمر خلالها سريعا على حاضر سيناء ، او على الأصح محافظة جنوب سيناء التي أمضينا فيها بضعة أيام ، كان لنا فيها لقاء بالأرض والناس الذين يعيشون فوقها

الصوره التي طالعتنا في المدن الأربع التي زرناها ، وهي كما ذكرنا شرم الشيخ والطور (عاصمة المحافظة) ، ودهب ونويبع ... وهي صوره لمجتمعات سكنية جديدة لم يكن لها وجود قبل سنوات قليلة حلت ... عمارات جديدة في شرم الشيخ وفي دهب وفي نويبع ... ومدارس ومستشفيات ومزارع لتربية الدواجن وتسمين العجول وبحث دائب لاختيار مواقع الأراضي التي تصلح للزراعة ، بعد أن تصل اليها مياه النيل ، وبعد أن ينتهي العمل في اقامة محطات تحلية مياه البحر ، لان نسبة الملوحه في مياه الابار في سيناء مرتفعة ... فالأرض تختزن مياه الأمطار في جوفها ، ولكنها تختلط في ابارها عبر المرئيه بمعادن كثيرة تذوب فيها وتفقدها صلاحيتها للزراعه !

وفي مدينة الطور كان لنا لقاء بمحافظ جنوب سيناء اللواء محمدي سليمان الذي استقبلنا في مكتبه

المسافرون يحملون امتعتهم في الطريق الى العبارة من نويبع الى العقبة



الغواصون في اعماق البحر الاحمر يسجلون بعدساتهم صورا للشعب المرجانية والاسماك الملونة . انهم يأتون من كل انحاء العالم لرؤية هذه الحياة التي تغمرها مياه البحر

العبارة احدى تستعد للابحار عبر مياه خليج العقبة



وحدها على الشاطيء عند سفح
الجبل شاهد التاريخ



بعيدا عن الزحام مع رائحة البحر والطبيعة التي لم تفسدها الحضارة   لم يعرف الكثيرون طريقهم اليها بعد محافظة جنوب سيناء

بالمحافظة ، مرحبا « بالعربي » وكان أول سؤال خطر لنا أن نتوجه به اليه ، ونحن نرى من حولنا هذه الأرض الشاسعة ، التي يمكن أن تمتص الملايين من البشر الذين يزدحم بهم الوادي الأخضر الضيق الذي يمتد مع نهر النيل من الجنوب الى الشمال . . كان سؤالنا الأول : « لماذا لا تأتون ببضعة ملايين من المزارعين الى سيناء ؟ » . .

وقال المحافظ : « لأن مشكلتنا في الوقت الحاضر هي المياه ، فاذا توفر الماء استطعنا ان نستصلح الأرض ، ونزرعها وعندئذ سوف ندعوهم الى المجيء ! . .

السياحة والتطوير

ثم يقول المحافظ : « والى أن تصل المياه الحلوة الى سيناء ، فإن اهتمامنا كله يتركز الآن في السياحة ، وفي كيف نجعل من هذه المنطقة الجميلة بمناظرها الطبيعية ، منطقة جذب للسائحين . . ومن هنا بدأنا في تنمية وتطوير الخدمات التي يحتاج اليها السائح ، وفي مقدمتها الفنادق التي بدأنا في اقامة خمسة منها ، والعناية بالشواطىء التي يهوى السائحون قضاء معظم نهارهم فوق رمالها ، والغوص في مياه البحر والتزلج على صفحته الدافئة . . ان السياحة ثم السياحة ، هي التي تستحوذ على كل اهتمامنا الآن . . ولكن ليس معنى هذا أننا أهملنا بقية المشروعات التي سوف تسهم في تحويل سيناء الى منطقة جذب لسكان الوادي . .

« أنتم توافقون لا شك على أن التنمية الاقتصادية بمختلف جوانبها تحتاج الى مجموعة من العناصر البشرية والمواد الأولية ورأس المال وغيرها . . والمحافظة من جانبها عملت ولا تزال تعمل على اجتذاب واستقرار العنصر البشري ، عن طريق اقامة وسائل الخدمات الأساسية ، وقد بدأنا في التوسع في انشاء الطرق المرصوفة والأرصفة البحرية والموانىء ، وما يتبع ذلك كله من وسائل الاتصالات السلكية واللاسلكية باعتبارها شرايين الحياة والتطور في عالمنا المعاصر .



عند الغروب ، قفل عائدا بقاربه وصيده الوفير ، من مياه البحر الاحمر عند ميناء نويبع

« ونحن نقوم اليوم بتوفير احتياجات المحافظة الغذائية والتموينية محليا ، حتى نستطيع أن نقول اننا حققنا الاكتفاء الذاتي ، وربما تكونون قد رأيتم بعض هذه المشروعات التي تحقق هذا الهدف خلال جولتكم في مدينة الطور !

ويمضي المحافظ : « ثم لقد دخلت الكهرباء كل مدن سيناء وقراها ، وهي كما ترون خطوة حيوية من أجل توفير حياة أفضل لسكان سيناء من ناحية ، واقامة صناعات جديدة تعتمد على الكهرباء من ناحية أخرى ! »

وهكذا بدد النور الظلام الذي عاشت فيه سيناء عبر القرون

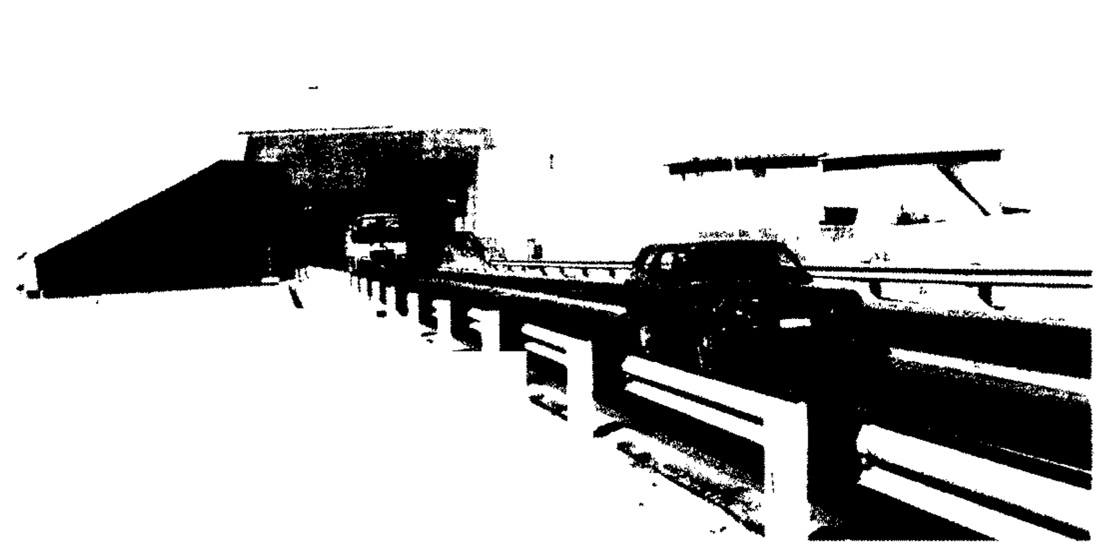
ثروات طبيعية

وفي سيناء ثروات طبيعية هائلة ما زالت مدفونة في جبالها وفي رمالها الناعمة وفي بحارها فهناك الكاولين ، والرخام ، والجبس ، والمنجنيز ، والبترول ، والرمل الناعم الذي يصنع منه الزجاج !

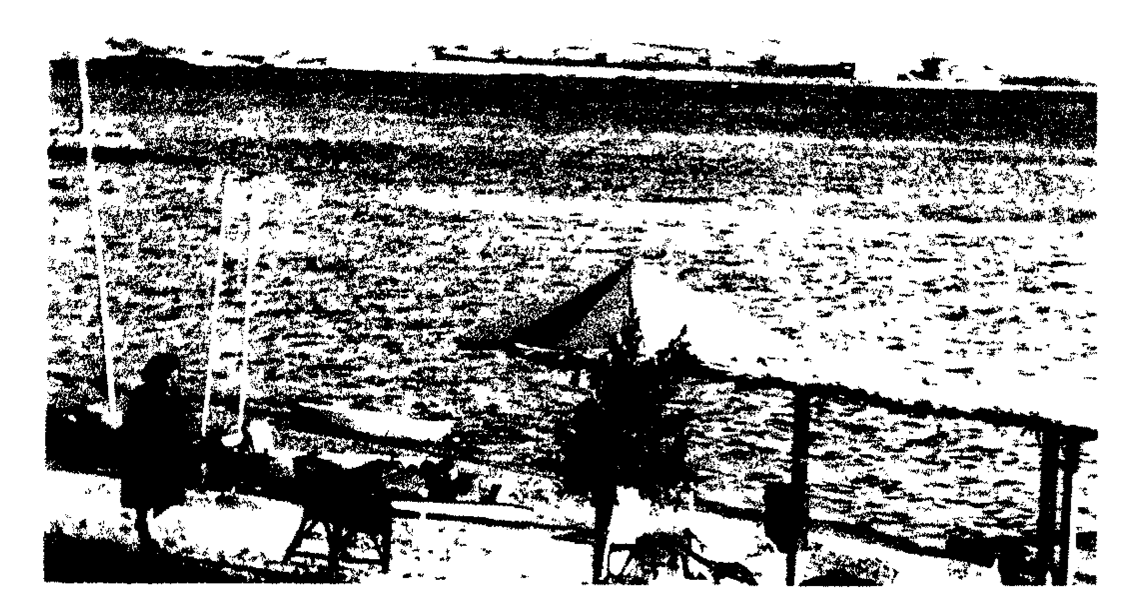
ويقول محافظ جنوب سيناء : « ان ما تم انجازه خلال الخطة الخمسية الحالية يعتبر تمهيدا لانطلاقة كبرى في تعمير وتنمية سيناء ، وسوف تشهد شبكات الطرق ومحطات الميكرويف والطاقة والمياه والكباري والأنفاق والموانىء والمطارات الدولية التي تربط سيناء بالعالم الخارجي قفزة كبيرة ، بهدف خلق مجتمعات عمرانية وصناعية متكاملة

ان الخطة الخمسية الثانية تشتمل على مشروعات استغلال الثروة السمكية من مياه خليجي السويس والعقبة ، وقد بدأنا بالفعل في تطوير أساليب الصيد وتحديثها ، كما تجرى دراسات الآن لاقامة مصنع لانتاج الأدوات الصحية والقيشاني ، والعوازل التي يدخل في صناعتها خام الكاولين الذي يوجد بكميات وفيرة في أبو زنيمة وأبو رديس حيث حقول البترول

« ولما كانت السياحة هي شغلنا الشاغل في سيناء الجديدة ، فقد بدأت المشروعات بالفعل في اقامة المزيد من القرى السياحية والفنادق المطلة على الشواطىء ، الى جانب استغلال مواقع السياحة الدينية والتاريخية



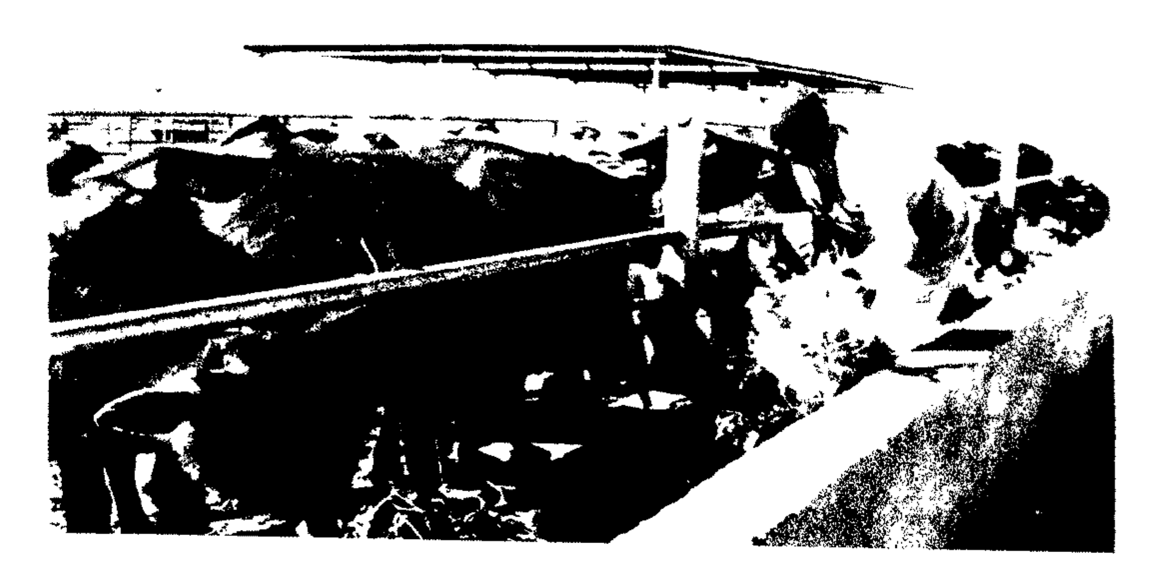
نفق الشهيد احمد حمدى (الى اليسار) اعاد ربط سيناء بقية ارجاء مصر وغرفة التحكم (الى اعلى) من خلال شاشات التلفزيون الموجوده بها يمكن رؤيه جميع التحركات داخل النفق



قناة السويس
تفصل سيناء
عن الوطن
الام



مزرعة الدواجن
تغذية الطيور
احدث الابحاث
على طريق
تحقيق الامن
الغذائي



احدى مزارع
تسمين العجول
لتحقيق الاكتفاء
الذاتي من
اللحوم



في الصحراء ووسط الجبال ، شقوا الطرق التي تربط بين مدن جنوب سيناء الرئيسية ، ثم بينها وبين « الوطن الام »

ان كل احتفال بأعياد تحرير سيناء سيحمل معه مشروعا جديدا

معابر الى المستقبل

هل انتهى الحديث عن سيناء التاريخ والحاضر والمستقبل ؟ ربما ! ولكن بعد أن نمضي في رحلة قصيرة مع المعابر التي أعادت ربط سيناء عضويا بالوطن الأم ، بل أكثر من هذا فقد أصبحت سيناء ، كما كانت قديما حلقة الاتصال بين المغرب والمشرق العربي بين أقطار الأمة العربية كلها من أقصاها من الخليج العربي الى المحيط الأطلسي

وكان المعبر الأول هو نفق الشهيد أحمد حمدي الذي يربط بين صفتي قناة السويس العربية والشرقية ، وهو يمتد تحت مياه القناة من نقطة تبعد بحوالي ثمانين كيلومترا عن مدينة الاسماعيلية ، في الطريق الى مدينة السويس ، وقد بدأ العمل في بنائه في أوائل عام ١٩٧٧ ، واستمر حتى عام ١٩٨٢ ، وتكلف بناؤه حوالى مائة وعشرين مليونا من الجنيهات ، ويبلغ طوله كيلومترا ونصفا ، تقطعه السيارة في دقائق معدودة وقد شيد على احدث الأساليب المتبعة في تشييد الأنفاق اما الاسم الذى يحمله هذا الشريان الحيوى الجديد فهو لشاب قائد سلاح المهندسين الذى اسهم بصورة فعالة في ازالة الساتر الترابي ، الذى اقامته قوات الاحتلال الاسرائيلي على الضفة الشرقية للقناة ، وقد استشهد في أول ايام العبور ، اليوم العاشر من رمضان السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣

بقي المعبر الثاني في مدينة نويبع على خليج العقبة الذي ربط بين مصر والأردن ودول الخليج والمشرق العربي كله ويقع ميناء نويبع على بعد ٦٥٠ كيلومترا من القاهرة ، ولو ان المسافة تختصر الى أقل من الثلثين بعد الانتهاء من شق الطريق الجديد بينها وبين قلب القاهرة خلال شهور قليلة

وتعمل على هذا الطريق البحري عبارتان كبيرتان ، احداهما أردنية ، والأخرى مصرية ، وتقوم العبارتان برحلتين يوميا من نويبع الى العقبة وبالعكس

بقي معبر مياه النيل الذي تنتظره سيناء لتروى به الأرض العطشى

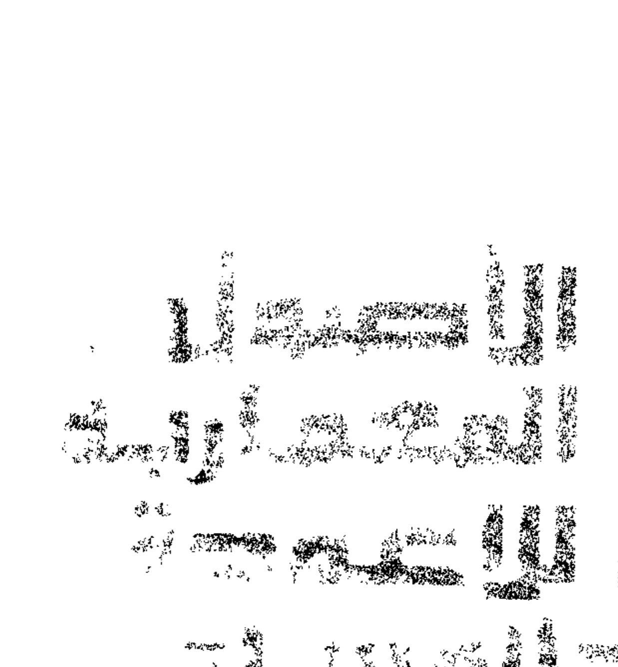
لقد عادت الحياة الى سيناء وهي اليوم ترسم لوحة جميلة يشارك كل أبنائها في اعدادها انها صورة مصر الأمل مصر المستقبل أو كما قال لنا الأعرابي وهو يقود ناقته عند الغروب عائدا بها الى بيته « نحن هنا في الجنة ولكنها كما ترون جنة بلا بشر ! »

قالها في كلمات بسيطة ولكنها كانت معبرة عما يحمله في صدره من امال

وأهل سيناء الذين لم يعرفوا حياة أخرى بعيدا عن الأرض التي نشأوا فيها ، ينتظرون اليوم الذي تحتفل فيه سيناء باستقبال الوافدين من الوادى الأخضر الى الأرض التي أمضت قرونا طويلة تنتظر مجيئهم ، من أجل بناء حياة جديدة حياة يشارك فيها البدو ولا يتصدون لها ! □

■ العمل يكون فارغا وبلا ثمران لم يقترن بالمحبة (جبران خليل جبران).


صدر العدد الخامس من
مجلة
العربي الصغير
للفتيان والفتيات العرب
٦٤
صفحة
بالألوان
مع مجلة
داخلية خاصة
فى ٨ صفحات للصغار
فى الأسواق أول كل شهر
احجز نسختك من الآن لأبنائك
لا تدفع أكثر من
٢٠٠ فلس كويتى
أو ما يعادلها
للنسخة الواحدة
١٠٠ جائزة
قيمة
تنتظر طفلك
شهريًا فى مسابقة
العربى الصغير





تاج أيوني من جزيرة فيلكا

الأصول المعمارية للأعمدة عند المسلمين

بقلم عبد الغني محمد عبدالله

اذا كانت العمارة تقام من أجل الايواء والحكم واللهو والاجتماع والتعليم والعبادة أو غير ذلك من الأغراض فانها لكي تكتمل « قديما » كان لابد لها من حوائط حاملة أو ساترة ، وسقوف وفتحات للانارة والتهوية ،وأعمدة أو دعائم قد لا نفطن لذلك الأمر في العصر الحديث ، بسبب استخدام الخرسانة المسلحة ، حيث حلت الكثير من المشاكل المعمارية ، الا أن هذه المشاكل لم تكن لتحل قديما الا بالأعمدة والعقود وتلك قصة الأصول المعمارية من خلال ماتؤكده الآثار الاسلامية

بدأت العمارة الاسلامية في الظهور منذ فجر الاسلام في القرن الاول الهجري (القرن السابع الميلادي) وانتشرت في معظم البلدان مع الفتح ، ومع مرور الأيام انتشرت من الأطلسي غربا الى حدود الصين العربية شرقا ، ومن جنوب ايطاليا شمالا حتى بلاد اليمن جنوبا وطبيعي ان تختلف الأساليب والوسائل والمواد والطرز المعمارية بين أجزاء الامبراطورية الاسلامية المتسعة الأرجاء فيما عرف باسم الطرز او المدارس الفنية الاسلامية

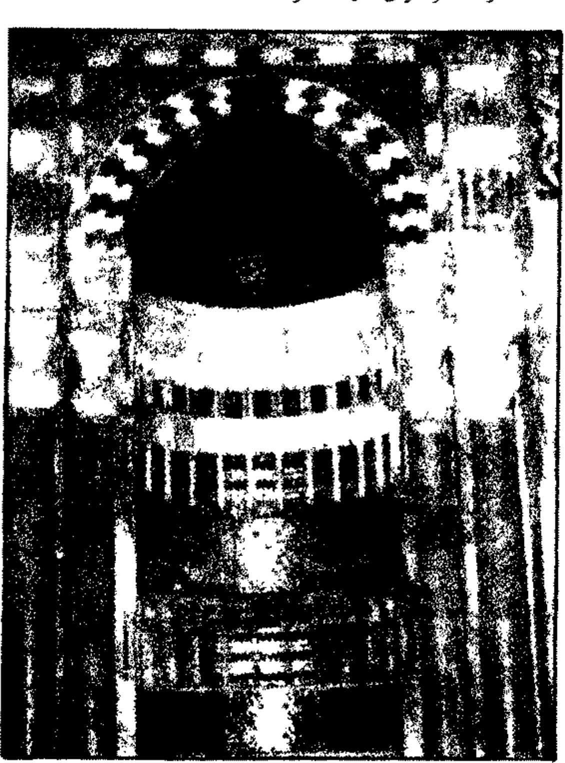
تميز العصر الاسلامي المبكر بالبساطة والخشونة مع الجهاد والتفرغ له ، فجاءت عمارته بسيطة خشنة وخالية من التأنق والزخرفة ، بدائية في الاساليب



العمود الفرعوني ذو القنوات



العمود الكورنثي ـ بالمسجد الأقصى



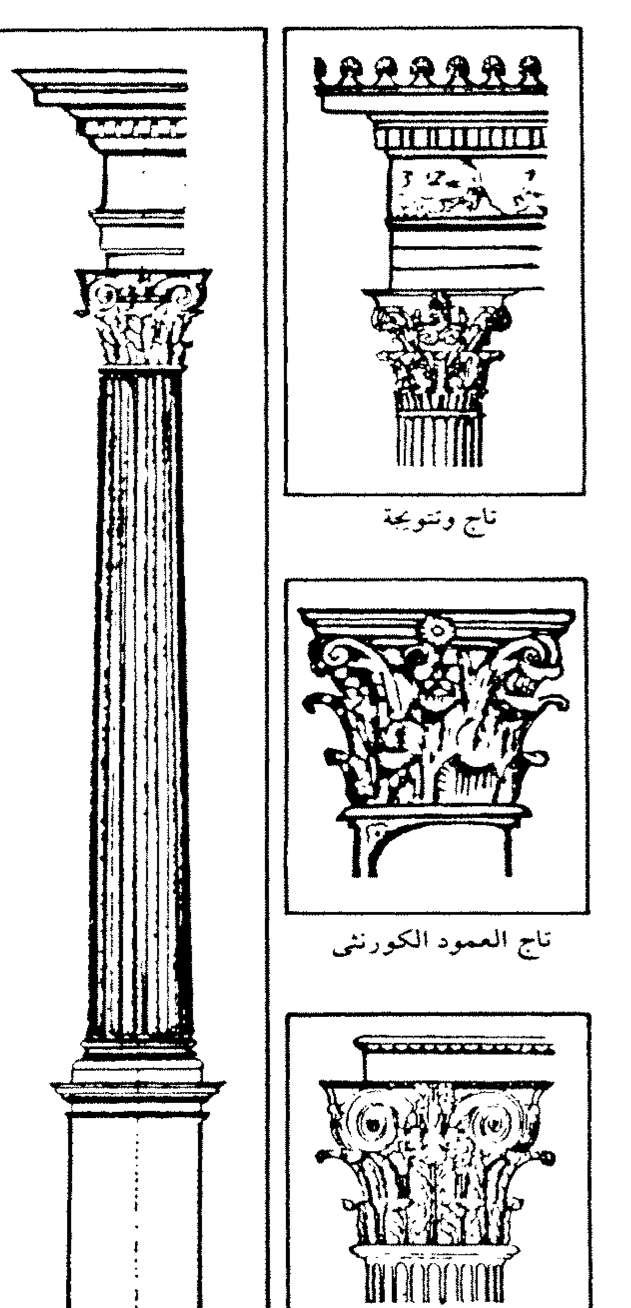
التيجان الناقوسية في مجموعة قلاوون

والوسائل والمواد ، ولكن بعد اتخاذ الأمويين لدمشق عاصمة للدولة ، وتلاهم العباسيون في اتخاذ بغداد حاضرة لهم ، كان ذلك سببا رئيسيا في ظهور الطرازين الأموى ثم العباسى في الفنون الاسلامية ومن بينها العمارة ، وكان لهذه الفترة الأثر العميق في تطور الفن الاسلامي ، بسبب الاتصال بثقافة وفنون وحضارات الدول والشعوب الأخرى ، سواء الدولة الرومانية البيزنطية التي كانت موجودة في سوريا ومصر ، أو الدولة الساسانية التي كانت موجودة في العراق وايران ، وهي ثقافات وفنون وحضارات سبق أن تطورت عن حضارات سابقة ، نتيجة اختلاط حضاري ، استمر يتفاعل عبر التاريخ قبل الفتح الاسلامي . ومنذ أقدم العصور . تراث حضاري ضخم ، كان من أبرز المؤثرات فيه ذلك الأثر الاغريقي « الهيليني » القادم مع زحف الاسكندر الأكبر ، ثم الأثر الروماني الذي وفد الى نفس المنطقة مع المد الروماني الذي سيطر على المنطقة عقب ذلك .

ومن هنا يمكن القول بأن العمائر الاسلامية الأولى ، وخاصة في العصر الأموي ، قد استعان منشئوها بالأحجار والأعمدة المتخلفة من عمائر العصور السابقة على الفتح،وهي عصور اتفق على تسميتها بالعصور الرومانية مسبوقة باغريقية ، ثم تتوالى الحضارات في التقادم في كل من الشام ومصر . . أما في العراق وايران فقد سبقت عصور ساسانية وفرثية « بارزية » وأكمنية ، الا انه يجب التنبه الى أن المسلمين قد استخدموا المواد ، ولم يستخدموا الأساليب وهندسة البناء الا في القليل النادر . فقدكانت لهم هندستهم المعمارية وفلسفتهم في فن العمارة .

العمود

والعمود ـ الجمع أعمدة وعمد بضم العين هو قائم مستدير ـ اسطواني ـ يحمل سقفا أو ثقلا ، ويعمل لصالح المبنى الذي هو جزء منه ، صنع من الحجر أو الرخام ، من قطعة واحدة أو من أحجار في شكل مداميك ، استخدمته كل الشعوب على مر التاريخ ، وفي بعض الأحيان استعيض عنه بالخشب أو جذوع النخل . . واستخدم أحيانا كعنصر زخرفي . .

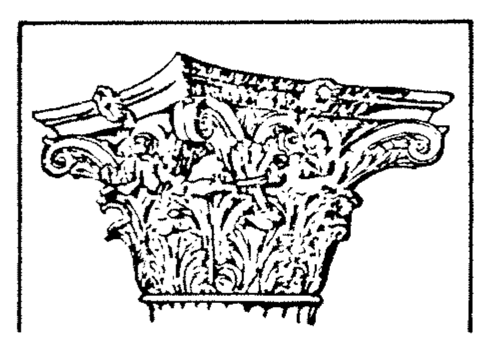


تاج وتتويجة

تاج العمود الكورنثى

تاج وتتويجة

العمود المركب ـ روماني . عمود كامل



تاج العمود الكورنثى ـ روماني النحت

قام بدور حمل السقف أو الثقل عند أهل اليونان القدامى ، أما عند الرومان ، وبعد استخدام الانشاء العقدى « من العقود وهي الأقواس » صار العمود يستخدم أحيانا في دور زخرفي ، له رأس عبارة عن تاج ، كان الاغريق أول من صمموها ، أما الدعائم فرغم قيامها بنفس عمل العمود ، الا انها مربعة ، ومن البناء « الحجر أو الاجر »

وبرغم أن المصريين والاغريق عرفوا طرق البناء بالعقود ، الا أن هذه الطريقة لم تستخدم لديهما على نطاق واسع ، استمر الأمر كذلك حتى طور الرومان هذه الطريقة المعمارية ـ طريقة البناء بالعقود ـ ليحلوا بها العديد من المشاكل المعمارية

العقد

والحديث عن الأعمدة يجرنا للحديث عن العقد والعقود (القوس والأقواس) ، والعقد هو تنظيم بقوالب على هيئة الخابور ، اذا ركبت بعضها مع بعض فوق فتحة ما ، أمكنها ان تتحمل ثقلا بتحاشرها حتى تتزن ، ويدفع طرفاالعقد نحو الخارج « الرفس » الى الجانبين ، الا أن الكتل الرأسية التي تسمى « الاكتاف » المتحملة للعقد تقاوم هذا الدفع أو الرفس ، بالاضافة الى الأربطة الخشبية ، وهي تلك التي نراها في المساجد ، ونتصورها انها لتعليق وسائل الانارة

أجزاء العمود

العمود نفسه كان يتكون من عدة أجزاء تجلس فوق بعضها البعض بشكل متزن ، يعطي في النهاية شكلا متوازنا وجميلا وقويا في نفس الوقت ، ليحمل الثقل المنوط به حمله ، وهذه الأجزاء هي

١ ـ القاعدة وهي التي تجلس فوق الأرض .

٢ ـ البدن ويجلس فوق القاعدة ، وهو يمثل جسد العمود .

٣ ـ التاج وهو يوضع فوق البدن ، وهو الجزء المزخرف من أجزاء العمود ، وبواسطته يمكن تحديد نوع العمود وطرازه في أغلب الأحوال

٤ ـ الوسادة وهي مكعب خشبي صغير ، يجلس فوق التاج واذا كان هذا المكعب كبيرا فيطلق عليه اسم « الأورمة » .

٥ ـ التتويجة وتجيء فوق الوسادة أو الأورمة وهي تتكون من -

أ ـ الافريز

ب ـ الكورنيش وهي زخرفة تستمر فوق الأعمدة

٦ ـ الاطار فوق الأعمدة وهو الجزء المعماري الممتد فوق كل الأعمدة

٧ ـ الكرسي وهو ابتكار روماني ، وقد ظهر في العصر الروماني فقط ، وكان يوضع فوق الكرسي « بكل أجزائه » وذلك للارتفاع بالعمود ولتجميله

وبعض الأعمدة كان لها « كرش » عند بداية البدن لخداع النظر ، وذلك حتى لايظهر البدن نحيلا من أسفل وفي بعض الأحيان يكون البدن مضلعا بواسطة قنوات طولية رأسية محفورة في البدن ، بلغت أحيانا ٢٤ قناة في العمود الواحد

ويرمز الى ارتفاع العمود بالحرف اللاتيني H اختصارا لكلمة High ويقصد بها الارتفاع من أول القاعدة حتى اسفل التاج اما القطر فيرمز اليه بالحرف d اختصارا لكلمة Diameter

الأعمدة عند الاغريق

الشعب الاغريقي كان يتكون قديما من عدة شعوب من بينهم « الدوريون » الذين سكنوا شبه الجزيرة اليونانية و « الأيونيون » وهم الذين سكنوا جزر بحر ايجة وسواحل آسيا الصغرى ، وكانت بلاد اليونان مقسمة الى ولايات صغيرة ومدن دول ، من بينها اسبرطة وأثينا والمصورة ومقدونيا وطروادة وغير ذلك

ويعتقد الاغريق أهم أبناء « هيلين » الأب الذي أبحر بسفينته الى حيث موطن الاله « أبوللو » وكان له ثلاثة أولاد هم« أبو الدوريين » و « أبو الأيونيين » و « أبو اليوليين » وهي أسطورة تشبه قصة سيدنا نوح عليه السلام وأولاده سام وحام ويافث

وقد وصل الاغريق الى مرحلة متقدمه في الفنون والثقافة ، وكانت الفنون عندهم منذ القرن الخامس تنبع من آراء الفلاسفة الذين بحثوا عن ماهية الفن وأهدافه من الناحية الفلسفية ، وقد جاءت الفنون

شديدة الاهتمام بالفرد دون العقيدة ملامحه عضلاته انفعالاته « فن كلاسيكي » مماثل للطبيعة على نحو مثالي ، وهو أمر افتقدناه في فلسفة الفنون الشرق أوسطية القديمة ومن بين الفنون الاغريقية القديمة كانت العمارة ، فقد بنوا الدور والمعابد وغير ذلك ، وكان البناءون الاغريق يستخدمون الأعمدة في عمائرهم بأي شكل وأي مقاس في أول الأمر ، الا أنهم ومع مرور الزمن ، بدأوا في تثبيت بدن الأعمدة وأطوال أبدانها وأقطارها . واستقر الامر لديهم عند ثلاثة أنواع من الأعمدة اختلفت فيما بينها في الارتفاع وزخرفة التاج ، وأصبح كل نوع يمثل طرازا مستقلا واستمروا في استخدام هذه الأنواع الثلاثة في عمائرهم طوال العصور القديمة في بلادهم ، وفي المناطق التي انتقلوا اليها وخاصة في ركاب الاسكندر الأكبر وهي :

١ ـ العمود الدوري

وهو أقدم طرز الأعمدة اليونانية ، وهو ينسب الى القبائل الدورية ، وهو عمود بسيط رائع في مظهره ، ليس له قاعدة في الغالب ، حيث كان يرتكز على الأرض مباشرة ، ويضيق قطر بدنه في اتجاه القمة ، وكان بدنه مزخرفا بقنوات محفورة رأسيا ، وقد يكون بسبب تأثر من العمود الفرعوني ذي القنوات ، وهذا العمود تاج بسيط وانتشر استخدام هذا العمود كان في معبد « البارثنون » الذي شيد فوق تلال (الأكروبول) للالهة « اثينا » فيما بين عامي « ٤٥٧ ,٤٧٠ ق م وعمارته ذات طراز دوري نسبة الى الأعمدة الدورية التي ارتفع سقفه عنها ، وقد صممه المهندسان « اكتينوس » و « كاليكراتيس » تحت اشراف المهندس الشهير « فيدياس » في عهد « بركليس » فترة زعامة اثينا على المدن الاغريقية» فبلغ ارتفاع العمود فيه ١٠,٤٣ مترا وقد انتشر هذا العمود الدوري في اجزاء أخرى كثيرة من العالم القديم وفي الكويت تم العثور على امثلة منه في جزيرة فيلكا « التقرير الشامل لادارة الاثار والمتاحف عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا » وقد وجد هذا العمود وراء هيكل المعبد الأول ، وعلى أحد الجدران ، وفي اثار المعبد الثاني

٢ ـ العمود الأيوني

وقد ظهر هذا العمود لأول مرة في « أتيكا وأيونيا وتراقيا » على يد « الأيونيين » ، وقد كان له قاعدة وبدن رقيقان ، وتاج جميل ، مضمون زخرفته زخرف حلزوني تتم رؤيته بنفس الشكل من الجانبين وقد وجد ممثلا أحسن تمثيل في معبد « الأرختيون » وهو أيضا مشيد فوق تلال (الأكروبول) خلال السنوات ٤٠٦/٤١٢ ق م وكذلك المعبد اليوناني الذي أقيم فوق جزيرة فيلكا بالكويت ، حيث تم العثور على بعض أجزاء الأعمدة والتيجان الأيونية في المعبد القديم الذي تسبب جدرانه بأحجار مربعة يظهر الأسلوب المحلي في بنائها بسبب وضع الطين بين الحجارة الجيرية الملساء والمرجانية التركيب

٣ ـ العمود الكورنثي

وينسب هذا العمود الى ابتكار مهندس معماري كان يعيش في مدينة كورنث وان كان تماثل العمود الأيوني الا انه يختلف في شكل التاج ، حيث أن زخارف التاج الكورنثي تتكون من أوراق « الأكنس » ثماني أوراق في كل صف ، وتتبادل الأوراق مع أوراق الصف الذي يعلوها ، ونجد هذا العمود دائما في المباني التذكارية اليونانية القديمة ، مثل نصب « ليزيكرات » في أثينا ، الذي اقيم بين عامي ٣٣٤/٣٣٥ ق م الا أنه ـ هذا العمود ـ لم يستخدم بكثرة في المعابد الاغريقية

الأعمدة عند الرومان

سكنت شبه جزيرة ايطاليا في العهود القديمة قبائل كثيرة أهمها قبائل « الاتروريون » الذين هاجروا في الأصل من ليديا بآسيا الصغرى واستقروا في الشمال « توسكانيا حاليا » أما في الجنوب فقد كان الاغريق يسكنون العديد من المستعمرات على السواحل ، وكل هذه العناصر اختلطت مع الشعوب الايطالية الأصلية وبخاصة « اللاتين » وكان نتيجة هذا الاختلاط ظهور الشعب الروماني

وقد بسط الاتروريون نفوذهم على كل ايطاليا خلال القرن السادس بما في ذلك مدينة روما التي انشئت عام ٧٥٣ ق م الا أن أهل المدينة من الرومان طردوا هؤلاء الغزاة وأقاموا حكما جمهوريا مستقلا وارستقراطيا تحت حكم الأشراف ومجلس الشيوخ « العصر الجمهوري » واستمر النزاع

والصراع حتى سيطر الرومان على ايطاليا كلها ، واندمج الدوريون كلية في الحضارة الرومانية .

وامتدت سيطرة الرومان على حوض البحر الأبيض المتوسط عقب انتصارهم على القرطاجيين والاعريق والمصريين ، وتأسست الامبراطورية في عهد أغسطس « اكتافيوس » بعد مصرع يوليوس قيصر وانتهاء الصراع على السلطة ، وبالتالي ورث الرومان كل الحضارات السابقة ، ومن بينها حضارة الاعريق بطبيعة الحال ، وفي موضوعنا كانت الأعمدة اليونانية جزءا حضاريا معماريا من كل ما شمله ذلك الارث الضخم . . وكانت تلك الأعمده تحت سمع وبصر الرومان في كل مكان ذهبوا اليه ، ولذلك فقد استفاد المعماري الروماني منها بشكل كبير

قام الرومان بتطوير الأعمدة اليونانية وخاصه في نسبها وأطوالها وزخرفة تيجانها ، وزادوا عليها نوعين جديدين ، فصارت أنواع الأعمدة الرومانيه خمسة ، منها ثلاثة يونانية ولكن بنسب وأطوال جديدة ، هي « الدوري - الأيوني - الكورنثي » ، واثنان من ابتكار روماني هي « التوسكاني - المركب » وقد أضاف الرومان كرسيا لحمل العمود بكل أجزائه

١ - العمود التوسكاني

وقد تطور انطلاقا من العمود الاتروري ، وهو عمود كان يستخدم بكثرة خلال الحضارة الاتروريه في ايطاليا قبل العصر الجمهوري ، وكان ذلك معاصرا لبداية الاعريق ، واستمر ذلك حتى القرن الثالث قبل الميلاد ، ويتميز ذلك العمود ببدن أملس ، ويرتكز فوق قاعدة ، ويحمل فوق رأسه تاجا مثل تاج العمود الدوري عند الاعريق ، ولكنه اختلف في النسب

٢ - العمود المركب

وقد استخدم هذا العمود بكثرة خلال العصر الروماني وقد سمي مركبا لأن زخارف تاجه تتكون من زخارف التاج الأيوني والتاج الكورنثي مجتمعه في تاج واحد

وفي العمارة الاسلامية

وورث المسلمون حضارات المنطقة . ومن بينها الفنون التي تطورت في جميع الميادين . ومن بينها الفن المعماري . وكانت الأعمدة من بين ما ورثه المعمار المسلم . . حيث استمرت لفترة . . تمثل الحامل الرئيسي لثقل أسقف بعض العمائر . وقد شكلت الأعمدة اليونانية والرومانية عنصرا أساسيا في مجال العمارة الاسلامية الاولى وخاصة خلال العصر الأموي الا أنه مع مرور الوقت صار للمسلمين أعمدة خاصة بهم ذات تيجان اسلامية ناقوسية « كأسية أو رمانية » وذلك موضوع آخر الا أنه ومع مرور الوقت صار للمسلمين أعمدة خاصة بهم

نسب الاطوال والاقطار للأعمدة اليونانية والرومانية

أ - الأعمدة اليونانية

النوع	الارتفاع
الدوري	٤ -٥ مرات قطر البدن
الايوني	٩مرات قطر البدن
الكورنثي	١٠مرات قطر البدن

قطر القاعدة = مرتين قطر البدن في كل الأحوال

ب - الأعمدة الرومانية

النوع	الارتفاع
الدوري	٨ مرات قطر البدن
الأيوني	٩ مرات قطر البدن
الكورنثي	١٠ مرات قطر البدن
التوسكاني	٧ مرات قطر البدن
المركب	١٠مرات قطر البدن

* قطر القاعده = مرتين قطر البدن في كل الأحوال
* الاختلاف بين الكورنثي والمركب في شكل التاج
* ظهر كرسي العمود وارتفاعه = ٣/١ ارتفاع العمود

ملحوظه شكل التاج في كل نوع واحد بين الاعريقي والروماني

[ ]





بقلم : حسين أحمد أمين

قال تعالى (كلاّ إن الانسان ليطغى ، أن رآه استغنى ، إنّ الى ربك الرجعى) « العلق ٦ ـ ٨ »

عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان النبي ﷺ يصلي ، فجاء أبوجهل فقال « ألم أنهك عن هذا ؟ » فرد النبي عليه زاجرا اياه . فقال أبوجهل والله انك لتعلم ما بها ناد أكثر مني ، ثم مضى يفخر بعدوده وعتاده . فأنزل الله هذه الآيات

فهنا اذن حديث عن اغترار الانسان بثرائه المادي ، وقوّته البشرية ، اغترارا أنساه ربه ، وأنساه الحدود التي تفرضها عليه آدميته . فقد كان تجار مكة في الجاهلية شديدي الاغترار والافتخار بتجاراتهم ، ونصيبت قريش بين قبائل العرب وبما تتمتع به مدينتهم من مركز خاص في شبه الجزيرة . وقد أدى هذا الغرور منهم الى تعاظم الميل لديهم الى الاستخفاف بسلطان الله عليهم ، والاطمئنان المطلق الى ما سيأتي به الغد ، وانكار ضعف الانسان ازاء القوى غير المتناهية التي تحكم حياته ومصيره

وقد كان الجاهليون القرشيون في هذا أشبه مايكونون ببعض أهل زماننا هذا ، خصوصا في الغرب ، ممن يميلون الى المبالغة في تقدير قدرات الانسان على تكييف حياته ، وعلى التحكم في الطبيعة حوله وفقما يحلو له . وهو سمة يعزز من اعتقادنا ان الاسلام في هذا المجال ، كما في غيره ، بوسعه تقديم الحلول من أجل هداية البشر ـ في الشرق والغرب جميعا ـ الى سواء السبيل

قد نرى من الغربيين من يعيب على الاسلام إغفاله وإنكاره لحرية الارادة الانسانية ، والحقيقة أن الاسلام لم يغفلها او ينكرها ، ولا كان المسلمون الأوائل ينكرون دور الفكر والجهد البشريين ومسئولية الانسان عن عمله ، غير أن الاسلام علمهم في نفس الوقت ، إنه مهما كانت انجازات الانسان بفضل تخطيطه وعمله الجاد ، فعليه أن يدرك دائما أن هناك من القوى في هذا الكون ، ما بوسعها إحباط خطط المخططين ، وتدبير السياسيين ، وعمل العاملين

قد أوضح الاسلام إذن أن ثمة أحداثا وتطورات

لايمكن للانسان دفعها مهما بلغت قدرته وقوته ، وأنه من صالحه ومن الأوفق له أن يعترف بأن هذه القوة حدودا ، وأن يقمع الميل الى المبالغة في تصويرها ، فالمبالغة في الايمان بها تؤدي دائما الى مشاعر الاحباط والقلق ، وهي مشاعر يمكن تجنبها متى تعلمنا أن نتقبل الحتمية في أمور لاارادّ لها في الحياة البشرية ، كما في ذلك حتمية الموت ، وقد عبر كثير من الغربيين عن إعجابهم وعجبهم ازاء ما لمسوه من أتقياء المسلمين ، من وقار واتزان في مواجهتهم للمحن والشدائد ، وازاء جهلهم بمشاعر القلق التي تفتك بالملاحدة وضعاف الايمان عندهم . فالمسلم المؤمن في حياته أشبه براكب الطائرة ، متى أقلعت لم يعد بوسعه غير أن يسلم أمر وصوله سالما الى قائدها

وقد كان السبب الرئيسي في اغترار الانسان في الغرب بقدراته وقوته ما أحرزه من انجازات رائعة في مجال العلوم ، خصوصا منذ بداية القرن التاسع عشر ، في حين كان المفروض أن تؤدي هذه الانجازات ذاتها وهذا التقدم الى نمو إدراكه لحدود قدراته ، وإدراكه لخضوع الحياة البشرية لسلطان القوانين الكونية

لقد أوضحت الاكتشافات في علوم الطبيعة والكيمياء في القرن التاسع عشر أن جسم الانسان خاضع لتأثير القوانين المادية ، وبقي اعتقاد الانسان قائما أن روحه مستقلة الى حد كبير عن تأثير هذه القوانين ، ثم اذا بالتقدم اللاحق في علمي النفس والاجتماع ، يؤكد خضوع كافة جوانب الحياة الداخلية في الانسان لتأثير قوانين الطبيعة وقانون السببية ، وبذا يكون العلم الحديث قد أثبت تحكم القوانين البيولوجية والكيميائية والنفسية والاجتماعية في تكوينه الجسماني والروحي ، وكافة اوجه حياته ومظاهر نشاطه على سواء ، وأثبت أن الحياة البشرية تحددها قوى تعمل وفق قوانين خارجة عن إرادته ، ورغم أن الفلاسفة الغربيين قد أدركوا شيئا من هذا القبيل ، فان هذا الادراك مهم لم يؤثر الا قليلا في مفهوم الانسان الغربي بوجه عام عن الحياة .

وفي هذا المجال يقدم الاسلام احدى القيم الخالدة باصراره على وجود درجة كبيرة من الحتمية في الأحداث ، وعجز الانسان عن التأثير والتحكم في هذه الحتمية ، فإن كانت العالمية في العالم الغربي عاجزة عن هضم هذه الحقيقة ، فقد كان الجاهليون من أهل مكة في مثل عجزهم ، وهو عجز - في الحالتين - ناجم عن اغترار بالنجاح واغترار بالانجازات ، وبالثروة التي حققتها هذه الانجازات ، وقد أسمى القرآن هذا في الآيات التي تحدثت عنها بالطغيان ، ونسب الى هذا الطغيان نسيان الانسان أن الى ربه الرجعى ، فعند الرجعى تكون محاسبة الانسان عن المفهوم الذي كونه عن الحياة على هدى تجاربه وتفكيره ، ومفهومه عن نفسه وحدود قدراته ، وعما اذا كان هذا المفهوم قد أسهم في ادراكه لقوة الخالق وقوانينه وسننه ، أم أنه وقف حجر عثرة في سبيل هذا الفهم والادراك

وقد حدثتنا سورة العلق عن الله تعالى ! « علّم الانسان مالم يعلم » وأغلب ظني أن المقصود هنا هو أنه جل جلاله علّمه أن هنالك الى جانب وجوده الانساني المحدود الفاني ، وجودا لانهائيا سرمديا ، ثم مضت تحدثنا عن كيف أن أبا جهل (أو انسانا مثله) لم يكتف بأن كذب وتولى ، بل بلغ به الصلف أن نهى الرسول ﷺ عن الصلاة ، وعن عبادة ربه والخشوع ازاء وجوده غير النهائي ، أو قل انه بلغت به حدة الفراسة أن ادرك ان مثل هذا الموقف الجديد من النبي ، من شأنه أن يشكل إدانة دامغة لنظرته ونظرة قومه الى الحياة ، لابد أن تسفر عن عواقب وخيمة في المستقبل ، لذا فقد هدده بأن يدعو « ناديه » حتى يجبره على العودة الى تبني مفاهيم قومه وقيمهم ، غير أنه هيهات لمن تفتحت عيناه على الحق أن يعود الى قيم مجتمعه القديمة الخاطئة ، فاذا بالوحي ، وقد جاء النبي كي يثبت فؤاده ، ويقوي من عزمه ، على التحدي والمقاومة ، يلقي في روعه بهذه الكلمات الكريمة في ختام السورة

(كلا لاتطعه واسجد واقترب) ☐



خفيف جداً ... جداً
ورائع جداً للضيوف

وجها لوجه





* لم يتعامل العرب مع النفط بطريقة عقلانية !

* لماذا يضم الوطن العربى أغنى البلدان وأفقرها أيضا ؟

* ما هو دور الوافدين العرب فى الجزيرة والخليج ؟

* لقد همشت الثروة النفطية العنصر البشرى ، وجعلت المرأة احدى مقتنيات الزينة .

* « مدن الملح » تأريخ فنى للمجتمعات النفطية .

عبد الرحمن منيف روائي عربي همه الانسان وحريته وغده .. بدءا من روايته الأولى الأشجار واغتيال مرزوق ، وانتهاء بثلاثية « مدن الملح » ظلت هواجس هذا الروائي هي هي !

منيف رجل قانون واقتصاد وخبير نفط ، انصرف للرواية ليقدم لنا رؤيته الشخصية ، وتجربته المريرة بشيء كثير من الحدة الجارحة والصراحة المخيفة

وبمناسبة صدور « الأخدود » ـ الجزء الثاني من ثلاثية « مدن الملح » أجرى الكاتب العراقي جليل العطية ، الذي يعمل باحثا متفرغا في معهد البحث وتاريخ النصوص في باريس ويعد اطروحة دكتوراة تتناول تطور الصحافة السياسية في العراق بين الحربين العالميتين في جامعة السوربون الثالثة ، حوارا مع عبد الرحمن منيف ، تم في احدى مقاهي الحي اللاتيني بباريس ، تناول فيه هذه الرواية ، من حيث أبعادها الفكرية والاجتماعية واللغوية وشخوصها وفيما يلي نص الحوار

التشاؤم ومدن الملح

*** مدن الملح رواية أحداث وأماكن ، وفيها اصرار على اعتبار النفط لعنةخطيرة ، وفي « الأخدود » رأينا أن الأموال قد أفسدت كل أبناء « موران » أو معظمهم ألا ترى أن هذه النظرة كثيرة التشاؤم ، وأن لثروات النفط ايجابياتها أيضا ؟**

ـ النفط بحد ذاته مادة محايدة ، كأية مادة في الطبيعة ، وتتحدد نتائجه بطريقة استعماله ، وربما هو من أكثر المواد من حيث تنوع الاستعمالات والآفاق ، ولذلك يجب أن يستثمر بشكل عقلاني ، وضمن رؤية واضحة ومخططة ، وأن لا يبدد باسراف أو بسرعة

ثم ان النفط مادةناضبة ، لا تتجدد في الطبيعة ولا تستعاد ، وهو حينما ينتهي ينتهي الى الأبد ، على العكس من المياه والأشجار ومواد أخرى يمكن تجديدها وتكرارها ، وهو بهذا المعنى فرصة أو ضربة حظ لمن يملكه ، فإذا لم يستفد منه الى أقصى حد ، ضاعت الفرصة دون عودة ، والنفط فرصة لعدد من البلدان لكي تتخفف من آثار التخلف وتلتحق بالعصر ، ولكي توفر لنفسها ولأجيالها القادمة بشكل خاص ، امكانية العيش والاستمرار ، فإذا انتهت هذه الامكانيه لن تستطيع هذه البلدان ان تواجه المستقبل وصعوباته ، لأنها في الغالب تفتقر الى المواد الأخرى على العكس من بعض البلدان التي تمتلك الى جانب النفط المياه والزراعه، والصناعة ، والتقنية الخ

لهذه الأسباب كان يفترض أن يتعامل العرب مع النفط بطريقة عقلانية ، وأن يستفيدوا منه بحرص ووعي ، لكن ما حصل هو العكس ، فهذه الصناعة لم توطن ، أي لم تتحول الى جزء من كيان صناعي ، وظلت معزولة ، ومحكومة بعوامل خارجيه ، فحجم الانتاج ـ مثلا ـ لم يتحدد على ضوء حاجة الدول المنتجة ، بل على ضوء حاجة الأسواق الخارجيه بالدرجة الأولى ، ولذلك بدد جزء كبير من النفط العربي بأسعار رخيصة ، وظلت هذه الصناعة معزولة مثل ـ جزيرة ـ فلم تتفاعل ولم تتشعب ، ولم تصبح نواة لصناعات أخرى

هذا كله في جانب ، وفي الجانب الاخر تحول النفط الى مجرد عائدات مالية ، وفي فترة لاحقة أصبحت العائدات كبيرة ، وقد جاءت بسرعة ودون جهد ، فغيرت معالم الحياة وطبيعتها ، وغيرت بالتالي

نظرة الكثيرين الى العمل والى الثروة.

بكلمات أخرى: ان التراكم الذي حصل في مجتمعات أخرى، يكون نتيجة العمل ورأس المال، ولذلك يكتسب كل منهما معنى، ويخلق كل منهما نظرة وسلوكا ينعكسان على المجتمع كله. أما فيما يخصنا فقد ظل النفط والعائدات يفتقران الى هذا المعنى، وبالتالي ظلا يفتقران الى النظرة والسلوك النابع منهما، وهكذا تم التعامل مع العائدات بطريقة تخلو - أغلب الأحيان - من الشعور بالمسؤولية.

ان بلدانا مثل الولايات المتحدة وبريطانيا والنرويج والاتحاد السوفياتي، تعد من البلدان المهمة في انتاج النفط، ولكن كلا منها جعل النفط جزءا من بنية اقتصادية وصناعية موحدة ومتكاملة، فلا ينتج أي منها الا بمقدار ملائم له، ولا يعتمد على هذا المصدر الا لزيادة قوته الاقتصادية والصناعية، حتى ان اهتمام أي من هذه البلدان لا يقتصر على هذه الصناعة، وانما يتعداها الى الصناعات الأخرى والى الزراعة أيضا.

*** السؤال يكثر من البساطة: ماذا اذا ما انتهى النفط؟ ماذا أعددنا من أجل المستقبل؟ ومن أجل الأجيال القادمة؟ وأكثر من ذلك كيف يمكن أن يكون بين البلدان العربية بالذات، وفي الحقبة النفطية، بل في أحرج أوقات هذه الحقبة، كيف يكون فيها أغنى البلدان وأفقرها في العالم، حسب احصاءات الأمم المتحدة؟**

المعالجة الروائية

- في «التيه» ثم في «الأخدود» حاولت أن أعالج - روائيا - هذه الظاهرة، اما ان أكون قد نجحت في الرواية، فلا يعني انني بذلك أغلقت كل منافذ القول. ولعل النظر اليه «ان الفرصة تضيع من أبنائنا ومستقبلنا، ولذلك يجب ان نفعل شيئا قبل فوات الأوان، لأن الندم بعد ذلك لن يفيدنا، والنصيحة لن تجدي».

وكلمة أخيرة في الاجابة عن هذا السؤال: ان الموضوع الذي نناقشه هنا هو رواية، وليس بحثا اقتصاديا أو سياسيا، وأنت تعرف أن الرواية تعرض لجوانب متعددة ومختلفة من الحياة، وتعرض بشرا ومشاكل، دون أن تتحدث عن الحلول، لأن من جملة هموم الروائي أن يثير الأسئلة، ويخلق القلق، أكثر مما يجيب عن الأسئلة، أو يولد الطمأنينة الكاذبة.

«وموزان» التي تحدثت عنها في الرواية، كانت دائما رحيمة مع أبنائها، وكانت تعرف كيف تتوازن مع الطبيعة، وكيف تتعامل معها، شرط أن يعرف البشر نواميس الطبيعة وأن يحترموها.

الوافدون العرب

*** الحكيم وزوجته يمثلان الوافدين العرب، وقد لعبا دورا قذرا في تثبيت السلطة وتفسخ أبنائها. ألا تعتقد أن في هذا «الدور» الكثير من المغالاة. فقد عرفنا أن الوافدين العرب لعبوا دورا جيدا في توعية أبناء المنطقة، من خلال البعثات التعليمية وغيرها، وبالتالي فان «الحكيم» نموذج يكاد يكون استثنائيا في السقوط والانتهازية والتفاهة الفكرية. ألا ترى ذلك؟**

- في «التيه» الجزء الأول من مدن الملح، نتعرف الى عدد من الذين وفدوا الى «حران» ولعل النظر الى ان الكثيرين جاؤوا بهدف الكسب السريع والرزق الحلال، وقد لعبوا أدوارا ايجابية في بناء المدينة وتحديثها: عبده محمد، فوال «حران» مثلا أطعم المدينة طوال سنوات من عمره، وكذلك صاحب المقهى واللحام كانا جزءا عضويا من المدينة الجديدة، وترك السائق الأرمني بصمات في «حران» جعلت المدينة كلها تسمعه، بل أعطته اسمها أيضا، فأصبح اسمه «عفوت حران»، وكذلك احمد ابن أخي السائق الآخر، اضافة الى معلمي المدرسة، وعدد لا يحصى من العمال والناس المجهولين الذين لا نعرفهم معرفة أدق.

حاولت أن أثير المشكلة من كل وجوهها، وأن ألفت النظر الى تنوع الناس واختلافهم، ...

اختلاف الثروة والمواقع

في « الأخدود » أصبحت الرواية تدور في العاصمة « موران » ، وفي القصور على وجه تحديد ، ولذلك كان من الضروري ان ينتقل الانسان الى هذه القصور ، ان يعرف ما يدور فيها وكيف تجري الأمور . و « المحسنجي » الذي كان مجرد ضيف مستقل في « حران » كما كان حال اشخاص آخرين من اهل « حران » داخلها ، فقد أصبح في موران شخصا مختلفا ، اصبح مستشار السلطان واقرب الناس اليه ، واكثرهم تأثيرا عليه . كان يرى السلطان كل يوم ، ويوحي اليه بالأفكار والخطوات ، بما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك . ومن هنا كانت الصورة التي يبدو فيها ، والتي يمكن ان تنسحب ـ نسبيا ـ على الوافدين الآخرين .

الحكيم في « الأخدود » يمثل هذا النمط من مستشاري السوء ، وهذا النمط كان موجودا ولا يزال ، وهو معروف جدا في تاريخ وواقع البلدان النفطية ، وقد لعب أدوارا سلبية بالغة الخطر والسوء ، ومن يطلع على تاريخ المنطقة ويعرف حاضرها ، يستطيع دون صعوبة ان يرى آثار هذه المشكلة ، كيف ان المستشارين ، حتى من أبناء البلدان ، يتصرفون ويوجهون ، مستغلين الثقة والخبرة ، اضافة الى العلاقات ... أو بدفع منها .

وفي هذا الاطار ، لا بد من الاشارة الى ان عددا من دول النفط حاول ـ في محاولة لاستبعاد العمالة العربية ، والتفاعل العربي ـ الى الاستعانة بالعمال الأجانب ، لأن هؤلاء يظلون غرباء دائما ، ولأنهم غير قادرين على التأثير والتفاعل ، عكس الوافدين العرب ، ولذلك لا ينكر ان العرب الذين جاءوا الى بلدان النفط ، والذين رحلوا منها ، كان لهم دور ايجابي بارز في تطور هذه البلدان ومساعدتها .

وأخيرا ان الدفاع عن الوافدين العرب وابراز الدور الذي لعبوه ، يجب الا يقودنا الى الدفاع عن المستشارين وروحانياتهم ، لأن لهؤلاء دورا سوف تتضح آثاره بشكل واسع مع الأيام !

*** لا نكاد نلمس للمرأة دورا في مجتمع النفط ، ففيما عدا ـ أمي رهوة ـ وهي شبه أسطورة تكاد المرأة تكون غائبة . على الرغم من كثرة الزيجات التي يمارسها السلطان وبطانته . فماذا ترى؟**

لعبة النموذج النفطي

ـ المرأة موجودة بكثافة ... حتى أثناء احتجابها ! في مجتمع البداوة ، حيث تخلق الوظيفة الاقتصادية ، تكون المرأة والرجل على قدم المساواة تقريبا ... فالمرأة التي تحتطب وترعى وتحلب الغنم والتي تقوم بواجبات كثيرة أيضا لا يمكن أن تغيب ، والرجل يتعامل مع هذا الواقع بمنطق مفهوم ، أما في مجتمع مرفه ، أو استهلاكي ، حيث لم يعد الحطب والرعي أو حلب الغنم عملا ، وبعد أن أصبح في كل بيت ، تقريبا ، عدد من الخدم ، وأصبح العمل ترفا ، كما أصبح الدخل يأتي دون جهد ، فقد غاب كل شيء .

غاب الرجل والمرأة معا ، وأصبحت هناك علاقة غامضة ليست بينها صلات سوى بالهاتف ، أو عن طريق « الفيديو » .

في البلدان الأقل نفطا ... تظل المرأة موجودة ، فهي تعمل وتشارك ، وهذا النوع من الاستقلال ، أما في البلدان النفطية فقد أصبحت المرأة شيئا ، أصبحت من مقتنيات الرجل صاحب الثروة ، وحتى في هذه البلدان ، حيث تتعلم الفتاة عن طريق التلفزيون في البيوت المغلقة ، وبعد ان تتخرج في الجامعة لا تجد عملا ، ولذلك تتضاعف البطالة وتتعقد .

ضمن هذه الخلفية التي يراد بها ان تكون مغلقة ، لا يمكن ان تظهر المرأة وان تلعب دورا مباشرا ، ولذلك نستدل على وجودها بستار ، وتتحول الى الظلال ، وتصبح المرأة غير الموجودة موجودة بشكل آخر ... وهنا تكمن الخطورة .

في « الأخدود » هناك عدد من النساء يوجدن بين الأسطورة والمؤامرة ، لأن الاضطهاد يولد اضطهادا مقابلا ، ولا بد ان يظهر بأشكال مختلفة .

رغبات السلطان وبطانته تشير الى أن المرأة تحولت الى شيء ، وهذا أقسى وضع يمكن ان يعيشه المخلوق البشري ، فهل بقوى وضع مثل هذا على الاستمرار ، وهل يمكن لنصف المجتمع أن يبقى معيبا ، وبخاصة بعد أن أصبح العالم صغيرا ، وأصبحت الامكانات تتيح انتقال العالم أو الانتقال الى العالم ؟

ان الأشياء التي تقال في الروايه بخفاء - برمز او باشارة - افضل ، كما أرى من تلك التي تقال بصوت عال ، وهذا ما حاولت أن أشير اليه في « الأخدود »

نظرة جديدة للمجتمع

*** في ختام « الأخدود » بوادر وعي وتحرك هل نأمل أن يتبلور هذا في الجزء الثالث من مدن الملح ؟**

- في ختام « التيه » كان الاضراب الأول في « حران » نتيجة التناقضات التي حصلت ، وفي ختام « الأخدود » حصل أول انقلاب في السلطة

اما ما تحمله الأيام فلابد ان يكون نتيجة وعي متراكم وحيثه امل ، ولابد ان يكون ايضا متناسبا مع حجم القهر او التعب

العالم - كما اشرت في الاجابة السابقة - اصبح صغيرا ، لا شيء يحدث في مكان الا ويصل الى أركان الأرض الأربعة خلال دقائق او ساعات ، والوعي عملية تنشأ نتيجة التعلم والتجربة ، والتراكم رأس مال الانسان ، كما هو حال التاريخ ، اما الخسائر التي تنجم عن عدم التوافق ، او عدم الاتفاق والفروق الوعي ، فلا بد ان تولد اساليب جديدة وضرورات جديدة

لا اريد ان افرض وعيا متكاملا في الجزء الثالث من مدن الملح ، فأقول ، على سبيل المثال ، لابد من النهايات السعيدة ، كما هو حال الأفلام العربية ، وبالتالي لابد ان ينتصر البطل ، او ان ينتصر الشعب ، وان تزول المساوىء او السلبيات ، لن اتورط في مثل هذا التفاؤل الكاذب ، واعتقد انه ليس مطلوبا كل ما اريد ان اقوله من خلال المتابعة ، ان كثيرا من الامور الخاطئة يجب ان تتوقف وان تنتهي ، ويجب ان تتم مجاوزته من خلال ايجاد صيغ جديدة ، صيغ تأخذ بالاعتبار الكثير من الحاجات والضرورات المعاصرة ، التي لم يعد من الممكن الهروب منها أو تأجيلها أو انكار وجودها

ان الوعي والحاجة التاريخية وضرورات الحياة ، تقضي بأن توجد نظرة جديدة للمجتمع ، وأن يتم التعامل مع البشر بطريقة مختلفة ، وأي انسان يعاند ، أيا كان موقعه ، لابد أن يدفع الثمن

في « تقاسيم الليل والنهار » الجزء الثالث من مدن الملح ، أتابع تطور مجتمع ، أحاول أن أرى أحلامه وطموحاته ، وأن أسمع الأصوات الخافتة ، وأن التقط اللحظات المهمة التي تصنع المجتمعات ، وخاصة في فترة دقيقة وحرجة ، وحبذا لو نستطيع توفير أكبر عدد من الضحايا وفي الوقت المناسب

تقاسيم الليل والنهار

*** يحمل الجزء الثالث اسم « تقاسيم الليل والنهار » هل يمكن أن نلم بشيء عن هذا الجزء ؟ عن مداه ، وعن بعده الفكري والجغرافي ؟**

- في « التيه » الذي دارت احداثه بين وادي العيون وحران ، والذي سجل خطاب الانسان الأولى ، ظل في ذلك الحيز ، اما « الأخدود » فقد دارت احداثه في العاصمة « موران » حيث تفرض خطأ ، انها مكان القرار ! اما في التقاسيم فسوف تكون الرحلة حرة ومفتوحة ، اذ بمقدار ما ان موران موجودة ، فهناك امكنة اخرى موجودة ايضا أما من حيث الزمان فالرحلة انفتاح على الماضي والمستقبل معا اريد ان أسجل خطابات مماثلة في التاريخ ، واريد أن استقرىء المستقبل ، لعلنا من خلال هذا التوازن بين الحقب الزمنية والأماكن المتعددة ، ان نصل الى ادراك الحاضر ، ولعلنا اخيرا نستطيع الاستفادة من التاريخ ودروس وتجارب الاخرين

واذا جاز لي ان اصف هذا الجزء بكلمات ، فيمكن أن اقول « التفكير بصوت عال في هموم الحاضر لاحتساب مصاعب المستقبل » لأن ميزة الانسان على بقية المخلوقات ، انه المخلوق الوحيد الذي له تاريخ ، وانه يستطيع الاستفادة من هذا التاريخ

لم تبق الا فترة قصيرة للنمط ، ولذلك لا بد أن تقدم شهادة فى الوقت المناسب ، ليس المهم لمن . المهم أن تقدم . والعاقل من اتعظ !

*** استعمالك لهجة معينة وفولكلورها وأمثالها يثير مشكلة اللغة . الا ترى أنه يمكن كتابة الرواية بلغة فصحى صافية ، فيما عدا بعض الأمثال الضرورية ؟**

وفى الرواية لهجة أخرى من منطقة مختلفة ، الا ترى أن الفصحى تبقى القاسم المشترك لجميع العرب ، وأنها يمكن أن تؤدى الغرض المطلوب ، حتى على لسان بسطاء الناس ؟

وتجربة نجيب محفوظ معروفة فى هذا الميدان . فما رأيك ؟

ـ هذه هى الرواية الأولى التى الجأ فيها الى استعمال لهجة خاصة ، وهذه اللهجة فى الحوار ليست الفصحى أو العامية ، انها مزيج مركب تقريبا ، بحيث يمكن أن تفهم وأن تؤدى الغرض .

فى رواياتى السابقة استعملت اللهجة الثالثة فى الحوار اذا صح التعبير ، اذ كان الذين يتحدثون يلجأون الى لغة معرّبة مع مراعاة القواعد .

فى هذه الرواية « تيرات » فاستعملت لغة فى الحوار فيها مراعاة القواعد الصميمية ، لكن دون الحرص على الحركات ، أو بمعنى أكثر وضوحا أقول ان اللغة المستعملة فى هذه الرواية هى فصحى مختارة ، وهى أقرب الى لغة البداوة ، دون حركات ودون تشكيل ، لكن لها حدرا يمكن معرفته بعض الامعان .

لقد اضطررت لاستعمال هذه الطريقة فى الحوار ، لانها وحدها القادرة على التعبير عن الشخص أو الحالة بشكل دقيق وأمين ، وهى فضلا عن ذلك أكثر اقناعا .

أنا لست من أنصار العامية ، ولكني مع لغة غير مقعرة ، لغة أقرب الى البساطة والامكان ويمكن أن تفهم وأن تؤدي غرضا ، اللغة العربية ـ بوصفها الحالي ـ بحاجة الى جهد مستمر من أجل احيائها واغنائها ، ومن أجل أن تكون لغة استعمال يومية .

اننا فى الوقت الحاضر نفكر بلغة ، ونتكلم بأخرى ، ونكتب بثالثة ، ولذلك تجد ان الكثير من الروايات وكأنها مترجمة !

قد لا يحس الكثيرون بهذا الهم ، لكن وضع الروائيين والمسرحيين مختلف ، فهم بحاجة ماسة لأن يخلقوا كائنات حقيقية ، كائنات من لحم ودم ، تتكلم بالطريقة الحقيقية المقنعة ، وتكون هى بنفسها دون أقنعة المثقفين وحذلقاتهم .

من هنا تقضى الضرورة بالتوصل الى لغة مناسبة لحوار الرواية والمسرح ، اللغة الفصحى السائدة ليست هى اللغة المناسبة ، وكذلك العامية المغرقة فى عاميتها ليست هى الأخرى طريقة التعبير الأدق والأشمل ، ومن هنا كانت الضرورة ملحة للوصول الى لغة جديدة اذا صحّ التعبير .

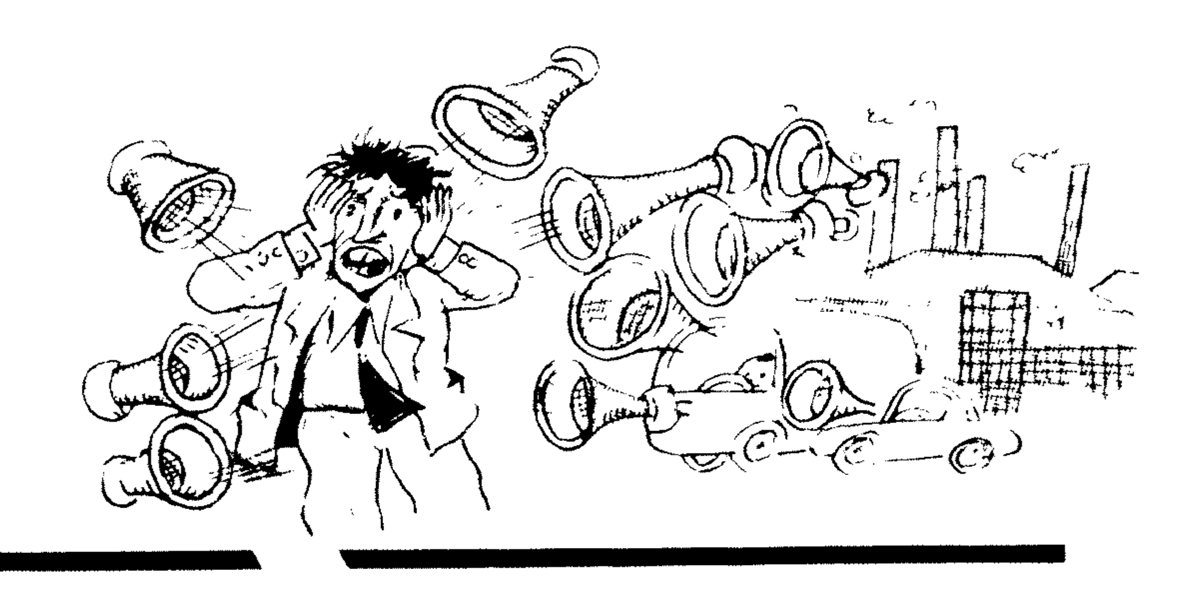
لهجة البداوة ، بشكلها المحسّن ، يمكن أن تكون لغة مناسبة ، وخاصة فى الحوار ، فهى أقرب الى الفصحى ، وتخلو من القلقلات والجمود ، وأقرب الى التواصل .

والأمر لا يخلو من صعوبة وارهاق ، كما أنه ليس نتيجة فعل شخص واحد ، أو لفترة زمنية محدودة ، انه نتيجة عمل دؤوب وتراكم وتحسين مستمر ، وتقارب وجرأة .

ان ما شجعنى على استعمال هذه اللهجة هو الموضوع الذى يعالج البيئة التى تجرى فيها الأحداث ، والمناخ العام لهذه اللهجة ، وخاصة بعد أن تبين لنا امكانية جذور هذه اللهجة ، والتواصل معها بجهد معقول .

أما تجربة نجيب محفوظ فى اللغة ، ورغم أهميتها ، فانها لا تكفى ، لأنها أولا وأخيرا اللغة الفصحى مع تعديلات قليلة يقتضيها الحال ، ويبدو أن نجيب محفوظ ليس لديه الهم اللغوى الموجود لدى الآخرين .

أقول باختصار : لا أتصور أن اللهجة العامية أيا كانت هذه اللهجة ، يمكن أن تحل المشكلة ، ولا أتصور بالمقابل أن الفصحى الراهنة كافية لحل المشكلة ، ولذلك فان البحث سيتواصل ، ولكن من أجل رواية عربية بالمعنى الحقيقى ، يمكن أن تقرأ فى المغرب والخليج العربي معا . وهذا هو التحدى □



مـــرض العصـــــر *

بقلم : الدكتور فاضل حسن أحمد

الضوصاء مرض هذا العصر إنها مشكلة تواجه كل المجمعات الحديثة الآخذة باسباب التقدم وهى فى الوقت نفسه افة فى يدنا وحدنا أن نتخلص أنفسنا منها ونحمى أعصابنا من الآثار السيئة التى تسببها لنا كيف نتخلص من الضوضاء أو كيف نخفف من تأثيرها علينا وعلى اذاننا التى يتهددها الصمم ؟

منذ عشرات السنين كانت الضوضاء محددة بالمواقع الصناعية ، أما الان فأصبحت مشكلة كبيرة فى مناطق أخرى كالشوارع والطرق ، وحتى فى المناطق السكنية ومناطق التسلية ، بسبب ازدياد عدد الناقلات وعربات السكك والطائرات والمصانع ووسائل التكييف والسمع وغيرها وقد وصل عدد الأشخاص الذين فقدوا السمع بشكل كامل بسبب الضوضاء فى الدول المتقدمة ٨ بالمائة لذلك صرفت مبالغ كبيرة للتقليل من تأثير الضوضاء ، وصدرت تشريعات خاصه بالضوضاء

يقول الاحصائيون ان فقدان السمع يزداد كلما ازدادت مستويات الضوضاء ، وزيادة العمران ، وأن الرجال أكثر تأثرا بالضوضاء من النساء ، وأن العوامل المؤثرة على فقدان السمع هى « مستوى الضوضاء ، نوع الضوضاء ومدى تردده ، وفترة التعرض للضوضاء فى اليوم الواحد » .

ولو أن السمع هو التأثير الفسلجي المهم بالنسبة للضوضاء الا ان هناك تأثيرات أخرى وهي : فعالية العضلات الارادية وغير الارادية مثل رمش العين ، الشد العضلي ، التقلص في القصبات الهوائية ، التغير في معدل ضربات القلب ، وافرازات عصارة المعدة واللعاب ، تغير مستويات مركبات الدم والهرمونات وغيرها . وبالاضافة الى التأثيرات الفسلجية هناك التأثيرات النفسية ، التي تختلف من شخص لآخر ، والتي تؤدي الى أمراض عصبية كالتوتر العصبي والصداع .

ان الحجب السمعي للصوت الممكن سماعه بسبب صوت آخر هو نوع من الضوضاء ، ويعتبر تداخل الكلام كالضوضاء الناتجة عن التكلم الجماعي ، وأصوات منبهات المركبات وغيرها وتؤدي الضوضاء الى اضطراب في النوم أو النوم الخفيف ، وهو أقل فائدة من النوم العميق ، لذلك يفضل أن يكون مستوى الضوضاء أقل من ٣٥ ديسبل (الديسبل وحدة قياس الضوضاء) في غرفة النوم .

ان اضطرابات النوم تؤثر على الصحة البدنية والعقلية وللضوضاء تأثير على كفاءة العمل ، حيث يقلل من كفاءة الأداء الشخصي ونوعية العمل ، وبالتالي التأثير على المردود الاقتصادي ، وخاصة للاشخاص العاملين داخل المصانع

ضوضاء المصانع

تتغير الضوضاء بشكل كبير تبعا لنوعية المصنع . وزمن التعرض للضوضاء له تأثير كبير في حالة ضوضاء المصانع ، حيث ان العاملين داخل المصنع يتعرضون خلال فترة العمل التي تصل إلى ثماني ساعات يوميا الى نفس النوع من الضوضاء ، وهذا قد يؤدي الى فقدان السمع بشكل خطير ، عند عدم أخذ الاحتياطات اللازمة للتقليل من تأثير الضوضاء .

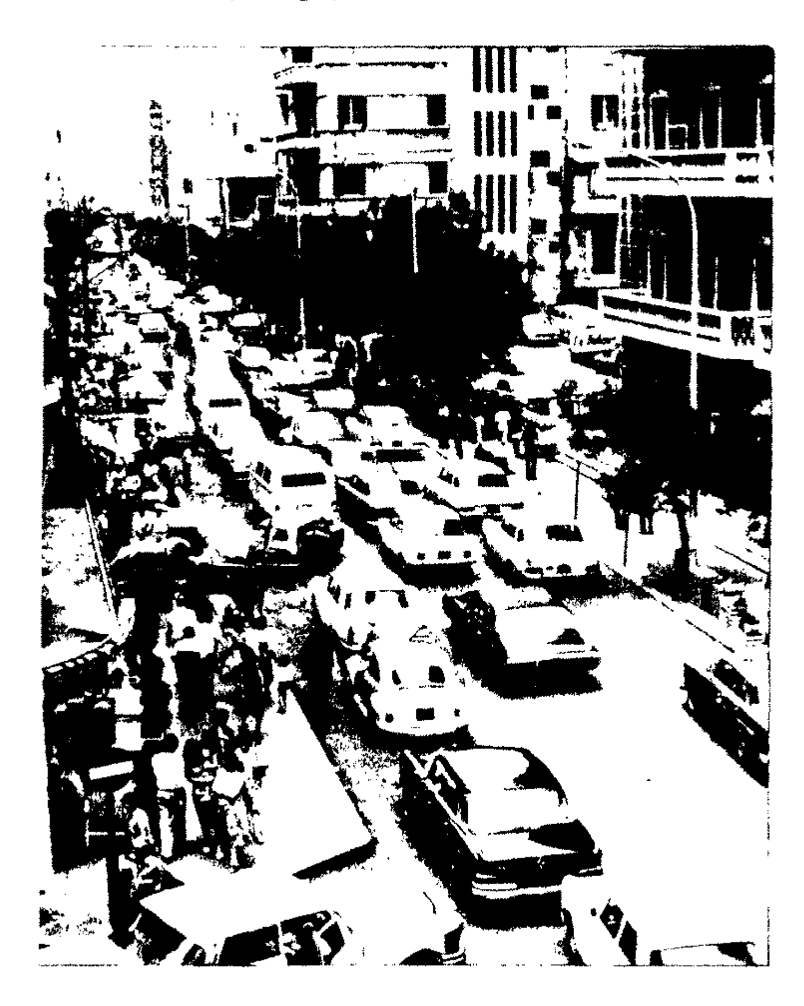
ان تأثير الضوضاء يختلف حسب مصدره ، والمصادر تصنف الى ضوضاء التصادم ، كمكابس التحريم ، ومطارق السبك ، وضوضاء الميكانيكا كالمشعلات الميكانيكية ونقل الأجزاء المعدنية ، وضوضاء جريان الهواء والسوائل كالمراوح والمضخات والخطوط الهوائية ، وضوضاء الاحتراق كالأفران ، والضوضاء الكهرومغناطيسية كالمحركات .

وطرق السيطرة على الضوضاء تعتمد على مصادرها كالتقليل من الاهتزازات باستخدام أسس مخمدة ، وعزل المكائن بسطوح مانعة لنقل الصوت ، وتغليف حاويات الهواء والسوائل المتحركة بمواد عازلة ، وعزل منشآت مصادر الضوضاء عن منشآت العمل قدر الامكان ، كمنشآت الطاقة في المصنع . وقد وجد أن حماية العامل ضد الضوضاء أقل كلفة من حماية مصدر الضوضاء ، وهي أساسا حماية الأذن بوضع كاتمات صوت أو سدادات للتخفيف « EAR Plugs » من تأثير الصوت ، وعموما تعتبر الكاتمات أفضل من السدادات عند استعمالها بشكل مناسب ، ولكنها غير مريحة الاستعمال

ان الضوضاء الصناعي له تأثير مزعج على المناطق السكنية القريبة من المصانع وهناك مسافات مسموح بها بين المصانع والمناطق القريبة منها لمنع تأثير الضوضاء على القاطنين في هذه المناطق ، وتعتمد هذه المسافة على نوعية المصنع ، فمثلا المسافة في حالة مصانع مكائن الاحتراق تبلغ ٢٢٠٠ متر ، في حين تبلغ المسافة ٢٠٠ متر في حالة مصنع التعليب

ان عدد ناقلات الطرق في تزايد مستمر ، مما يؤدي الى زيادة في التأثيرات السلبية للضوضاء . وتنبعث الضوضاء من المكينة ، والعادم ، والأدوات المساعدة ، والعجلات وحركة الهواء . ان مصادر الضوضاء تعتمد على نوعية الناقلة ، واستخداماتها وطريقة التشغيل . وتعتبر الشاحنات أكثر الناقلات تأثيرا بالنسبة للضوضاء ، حيث ان شاحنة واحدة لها تأثير مايقرب من خمس ناقلات .

لذلك فان التقليل من ضوضاء الشاحنات أكثر أهمية من تقليل ضوضاء الناقلات الأخرى . وكلما انخفضت سرعة الشاحنة ازدادت ضوضاؤها ، وأصبح استخدام كاتم صوت وعادم ملائم لكل شاحنة ضروريا . وحاليا يوجد عدد كبير من الشاحنات ذات عوادم غير ملائمة . وعند السيطرة على ضوضاء العادم فان ضوضاء المروحة تصبح مسيطرة في السرعة المنخفضة . وعندما تزداد سرعة الشاحنة عن ٥٠ ميلا بالساعة ، فان ضوضاء العجلات تسيطر على ضوضاء المصادر الأخرى ،



والسبب الأساسي هو المداس (السطح المحيطي للاطار)

مستويات الضوضاء تزداد بزيادة السرعة في حالة السيارات والدراجات البخارية ، وهي أقل تأثيرا مما تحدثه الناقلات الأخرى ، الا في حالة تسارعها ، ويعتبر العادم في هذه الناقلات المصدر المهم للضوضاء

ان المعدات الانشائية الناقلة تسبب ضوضاء عالية وهنالك حيث يمكن التقليل من تأثير ضوضاء هذه المعدات باستخدام كاتمات حديثة في صنع العادم ، ومروحة التبريد ومواقع التشغيل

ان ضوضاء المرور تنقسم الى ضوضاء المرور المتحرك المستمر ، كالمرور في الطرق الخارجية ، وضوضاء المرور ذي التوقفات ، كمرور الطرق داخل المدن وتزداد الضوضاء عند التقاطعات والمرتفعات كما تزداد ايضا كلما كان الطريق اكثر صلابة فالطريق المبلط بالاسفلت اكثر ضوضاء من الطريق الترابي

وللسيطرة على ضوضاء المرور بالنسبة للابنية والمناطق السكنية يمكن اتباع الاساليب التالية زيادة المسافة بين الطرق والابنية ، تركيز الابنية في الطرق الفرعية الخاصة ، لأن هذه الطرق اقل ضوضاء من الطرق الرئيسية ، استخدام المتسكات بين الطرق الرئيسية والأبنية ، وجعل واجهات الأبنية عاكسة للصوت

حماية المباني من الضوضاء

ان مواقع الأبنية يجب دراستها بالنسبة لتأثير مصادر الضوضاء عليها عند مرحلة التخطيط فضوضاء المرور والمصانع ودور اللهو والتسلية وغيرها تؤخذ بعين الاعتبار عند تخطيط المدن مثلا ، حيث ان الأبنية تستخدم لأغراض مختلفة كالعمارات السكنية والمدارس والمستشفيات ومكاتب الاعمال وغيرها

هناك ، طرق عديدة تستخدم للتخفيف من الضوضاء كالحواجز أو ترك مسافات خالية أو مزروعة فالحواجز المستخدمة بين مصدر الصوت ومن يتأثر به تحجب الصوت نتيجة لانعكاسه وامتصاصه وهنالك مؤثرات طبيعية على هذه الحواجز مثل الريح واضطراب الهواء ، والاختلاف في درجة الحرارة وطبيعة الأرض فعندما يكون الصوت ضد الريح فان الموجات الصوتية تنعكس نحو الأعلى ، وعندما يكون الصوت مع الريح فان الصوت ينحرف نحو الأسفل

ان الحواجز العالية تؤدي الى خفض مستويات الصوت ويمكن عمليا استخدام السداد لحجز مصدر الصوت عن الأبنية ويمكن استخدام أحزمة حشيية أو أشجار بعرض لايقل عن ٥٠ مترا للتخفيف من تأثير الضوضاء بين المصدر والابنية ، ويمكن الحصول على نتيجة جيدة عندما تكون الأشجار كثيفة وعالية وفي بعض الأحيان فان الأبنية العالية تحمي الأبنية الواطئة والمساكن من الضوضاء ، وتوضع الشبابيك والفتحات في الواجهات المعاكسة للطرق

ان الواجهات الخلفيه يقل فيها مستوى الضوضاء عن الواجهات الأمامية المقابلة لمصادر الضوضاء ووجود الأبنية على جانبي الشوارع يؤدي الى زيادة مستوى الضوضاء بسبب ارتداد الصوت . كما أن الطوابق العالية تزداد فيها ضوضاء المصادر الجوية كضوضاء الطائرات . بسبب عدم امتصاص الارض لها لذلك لايحبذ أن تكون الأبنية العالية قرب المطارات .

ان مصادر الضوضاء داخل المساكن لها تأثير على الساكنين ، كأدوات التنظيف ومكيفات الهواء وأدوات المطبخ وغيرها ، والتقنية الحديثة أدخلت في حسابها التقليل من تأثير ضوضاء هذه الأدوات .

أما السيطرة على الضوضاء داخل الأبنية فتتم بعزل الجدران والسقوف والأرضيات ، والأبواب والشبابيك ، ومنافذ التهوية والتبريد ومصعد البناية ، والتأسيسات الصحية ، والممرات وأسس الأبنية ويفضل أن تكون القواطع من طبقتين يفصل بينهما طبقة هوائية بسمك ٧ سم لمنع احداث الرنين وتعزل الشبابيك باستعمال طبقتين من الزجاج يفصل بينهما طبقة هوائية بسمك ٧ سم كما أن الباب الخارجي يجب أن يكون ثقيلا وسميكا متعدد الطبقات . وتعزل مكائن التهوية عن المجاري بمادة مطاطية مع تغليف المجاري نفسها بمادة عازلة ، وتعزل الأرضية بمادة عازلة كالمطاط . كما تعزل الأسس بحفر خندق حول البناية يملأ بالرمل والحصى

القاعات السمعية

وهي القاعات التي تتوفر فيها شروط الاستماع الملائم ، كالقاعات الدراسية ، وقاعات الاجتماعات والندوات ، ودور العبادة ، ودور العرض المختلفة كالمسارح وغيرها ، وشكل القاعة وتوزيع المادة الماصة للصوت على جدران القاعة لهما تأثير على توزيع الطاقة الصوتية وعند اختيار المواد الماصة يراعى أن تكون خفيفة الوزن ، مسامية ، سهلة الادامه ، لاتتعرض للحشرات ، غير قابلة للاحتراق ، تقاوم الرطوبة ، ومن السهل تلوينها . أما المواد المبعثرة والناشرة للطاقة الصوتية فتستخدم للتخلص من ظاهرة تجمع الصوت وظاهرة الصدى وتشكل المواد الناشرة تختلف من سطوح محدبة أو اسطوانية أو مخروطية ، وهي التي نلاحظها في السطوح الداخلية لأفنية المساجد

ويتم تعديل السطوح الداخلية في القاعه بشكل يخدم توزيع الطاقة الصوتية لكافة الأشخاص الموجودين داخل القاعه . ويجب تعديل سقف القاعة بشكل يجعل الأمواج الصوتيه الساقطه عليها تنعكس الى الاشخاص الجالسين في المقاعد الخلفية ، وذلك برفع السقف وتكسيره ويجب امالة أرضية القاعة لكي تصل الأصوات لكافة الأشخاص الجالسين ويكون الانحدار بنسبه ١ ٨ ، وهناك خصوصية بالنسبة الى المسارح ، وذلك بعدم وضع المواد الماصة على السطوح القريبة من المسرح ، ويستحسن وضع شرائط خشبية صادة على هذه السطوح ، وعدم وضع ستائر بالقرب من المسرح أو خلفه ، ووضع سطح عاكس في المسرح . وتوضع المواد الماصه بشكل شرائح على جانبي السقف ، والجزء الخلفي من القاعة المقابل للمسرح ، ويستحسن امالة الجدران الجانبية لتضيق في الجزء الأمامي ، وتتسع في الجزء الخلفي ، وذلك للتخلص من الصدى المتكرر

وعموما عند تصميم القاعات السمعية تؤخذ النقاط التالية بنظر الاعتبار . استعمال أقل عدد من الشبابيك ، جعل الأبواب سميكه وثقيلة ، وتغطية أرضية القاعة بمادة ماصة للصوت ، ارتفاع القاعة الكبيرة ينبغي أن يكون ثلث عرضها ، بينما ارتفاع القاعة الصغيرة ينبغي أن يكون ثلثي العرض كما ينبغي أن تكون ٧٠ بالمائة من مساحة السطوح المقعرة معلقة بمواد ماصة ومبعثرة للصوت ، والضرورة تقتضي تجنب حدوث السقف المقعر أو الجدران المقعرة ، وعزل الأجهزة الميكانيكية عن القاعة عزلا جيدا في حالة وجود الشرفه ، فيجب يجب أن يكون عمقها كبيرا وأن تكون الشرفة محدبة ، وفي حالة استعمال مكبرات الصوت يجب عدم وضعها بشكل متفرق ، وانما بشكل عقودي ، وعدم وضع مكبر للصوت مقابل المسرح لان مستوى الضوضاء المسموع في القاعة السمعية يجب أن لايزيد عن ٣٠ « ديسبل » .

ان مسئولية التقليل من تأثير الضوضاء تعتمد على المجتمع نفسه ثم المصنع والتشريعات والمسئولين عن تطبيقها □

حكايات شرق وغرب

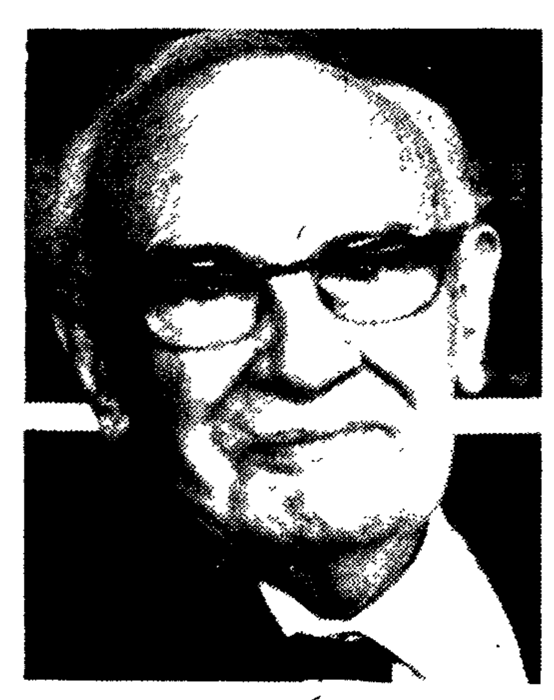
شاب في الخامسة والثمانين !

« لن أكون أبدا ذلك الرجل العجوز الذي كان يعيش في داخلي خلال سني شبابي بين العشرين والثلاثين ! » كانت هذه هي بعض أحاسيس الكاتب القصصي سير فيكتور بريتشت وهو يحتفل بعيد ميلاده السبعين منذ أكثر من خمسة عشر عاما

ولكن لماذا الآن ؟ ما الذي دفع الصحفيين الى الحديث عن الرجل الذي أمتعهم بقصصه القصيرة في هذا الوقت بالذات . . انهم لم يعودوا الى حياته ينقلون منها صفحات فحسب ، بل راحوا يبحثون عن الكلمات التي بقيت حية على مدى تلك الأعوام التي انقضت بين بلوغه السبعين ، واحتفاله أخيرا باطفاء خمس وثمانين شمعة رصت في عناية فوق كمكة عيد ميلاده الذي احتفل به معه الملايين

وكانت المفاجاة عندما وقف سير فيكتور منصوب القامة ممتلئا نشاطا وحيوية ، وراح يتحدث الى المدعوين ويتفحص وجوههم بعينيه النافذتين ، ويقول : نعم . . أليس غريبا أن أشعر بدماء الشباب تجرى في عروقي في هذه السن المتقدمة إن أسوأ فترة في حياتي كانت تلك التي أمضيتها مع سني المراهقة منذ أكثر من سبعين عاما مضت عندما كنت أحس بالهرم . . انني اليوم أعيش سنوات شبابي الضائع . لاشيء يسبب لي حرجا أكثر من سماعي لحديث الناس وهم يقولون لي وقد تملكتهم الدهشة : « ياله من أمر عجيب ، أن تبلغ الخامسة والثمانين وأنت تتمتع بهذه الحيوية ! »

ولكن من هو سير فيكتور ؟ انه أعظم كتاب



سير فيكتور بريتشت

القصة القصيرة في بريطانيا اليوم وهو أيضا واحد من الذين يجلسون فوق قمة هرم النقد الأدبي . . وهو يقول ان سر احتفاظه بنشاطه وشبابه وحيويته انه يعيش حياة الناس وينقل صورا من معاناتهم انه يجد في هذه المشاركة أعظم ما يمكن أن يجده انسان وهو يغوص في أعماق النفس البشرية وينفعل مع ما يجده فيها من أحاسيس !

وفي غرفة مكتبه في البيت الصغير الذي يعيش فيه باحدى ضواحي لندن ، يجلس سير فيكتور في صباح كل يوم مع كتبه ومع اللوحات التي رسمها الفنانون

المعاصرون من اصدقائه ، وتمثل معظمها الطبيعة التي عشقها . . إن لقاءه مع « هؤلاء الأصدقاء » كما يسميهم يبدأ في التاسعة صباحا ، عندما يصعد الى الطابق الثاني الذي يقع فيه مكتبه بعد أن ينتهي من تناول طعام الافطار مع زوجته « دوروتي » التي أهدى اليها كل قصصه . . ثم يجلس الى مكتبه ويبدأ في الكتابة بقلمه الذي رافقه رحلة عمره ويرفض أن يفترق عنه !

متى يلتقي بالناس ؟ ومتى يعيش معهم ؟ يقول سير فيكتور : « عندما أذهب الى سوق المدينة لأشترى ما نحتاج اليه في البيت من لحوم وخضراوات وفواكه . . هناك يكون دائما لقائى بهؤلاء الذين أجد في حديثهم معى أجمل صور الحياة ، حتى تلك التي قست عليها الحياة ! »

في كتابه الأخير السادس والثلاثين الذي صدر أخيرا في لندن ، قدم المؤلف دراسة عن تشيكوف ، سيد القصة القصيرة في روسيا . . ويقول سير فيكتور : « لكي أكتب عن تشيكوف ، كان لابد أن أعود الى قصصه كلها . . وعندما بدأت أقرأ ما كتبه هذا الرجل العظيم توقفت عن كتابة القصة القصيرة . . ربما أعود اليها مرة أخرى ، ولكن ليس الآن ، فلابد أن تختفى من رأسي صور أبطال قصص هذا العملاق الروسى ، حتى أستطيع أن أقدم شيئا جديدا !

تقليد عائلي !

وقف الرجل العجوز أمام محكمة (ميسور) في الهند متهما بالتسول . وقال القاضي : « لو أنك كنت رجلا فقيرا معوزا لهان الامر . . ولكنك رجل ثرى ولست بحاجة لأن تمد يدك طالبا الاحسان . بماذا تفسر هذا المسلك الغريب من جانبك ؟ »

وقد كان المتهم بالفعل ثريا ، فهو يمتلك بيتا صغيرا ويحصل على معاش من الدولة بعد أن جاوز الستين ، وكانت ابنته تعنى به وتسهر على راحته ، وبالرغم من هذا كله كان أهالى ميسور يشاهدونه يتسول فى شوارع المدينة مرتين كل اسبوع !

ووقف الشحاذ الثرى ويدعى اديان شيلوفايا يدافع عن نفسه ويروى للقاضى الاسباب التى تدفعه الى ممارسة التسول ، قال : « انها تقليد عائلى يا سيدى . فقد كان والدى شحاذا وقد وعدته قبل أن يموت بأن امارس نفس المهنة التى كان يجيدها ، وكانت تدر عليه



ارباحا طائلة . . ولكننى اكتفيت بالخروج الى الشارع للاستجداء مرتين فقط كل اسبوع كما ترى . . انه عهد قطعته على نفسى ولا استطيع أن انقضه !

وعندما خيره القاضى بين التوقف عن ممارسة هذه « العادة » أو دخول السجن ، لم يتردد اديان فى قبول العقوبة التى حكم عليه بها ، وقال : « لعلها تكون الطريق الوحيد الذى يمكن أن يمنعنى من أن أمد يدى الى الناس طالبا الاحسان ! »

الضحية البريئة !

عندما ترك الأب بيته في ثورة عاصفة على اثر مشاجرة عنيفه مع زوجته ، أحس بقلبه يئن ويتوجع ، فقد ترك وراءه طفلته الصغيرة الوحيدة التي لم تتجاوز الخامسة ، وهو يعلم أن أمها سوف تتمسك ببقائها معها ولن تسمح له بلقائها بعد اليوم !

ولكن الأب لم يحتمل فراق طفلته ، وبدأت المفاوضات بين الطرفين . . الزوج الذي أعماه الغضب « ادوارد ميلز » والزوجة « ميلودى » التي

رفضت بعناد أن تفترق عن طفلتها « سمانثا » ، وانتهى الحوار الطويل بينهما على اتفاق باللقاء في موقف عام للسيارات بمدينة ستوكتون بولاية كاليفورنيا ، قريبا من البيت الصغير الذي كان يضم هذه الأسرة الصغيرة السعيدة قبل أن تعصف بها رياح الحياة !

وتم اللقاء بالفعل ، ولكن ما كاد الحديث يبدأ بين الأبوين حتى تطور الى حوار عنيف ، لم تجد الزوجة وسيلة لانهائه الا أن تحمل طفلتها وتعود بها الى حيث تركت سيارتها .. ولكنها ما كادت تفعل حتى استبد الغضب بالزوج الذي لحق بها ، وأسرع يختطف الطفلة من مقعدها في السيارة قبل أن تتحرك عائدة بها الى البيت !

وأسرعت الأم بدورها تدير محرك سيارتها لتلحق بالأب قبل أن يتمكن من حمل طفلته معه في سيارته والانطلاق بها .. ولكن محاولتها فشلت ، فقد تمكن الأب بالفعل من الوصول الى سيارته التي وضع طفلته فيها بجانبه ، وانطلق بأقصى سرعة في الطريق السريع حيث لايدرى أحد الى أي مكان سوف يذهب بها .

وبدأت المطاردة .. سيارة الأب ومعه الطفلة الصغيرة التي استبد بها الهلع ، فراحت تبكي فزعا ، في المقدمة ، ومن ورائها سيارة الأم التي تمكنت من اللحاق بها ، فراحت تحاول ارغام الأب على تغيير مسار سيارته والخروج عن الطريق السريع ..

ويبدو انها نجحت ولكنها فشلت في السيطرة على عجلة القيادة فاصطدمت بالسيارة التي تقل طفلتها وانقلبت فى حفرة عميقة ، ثم مالبثت أن تبعتها سيارة الأب التي انقلبت بدورها بعد أن قذفت الصدمة القوية بالطفلة ووالدها خارج السيارة !

ونقل الثلاثة الى المستشفى .. الأم والأب والطفلة الصغيرة .. وأجريت الاسعافات العاجلة للمصابين ، وخرج الأبوان في نفس اليوم .. ولكنهما بقيا ينتظران ابنتهما التي قرر الأطباء نقلها الى غرفة العناية المركزة ، فقد كانت مازالت في غيبوبة لم تفق منها الا في صباح اليوم التالي ، عندما فتحت عينيها الصغيرتين للحظات ، ثم عادت تغلقهما .. لقد ماتت الطفلة « سمانثا » نتيجة لاصابتها بارتجاج شديد في المخ ..

وقدم الوالدان للمحاكمة ، وقال ممثل النيابة وهو يعرض ظروف القضية : « مسكينة هذه الطفلة الصغيرة البريئة فقد ذهبت ضحية صراع بين أبوين أصابهما مس من الجنون .

حدث في الصين

كانت العروس تخطر في فستانها الأبيض الجميل ، وهى تتجه في الطريق الى السيارة الانيقة التى تقف أمام باب بيتها في انتظار وصولها ، ومن ورائها قافلة من السيارات التى اردحمت بالمدعوين الى حفل الزفاف ..

أكثر من ألف مدعو امتلأت بهم قاعة الاحتفالات ، وسط ألحان الموسيقا التى شاركت فرقتان في عزفها ، قبل أن يتجه المدعوون الى قاعة أخرى ، امتلأت بالموائد التى حفلت بأشهى أطباق الأطعمة التى اشترك في اعدادها ستة من أكبر وأشهر الطهاة .. !

فلما انتهى المدعوون من تناول طعام العشاء ، راحت الهدايا الفاخرة تنهال على العروسين اللذين وقفا يتقبلان التهانى .. بينما احتشدت الألوف من



جماهير الشعب على الجانب الآخر من الشارع خارج قاعة الاحتفالات ، وكل واحد منهم يمنى نفسه بالفوز بنظرة خاطفة الى ما يحدث وراء جدران القاعة العالية .

ولكن أين كان هذا الحفل ، وأي زواج هذا الذى ظل حديث الناس أسابيع وشهورا طويلة . .
ان العروسين ليسا من أهل هوليود ، ولا الريفيرا . . ولكنهما من سكان مدينة وانيان في الصين الشعبية !!
أما والد العريس جاو ياوهنج ، فلم يسعد طويلا بالحفل الكبير الذى أقامه لابنه ليلة زفافه ، فقد تلقى لوما شديد اللهجة من المسئولين ، لعودته الى هذه الأساليب المستهجنة ، وخصوصاً لأنه تلقى تحذيرا من عمدة المدينة قبل الاحتفال بزواج ابنه ، يرجوه فيه أن يحرص على أن يكون الحفل بسيطا !

ولم يكتف المسؤولون باللوم ، فقد أصدروا أمرا بوقف الأب الذى يعمل رئيسا لمكتب العمل بالمدينة ، عن تأدية مهام منصبه ، توطئة لاتخاذ مايرونه من اجراءات ضده !

قال أحد المسؤولين مفسرا : « نحن لانمنع الشعب من التعبير عن أفراحه ، ولكننا فقط نستنكر الاسراف المادى في هذا التعبير ، فيجب الا ننسى أننا نعيش في بلد لايزيد متوسط دخل الفرد فيه عن مايوازى ثلاثمائة وخمسين جنيها استرلينيا في العام كله .

الذئب الطفل !

شهدت احدى القرى الجميلة الصغيرة في اليونان أغرب « قصة حب » بطلاها سيدة في الرابعة والخمسين تدعى ايفانجليا فراكا وذئب متوحش عمره عشر سنوات . .
وتبدأ هذه القصة الغريبة في عام ١٩٧٦ ، عندما عثرت السيدة على ذئب صغير مصاب ، تركته أمه في الغابة القريبة من القرية التى تعيش فيها . ورق قلب ايفانجليا للحيوان الصغير ، فما كان منها إلا أن حملته وعادت به الى البيت الذى تعيش فيه ، عند سفح الجبل بقرية لانحاديا .
وفي البيت راحت السيدة تعنى بالذئب الصغير وتقدم له الطعام ، ولم يمض وقت طويل حتى كانت القرية كلها تتحدث عن الذئب الصغير الأليف الذى يحرص الأطفال على زيارته واللعب معه !
ومرت الشهور والأعوام ، وبدأ الذئب الصغير يكبر ، وبدأت الشراسة تظهر في عينيه ، وفي عوائه المخيف بالليل ، وأسرع أهل القرية الى صاحبته ينصحونها بأن تعيده الى الغابة ، حيث يجب أن يكون ، حتى لايصبح خطرا يتهدد الأطفال الذين يأتون للعب معه !
ولكن السيدة كانت تفزع لمجرد التفكير في أنها سوف تفقد ذئبها المدلل الذي قضت سنوات طويلة وهى تعنى به وتربيه ، وشيئا فشيئا بدأ الناس يبتعدون عن « بيت الذئب » حتى أصبحت السيدة تعيش في عزلة تامة مع هذا الوحش المدلل !
الى أن كانت احدى الأمسيات ، عندما ذهبت ايفانجليا تقدم للذئب طعامه ، فهاجمها ، وأحدث اصابات بالغة في جميع أجزاء جسمها !

ونقلوها الى المستشفى للعلاج . . وقال أهل القرية : « لابد انها اقتنعت الآن بضرورة التخلص من هذا الصديق المتوحش ، ولكنهم فوجئوا بها عندما ذهبوا لزيارتها وقد رقدت على فراشها تبكى !
فقد كانت ايفانجليا تتوسل الى الأطباء والمسؤولين بألا يتعرضوا للذئب بالأذى . . قالت وهى تمسح دموعها : « لقد أخطأت . . فهو حيوان ذكى ، ولابد أنه سمع جيرانى وأصدقائى وهم يطلبون اليّ التخلص منه !!

الغريب أن أحد الخبراء في سلوك الحيوانات أيد كلام السيدة ، قال : « ان الذئب حيوان غير مستأنس ، ولكنه ذكي ، وربما يكون قد أحس بأن صاحبته تفكر في التخلص منه ، فأراد أن يعاقبها ! »
تقول ايفانجليا التى لم تتزوج ، ولم تكن لديها خبرة بتربية الأطفال : « لا تنتزعوه منى ، فقد أصبح بالنسبة لى إبنا تعبت كثيرا من أجل تربيته ! وأعدكم أننى سأكون أكثر حرصا في المرة القادمة ! □

محمود المسعدى و« السد » الشهير

بين فلسفة الإبداع وإبداع الفلسفة

بقلم : محمد الحبيب براهم

أكرمت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم « اليكسو » منذ أشهر قطبين من رحاب الفكر العربي المعاصر هما محمود المسعدى من تونس وزكى نجيب محمود من مصر وتعميقا لأواصر الترابط الروحى والفكرى بين المشرق والمغرب على جسر « العربى » الغراء ، تنهض الهمة فى هذا المقال التحليلى الى الخوض فى مكنون مظاهر الابداع الفكرى عند الأديب محمود المسعدى ، من خلال أثر عجيب فى مضمونه وأسلوبه هو كتاب « السد » الشهير

ملامح شخصية

ولد الأستاذ محمود المسعدى فى ٢٣ / ١ / ١٩١١ بتازركة ، وهى قرية من ولاية الوطن القبلى بالشمال فى الجمهورية التونسية ، وزاول تعلمه بتونس ، وواصل تخصصه الجامعى بكلية الآداب فى السوربون بباريس وتقلد اثر عودته عدة مناصب سامية ، أهمها وزارة التربية القومية سنوات عديدة ، تولى خلالها تنفيذ برنامج الاصلاح التعليمى بتونس غداة الاستقلال ، وهو حاليا رئيس مجلس النواب (البرلمان) ، اضافة الى مهام متنوعة فى الحقلين السياسى والثقافى عربيا ودوليا ، زخرت بها حياته المليئة ، اسهاما وابداعا ، وقد احرز عدة أوسمة عليا من تونس ومن خارجها

ومن مؤلفاته رواية « السد » (١٩٥٥) و « حدّث أبو هريرة قال » (١٩٧٣) و « مولد النسيان » (١٩٧٤) ، و « تأصيلا لكيان » (١٩٧٩) ، و « الايقاع في السجع العربي » وهي اطروحة دكتوراه صدرت سنة ١٩٨١

ولئن كانت وجوه التعريف بهذا الأديب الذي يندرج في حلقات اشعاعات الرمان العربي العده عريرة ، فإن أهم ما بقي منذ ثلث قرن يشد اليه الأنظار والأقلام هو أنه صاحب « السد »

رواية « السد »

هي رواية ذات طابع فلسفي ، وابعاد قابلة لاستيعاب مفاهيم حافلة حبلى ، صدرت سنة ١٩٥٥ ، وطبعت ثانية سنة ١٩٧٤ ، ونقلت الى الفرنسية من قبل منظمة اليونسكو ، في اطار برامجها للنهوض بالكتاب والتبادل الثقافي الدولي ، وكان ذلك سنة ١٩٨١

تقع الرواية في ثمانية مناظر تسري في قالب لوحات متسلسلة الخيط ، مفعمة باحداث ملاحقة نابعة من الواقع ، الا انها غريبة الملامح عجيبة الأحواء ، يتسرح فيها عبر عوالم غريبة الروافد والصور والاتجاهات

فهذا بطل الأحداث « غيلان » يحدث زوجته « ميمونة » عن حلم يراوده ويسعى لتجسيده واقعا حيا ، في دنيا سكان القرية النائمة المتواكلة ، في سفح هذا الجبل الأغبر ، الذي ينفض قتامة الجفاف والقحط والجوع والعراء والمرض على من حوله ، انه يحلم بسد شامخ منيع يحمي من الأخطار ، ويحفظ الماء المهدر من عين الجبل ، ويغير وجه الأرض ووجود الناس ، وحال القرية واحوال القوم وتفرع ميمونة من حلم زوجها ، فهو بمثابة التحدي لآلهة القحط التي يطيعها السكان « صاهباء » وهو كذلك تمرد عن الطبيعة وقانون الوجود ، وتحاول شتى الوسائل ان تثنيه عن عزمه ، الا أنه يتقد حماسا لفكرته ويتشوف لمشروعه

ويجمع غيلان شتات العمال ، ويتعالى البناء رويدا رويدا ، يتحدى من بقي من القوم حاملا بلعن عن واقعه ، ويتطهر في ركبه بالشمس ، مستحيا في

معتقده الخاطيء لعويل ذئب سائح ، وطبل مخوف مهدّد ، وأصوات جلية خفية ، منذرة متوعدة ، والهة يحكون عنها ولا تظهر ، تحطم وتسور على السنتهم ، فتتوالى المصائب على غيلان من مرض يلم به ، وهلاك للعمال ، وحريق في مكان الاشتغال ، ويراها الجميع لعنة ، وفأل شر مستطير ، في حين يستمد منها غيلان مزيد حماس واندفاع وشجاعة لتحقيق هدفه

وللنفس لحظات ضعف ، وفي احداها عند غيلان والاحباط يملأ عليه المنافذ ، والضياع يخنقه ، تبرز له من الوادي السحيق « ميارى » وهي طيف نوراني ، يخاطبه فيلهب فيه جذوة الأمل ، وتعاد ميمونة وتصرخ وتبكي ، ويظل مع تثبيطها لعزمه ماضيا به ، تنبت فيه نوازع الخوف والقنوط

ويتواصل العمل الملحمي في بناء السد ، ويحبس الكون انفاسه ليلة موعد انهائه ، ويتطلع الجميع الى اخر حجر يوضع ، ليتحقق الحلم ويتحرر الفعل البشري العظيم وفي اللحظة الموعودة ينفجر الكون عاصفة لا تبقي ولا تذر ، تندفع نحو السد الشامخ فتقوضه ، وتجرف كل شيء في عصفة عارمة لا يلوح إثرها الا شعاع ضوء خافت ، يلمحه غيلان من بعيد ، في حين تهرب الأرض من تحت اقدام ميمونة ، ويتهوى الفعل ، ويعوي الذئب ، ويبتسم البطل لسده المنهار استلاء ، ويطير في الفضاء وفي اعماقه جذوة حب لاماد لم تخمد



الاسلوب الفني

يتراوح الاسلوب الفني المستعمل في صوغ هذه الاحداث بين التشكل المسرحي على النمط الاغريقي اليوناني ، وما أفرزه بعد ذلك لدى عباقرة المسرح الفرنسي الراسيني بالخصوص ، وبين الحوار القصصي المتسلسل على نمط القصص القرآني ، وما تولد عنه من تطور روائي نثري ، وبين المحادثة النفسية والفلسفية القائمة على الاستقراء الباطني والايحاء الخارجي ، مع لمسة وجودية حادة النبرة

وقد واكب هذا المد والجزر في الاحداث تلوين فني عجيب في العبارة المستعملة واللفظة المرتلة كالصخر المنحوت في قوالب صُبَّتْ صبًا فتحدث غليانا فاذا اللفظة تنشد ملحمي

« واني لأرى سدًّى بين يدي ، وأرى المجاري ، وأرى الأنابيب ممتدة فوق اهاويه جسر حديدا تهرا من اهاويه متدافعا الى الوهاد . واني لأرى المياه مندفعة عالية قاهرة ولكن الخلق ولكن الولادة هذه الأرض المجعدة المغبار كالعجوز الساحرة لأحيلنّها ماء فأملأن بطنها فاخرجنّ حياة »

وتحدث ميمونة فاذا اللفظة مساحة استجداء ، وغرابة متفردة ، وعلى لسانها تتقمص بين الوادي واهبة وشره المستطير

« هلهما هلهما »

سَبَحت صاهباء

ربه الشمس ، ربه القحط ، تسكن الجبال الصخرة الرتة ، هلهماء هلهماء سبحت صاهباء ، وتهمس ميارى فاذا الكلمة انسياب شاعري حالم ، توازن في مراوحة دقيقة،صلابة وتتوءات غيرها في سياق الاحداث

وقفت خلفي اليّ وانا الملك ، وجعلت راسك على كتفي وشعري ، وطوقت راسك بذراعي ، فاذا انا حاملة اناء خمر وصيبا معبودا ، وعالما حيا فاذا نحن نحس احساس واذا حسنا نحن نحل سنى سواء

حتى فطرتك وفطرت ، فاذا نور الشمس خيوط او بيوت عنكبوت يلمع لعيني ، فمسسته وعرفت وجه فرحي بوجهك وها قد جاءت ساعة السر العظيم والخلق المتين والفعل

وتنور الجبل ويحطم السد ، فاذا الجملة سواط



محمود المسعدي

نار وبركان جمر « بسنا الظلام فجأة فينتشر ، وتعصف ريح من الشيطان كالعباس الربانية أو كالندم والاثم ويظهر الجبل في ضوء البرق متضاحكا قائم الصدر وبرز من الغيب سواعد وايد كقطع الجبال فتدك السماء والأرض والنجوم والاجبال وتقوم في الكون جميعا ثورة شعواء حمراء صلبة ، وكأن صوتا هيهمة يرتل وامرنا العواصف والرعد والسحاب والبرق والزلازل ، فانطلقت جميعا ودوت دويا ، وارسلنا الصاعقة فتفتت واودعت حياة حية » [1]

الأبعاد القزحية

يتراءى للمتأمل للوهلة الأولى ان هذا الأثر موغل في المأساة ، تأثر صاحبه بحكم نشأته الثقافي الانساني بالتيارات الوجودية التي عاشتها ، وميزت طابع البيئة التي احتلط بها في « باريس سارتر وكامو وسيمون دوبوفوار » ، او عمّقها فيه احساس الغربة اليائسة والاستلاب الحضاري المتوجع في فترة تحت المثقف والسياسي والمناضل التونسي . وهي جميعها صفات

هذا المفكر عن هويته فى وطن كبله الاستعمار، ومجتمع ينخره التخلف، الا أن الحقيقة أن «السد» ذو أبعاد أعمق، يمتزج فيها طابع الفلسفة برائحة النضال، ويتعانق فى طياتها الرافد الذهنى بالرافدين الاجتماعى والوطنى، ليلامس الذروة الانسانية فى نسيج فنى مبدع ومضمون فكرى خلاق الآفاق

يعتبر موضوع الخلود وقضية الكمال قضية الانسان الجوهرية منذ الأزل والى الأبد

وقد حاول الفلاسفة والعلماء والأدباء تجاوز هذه القضية كل بطريقته الخاصة، وبوسائل الابداع التى يتميز بها. وأفرزت المسيرة حلولا طريفة فى التجاوز من التحنيط عند الفراعنة الى الانتحار لدى الوجوديين، الا انها فى جميعها لم تضف الا شعورا بالهزيمة أو الاحباط، وهو ما صورة البير كامو فى أسطورة سيزيف، مما يجسم حرقة المأساة فى العجز البشرى الذى يدور فى حلقة مفرغة

الا ان المسعدى من منطلق جذور الايمان فى أعماقه العربية الاسلامية، يلون هذه المأساة الانسانية، التى وعاها عقله المتفتح للثقافات المتنوعة، ولاحظها حسه المرهف الدقيق كمفكر قلق لمشكلات الوجود تلوينا خاصا، فتنصهر هذه المؤثرات فى باطنه، وتمتزج لتتبلور فى أبعاد ذهنية ذات نكهة خاصة، تصور معاناة الانسان الواعى فى الكون، وقتله الذريع المؤقت، الا أنه لا يأس مع الحياة مادام فى الانسان نبض وفى الحياة أمل. ألم تتحدث ميارى فى آخر أطوار السد المتناثر أشلاء عن نور فى آخر الغاب ينادى النفس، ويبقى للغيم معنى، فى حين أن خاتمة المطاف للوجوديين كانت الحث على العدم والانتحار؟

انها «الوجودية المؤمنة» يتبناها المسعدى فيضيف من خلالها الى تيارات التفكير الأدبى الذهنى المعاصر لونا عميقا ثرى الأبعاد، وهو يلتقى فى هذا السياق مع توفيق الحكيم فى مسرحياته الذهنية

ساعد الاسلوب الرمزى لمحمود المسعدى على اضفاء أبعاد متنوعة على مضمون هذا الأثر الأدبى

ففى حين ينضح محتواه بالنكهة الفلسفية الخالصة، تتمطى فى ثنايا السطور مفاهيم اجتماعية تصل الى درجة الوطنية الطلائعية الثورية

فغيلان نموذج الزعيم الثائر على جمود الشعب فى قرية، والمصلح الذى يسعى هدم الخرافات البالية، وتبديد نفسية التواكل والاستسلام، والدعوة الى الثقة فى الهوية، واستقصاء المنبع، والحفاظ على الجذور الأصيلة والابداع الجديد فى كل وجوهه

انها صرخة ضد التخلف والجهل، وثورة على الاستعمار فى تلك الفترة التى تمثلها مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، على الشعب العربى المنكوب، وقبل المد التحريرى فى الخمسينات، وقد ارتفع المسعدى فى تحليله هذه الظاهرة الحضارية المؤدية بالانعتاق الى مرتبة المفكر المستشرف للمستقبل، المتفهم لخفاياه، والمتكهن بتطوراته، دون أن يسقط فى تدقيق مكانى أو زمانى، فجعل أثره الأدبى هذا أثرا محلقا فى مضمونه أو حدوده، بل هى قصة الانسان المجاهد للتحرر عموما، تماما مثلما كان الأمر مع أبى القاسم الشابى فى أغلب قصائده الشعرية، ذات الطابع الاجتماعى والوطنى، فهى تعانق قصة الانسان بآفاقها الرحبة فى كل زمان ومكان

وبعد

ان هذه الأبعاد الخفية التى اكتنزتها «السد» لمحمود المسعدى تذكرنا بقوس قزح الطبيعة فى ألوانه العديدة المتباعدة والمتناغمة فى آن واحد، ولعل هذا الثراء العجيب فى روايتنا هو الذى حدا بالنقاد الى اشباع مضمونها واسلوبها تحليلا وتدقيقا ومقارنة، وهى رغم ذلك كله مازالت كالعين التى لا تنضب، محطة اطروحات ومقالات تتوالد باستمرار، وذلك لتمثيلها علامة مضيئة فى درب التأليف الأدبى المعاصر □

■ أكثر الناس جرأة على الأسد أكثرهم رؤية له ! (عبدالله بن المقفع)

■ الخير في الناس مصنوع اذا جبروا ، والشر في الناس لا يفنى وان قبروا
(جبران خليل جبران)

العلاج الجماعي.. اتجاه جديد في

بقلم : الدكتور منصف المرزوقي *

الطبّ المعاصر يتقدّم بخطاً حثيثة في تعامله مع كثير من الأمراض كالسرطان والذبحة الصدرية . . . وهي الأمراض التي تسلّط عليها أجهزة الاعلام أضواءها ، الا أنه يعرف اليوم في كل بلدان العالم منعرجا جديدا ، قلما يعي الناس أهميته . تصور وممارسة جديدة تشكل ما يسمى بالطب الجماعي الذي يختلف في كثير من مفاهيمه ووسائله عن الطب التقليدي . فما هو هذا الطب ؟

يشترك جل الأطباء والمرضى ، وبصفة عامة كل من يسهر على مقادير الصحة في الايمان ببعض البديهيات التي تشكل ما يمكن تسميته بالفلسفة الضمنية للعمل الطبي ، الا وهي أننا نستطيع القضاء على أي داء اذا ما توفرت الشروط الآتية .

١ ـ تحديد المرض بدقة ، أي فرزه وانتشاله من خضم الأمراض السارية والمشابهة في بعض الأحيان .

٢ ـ معرفة أسبابه وعوامله داخلية كانت أم خارجية .

٣ ـ اكتشاف دواء مضاد يمكن من شل المفعول المرضي لهذه الأسباب .

٤ ـ توفير جهاز صحي يشمل امكانيات بشرية ، من أطباء وممرضين وتقنيين ، وامكانيات مادية من أجهزة وآلات ومستشفيات لتشخيص المرض وعلاجه .

ولنحاول تطبيق هذا النموذج النظري على مرض من أخطر الأمراض وأكثرها انتشارا في العالم اسهال الرضيع ، وسنرى أن ابسط البديهيات قد تكون بحاجة في بعض الأحيان الى المراجعة .

* استاذ بكلية ـ ابن الجزار ـ سوسة ـ بتونس رئيس قسم الطب الجماعي

مرحلة التحديد :

عرف اسهال الرضيع كمرض قائم الذات منذ القدم ، وقد وصفه الأطباء المسلمون في الكثير من كتاباتهم

فللرازي وصف دقيق يقول فيه (رسالة من أمراض الأطفال)

« يعرض الاختلاف (الاسهال) في الصبيان على الوجه الأكثر عند قرب نبات الأسنان ، كما ذكرنا سابقا ، أو من سبب البرد عند لفه بالقماط ، أو من سبب تعفن الحليب من الصفراء أو البلغم ، علامة كونه من الصفراء هو اذا كان لون براز الطفل ليمونيا ذا رائحة حادة ، ويخرج بدون توقف ، وعلامة كونه من البرد والبلغم أن يكون البراز يأتي سريعا

أما العلاج فهو أن يسقى الطفل شراب الورد أو عصير التفاح أو الرمان مع النعناع »

بقيت امكانيات الوقاية والعلاج رغم ان معرفتنا للمرض محدودة ، وذلك لجهلنا بالأسباب الموضوعية المؤدية الى الاسهال ، وعلى رأسها تلوث الماء بالجراثيم والحمات والطفيليات ، لكن الطب استطاع بداية من اكتشافات باستور في أواخر القرن التاسع عشر ، تجاوز هذه المرحلة ، وتحديد دور هذه الكائنات الحية ، ووصفها بمنتهى الدقة ، ومن ثمه اتضحت معالم سياسة وقائية ناجحه تقوم أساسا على محاربة الجراثيم بتعقيم الماء والحليب مثلا ، وبقيت طيلة النصف الأول من هذا القرن مشكلة العلاج الفردي قائمة بلا حل ، لعدم توفرنا على أدوية فعالة ضد هذه الكائنات الممرضة

وقد شكل اكتشاف دواء السلفاميد في أواخر الثلاثينيات والصادّات الحيوية المهمة في اواخر الأربعينيات المنعطف الخطير في تاريخ مشكلتنا ، اذ أصبحنا نتوفر على جملة من الأدوية ، تستطيع القضاء على جل الجراثيم والطفيليات ، ولم تبق الا مشكلة الحمات

الاسهال اذن وبصفة خاصة اسهال الرضيع مرض معرّف سريريا منذ القدم اكتشف الطب أسبابه ، واخترع لمحاربته أدوية فعالة ، متواجدة بوفرة في كل بقاع الدنيا

والحاصل هل اختفى المرض ؟

أول ما يتبادر الى الذهن هو أنه انقرض ، أو على وشك الانقراض ، فنحن قد وفينا بكل الشروط الطبية المطلوبة للقضاء على أي افة ، لكن للواقع رأياً آخر

أبعاد الكارثة

تقول احصائيات المنظمة العالمية للصحه

ـ ان معدل حالات الاسهال في العالم اسنان السعينيات حوالي سبعمائة مليون حالة سنويا

ـ ان اسهال الرضيع هو أول سبب للوفيات في بلدان العالم الثالث ، ويتدحل بنسبة الربع فيها

لنترجم هذه الحقائق المخيفه الى أرقام

ـ سنويا يقضي اسهال الرضيع على عشرين مليون طفل وذلك قبل بلوغ السنة الأولى من عمرهم القصير

ـ نسبة وفيات الأطفال في البلدان العربية تتراوح ما بين ستين في الألف ومائتين وخمسين في الألف ، وتقدر النسبة في تونس بثمانين في الألف ، اذا علمنا ان عدد الولادات سنويا هو مائتا ألف . فانا نستطيع بعملية حسابية بسيطة أن نقدر عدد الموتى بالاسهال سنويا من كل جيل جديد بأربعة آلاف طفل في تونس ، ويرتفع الرقم بالطبع الى نسب أعلى في بلدان أخرى كالـ[illegible] الصومال

لماذا [illegible] سنويا أربعة الاف طفل ، بمرض نعرف أعراضه [illegible] ، ونتوفر على أمضى الأسلحه لمكافحته ؟ ويتطور السؤال من المهم الى الأهم كيف نستطيع أن نوفر هذه الالاف من الارواح البريئة ؟

أول ما يتبادر الى الذهن أن النقص في الأطباء والمستشفيات هو السبب . وبخاصة أن النظرة الطبية الكلاسيكيه للاسهال تقرر أنه يجب علاج الطفل في المستشفى ، باعطائه الصادات وحقنه بالسوائل ، لتعويض ما يفقد من الماء والأملاح المعدنية التي يؤدي ضياعها بالاسهال الى الموت ، لكن التجربة هنا أيضا تفند هذا الرأي ، فنحن نلاحظ مثلا أن بلدا كتونس ، نظرا لتواضع مساحته ، وكثرة أطره ، يتوفر

على الحد الأدنى من الامكانيات البشرية والماديه ، ومع هذا فان ارتفاع التأطير الصحي لم يؤد الى اختفاء أو حتى تناقص مهم في حالات الاسهال

فمن طبيعه التفكير العلمي الصحيح ، أن يجبرنا على اعادة صياغة مفاهيمنا وطرق عملنا ، كلما اكتشفنا فشلا في مهمتنا ، ومن ثمه كانت اعادة صياغة السؤال كالاتي

ما هي العوامل التي لم نحسب لها حسابا في اطار نظرتنا الكلاسيكية ، للتعامل مع مشكلة الاسهال التي تجعل معرفتنا للمرض ، لأسبابه ولأدويته غير كافية لحله ؟

وكيف يمكن ايجاد حل في اطار الظروف الموضوعية الصعبة لبلدان العالم الثالث ، من نقص في الأطر والمستشفيات ؟

المستوى الجماعي :

من البديهي أننا لا نستطيع التعامل مع مرض يتسبب في موت عشرين مليون طفل سنويا في العالم ، بنفس الكيفية التي نتعامل بها مع مرض اخر كالزائده الدودية مثلا ، ففي الحالة الأولى نحن نواجه افة جماعية تشكل وباء أو جائحة ، ومن ثمه فان الحل لايمكن أن يكون مثلما هو الحال في المثال الثاني فرديا

فمن غير الممكن حتى لبلد له امكانيات هائله ، معالجة كل حالات الاسهال بصفة فردية ، وذلك للثمن الانساني والاقتصادي الباهظ

ومن الأنجع التعامل مع المرض كمشكلة جماعية ، تتطلب حلا جماعيا ، يخرج عن نطاق المعادلة الطبية الكلاسيكية ، مرض ، فتشخيص ، فعلاج فردي ، لكن أي حل ؟

وتتبادر الاجابة الى الذهن الوقاية طبعا ، لكن المشكلة ليست بالبساطة التي نحالها ، ذلك لأن المعضلة لا تختفي بمجرد اشهار شعار جذاب ، ولكنه طالما كان ولا يزال مجرد شعار

المطلوب اذن من البحث العلمي « فك » المفهوم وتفصيله الى أدق جزئياته ، لمعرفة أي وقاية نعتمدها لمكافحة المرض

لاحظنا أن الرازي انتبه الى دور تعفن الطعام في حدوث الاسهال ، لكن اكتشافه هذا لم يؤد به الى استخلاص كل النتائج ، وذلك لجهله بالعوامل المتسببة في التعفن أي الجراثيم

وهكذا بقيت معالم الوقاية مجهولة الى بداية القرن التاسع عشر ، أي الى أن أثبت الانجليزي ادوين شادويك دور تلوث الماء في حدوث الكوليرا ، وهو أول من أصاب في فهم دور الماء الصالح للشراب في الوقايه من أمراض الجهاز الهضمي الالتهابية

وباكتشاف باستور للجراثيم عمم الطب مفهوم التلوث بالكائنات الحيه الدقيقة الى كل غذاء وعلى رأسه الحليب ، وهكذا أدى فرض تعقيم الحليب سنه **١٩٢٤** بفرنسا الى انهيار نسبة وفيات الأطفال ، بكيفيه لم يعرف لها التاريخ مثيلا ، كما اتضحت كل معالم الوقاية ابتداء من هذه الفترة ، وتتلخص في توفير الماء العذب النقي ، والغذاء الخالي من أي تلوث مهما كان مصدره

لكن هذه الاكتشافات لم تؤد في العالم الثالث الى نتيجه على الصعيد العملي ، ذلك لأن توفير الطعام النظيف والماء الصالح للشراب أمران مرتبطان بالتقدم الاقتصادي للمجموعه البشريه المعنيه بالأمر وبالتالي نحن مهددون بالدوران في حلقه مفرغه ، اذا قررنا أن الوقايه من الاسهال لا تكون الا بالتقدم الاقتصادي ، فالفقر يولد المرض ، والمرض يولد الفقر ، ونحن مطالبون بكسر الحلقه المفرغة ، لا بالدوران في داخلها ، الى ما لا نهاية ، **أي أننا مطالبون بايجاد حل لمشكلة الاسهال ، في اطار الظروف الاقتصادية والاجتماعية القاسية ، والمتسمة بصعوبة ــ ان لم يكن استحالةــ توفير الماء النقي والغذاء السليم من التلوث**

وباستحالة علاج كل حالات الاسهال فرديا داخل مستشفيات تعاني من اكتظاظ رهيب

وهذه الخصائص هي بالطبع خصائص المجتمعات التي تعاني من الجائحة ، أي المجتمعات الفقيرة والمتخلفة التي تنتمي اليها جل المجتمعات العربيه والاسلامية

التربية الصحية أو البديل الممكن

لنعد طرح الأسئلة علنا نهتدي الى حل يخرجنا من الحلقة المفرغة

١ - لماذا يموت الطفل ؟ على وجه التدقيق ؟ هل موته نتيجة التوغل الجرثومي أو الحموي ؟ وهل لا بد من القضاء على هذه العوامل لانقاذ حياته ؟

٢ - هل يمكن علاج الطفل خارج المستشفيات وبأرخص تكلفة وكيف ؟

وكان الرد على السؤال الأول بسيطا ، فالطفل يموت نتيجة فقدان الماء والملح ، مما يؤدي الى جفاف الجسم ، وهي الحالة التي نسميها « نقص التميُّه الحادّ » وعندما لا يؤدي هذا النقص الى الموت ، فانه يترك مضاعفات خطيرة كالتخلف الذهني باصابة المخ

المهم أن أغلب حالات الاسهال مع خطر نقص التمية الحاد عند الرضيع ، هي نتيجة أغلاط في تغذيته ، كالانقطاع عن الرضاعة الطبيعية ، وتلوث ماء الشرب والحليب وسائر الأطعمة بالحمات خاصة

هذا لا يعني أن الجراثيم والطفيليات لا تتدخل ، لكن دورها متواضع نسبيا اذا قيس بدور الحمات ، ولهذا الاكتشاف بعد عملي هائل ، فنحن لا نستطيع التأثير بأي دواء حالي على الحمات ، يضاف الى هذا أنها لا تقتل مباشرة ، اذ يستطيع الجسم التخلص منها بعد أيام ، لكنها تقتل بتصبيغ الطفل للماء والأملاح المعدنية الضرورية عن طريق الاسهال ، إبان الهجوم الحميّ ، ومن ثم أصبح السؤال كيف نعوض للطفل ما فقده من ماء وأملاح معدنية ، بانتظار تغلب الجسم على الحمات المتسببة في الاسهال

نتذكر هنا أن رأي الطب الكلاسيكي يقضي بادخال الطفل الى المستشفى . وحقنه بالسوائل المعدنية ، ونتذكر استحالة تعميم هذه الطريقة نظرا لعدد المرضى واكتظاظ المستشفيات

هنا تولدت الفكرة لماذا لا نعطي الماء والأملاح المعدنية عن طريق الفم ؟ ولماذا لا نكلف الأم نفسها بعلاج طفلها ووقايته من خطر نقص التميه الحاد ، وقد أثبتت مئات التجارب صحة هذه النظرية ، أي امكانية اعادة التميه عن طريق الفم ، وذلك باستعمال مسحوق الأوراليت التي تصنعه المنظمة العالمية للصحة بسعر زهيد ، ومزجه بالماء المغلي ، أو اذا لم يوجد هذا المسحوق يمكننا استعمال الملح والسكر وفق طريقة معينة وقد قررت اكثر من سبعين دولة في العالم اعتماد هذه الفكرة البسيطة ، لبناء برامج وقائية لمحاربة اسهال الرضيع ، بتصنيع هذه المادة وتعميمها وتثقيف الامهات

نلاحظ اذن هنا من جديد تغير طبيعة المشكلة اذ يمكن تلخيصها الان كالتالي

لو استطعنا أن نعلم كل الأمهات (وخاصة الريفيات) انه يمكن وقاية الطفل من مضاعفات الاسهال ومن الموت ، بتشجيع الرضاعة الطبيعية ، أي بخلط مسحوق الأوراليت الذي توفره المنظمة العالمية للصحة ، المحتوى على ملح وسكر في لتر ماء مغلي ، وفي حالة عدم وجوده ، بوضع ملعقة من ملح وعشر قطع من السكر في لتر ماء بعد غليه وتبريده ، واعطاء الطفل بعد كل تبرز مقدار كأس صغير منه ، لتفادي حالات نقص التميه ولو فعلت الامهات هكذا لانخفضت نسبة الوفيات بنسبة ثمانين في المائة

نرى اذن اننا نستطيع الخروج من الحلقة المفرغة المميتة ، فلا نحن بحاجة الى كميات هائلة من الأسرّة والأطباء ولا الى انتظار اقلاع اقتصادي قد يكون وقد لا يأتي ، لكن على شرط أن نعمم هذه المعرفة للقضاء على الداء ويصبح السؤال اذن كيف ؟ وبأي وسيلة ؟ بالتثقيف الصحي طبعا ، وبتثقيف صحي حقيقي فعّال ، يرتكز على قواعد علمية مضبوطة بطبيعة الحال اسهال الرضيع الذي اخترناه للتدليل على أن المعلومات ليست زينة الفكر وانما الصحة والحياة ، هو مثال من بين أمثلة هي كثيرة لعدد بعضها

- سرطان الرحم هو أخطر سرطان عند المرأة ، ويموت به الالاف من زوجاتنا وبناتنا وأمهاتنا ، والحال أننا نستطيع انقاذ حياتهن لو توصلنا الى اقناعهن ، بأنه يجب - ابتداء من الخامسة والثلاثين - استشارة طبيب مختص في حالة فقدان الدم في غير أوقات الحيض ، الشيء الذي يمكن من تشخيص المرض في طوره الأول ، والقيام بعملية بسيطة قبل استشراء الداء ، وهو الأمر المعهود حاليا ، فأغلب حالات السرطان

التي تشخص عند المرأة العربية ، تكتشف مؤخرا ، ويستحيل عادة انقاذ المصابه (هذا يتطلب طبعا توفر الاحصائيين والمعدات)

ـ الاعاقة : أثبتنا في دراسه سابقه أن الحصبه من أهم اسباب الاعاقه الدماغيه عند الطفل في بلادنا ، وأثبتنا أن التثقيف الصحي ، أي توعية الناس بوجوب التلقيح ، هو العامل الأول للحد من مضاعفات هذه الآفه الاجتماعيه

ـ التدخين : سرطان الرئه في تصاعد رهيب في كل بلدان الدنيا ، نتيجه استشراء التدخين ، والحل الأوحد هو تعميم التثقيف الصحي للكف او التقليل من التدخين ، خصوصا وأننا لا نستطيع حاليا علاجه

نلاحظ هنا اهميه التحول المنهجي ونقف على ثلاثه مستويات

الخدمة الطبية :

عودنا النموذج التقليدي للفكر والعمل الطبي على أن ننتظر من الطبيب خدمات محدده اهمها التشخيص والعلاج بالأدويه ، وبالاشعه والجراحه الخ

لكننا نواجه هنا حاله جديده وهي ان العلاج والوقايه لا يكونان بتدخل مادي ، وانما بوضع معلومات علميه تحت تصرف اكبر عدد ممكن من الناس ، كما تتضح هنا فكره مهمه الا وهي ان هناك ميادين معينة لا ترتبط فيها نجاعه الطبيب الا بنشر المعلومات ، حقا هذا العامل غير وارد في ميدان كعلاج الزائده الدوديه ، لكننا رأينا انه يكاد يكون العامل الأول في حل مشكلة الاسهال ، وهناك العديد من الميادين التي يدخل فيها عامل نشر المعلومات أو التثقيف الصحي للحد من مضاعفات الأمراض الأكثر انتشارا

البحث الطبي :

من البديهي أنه اذا تم اعتبار نشر المعلومات خدمه طبية في حد ذاتها ، مثل الجراحة والترويض ، فاننا سنطالب بسرعه بتطبيق المنهجية العلميه على هذه الخدمة ، لنكفل لها أقصى ما يمكن من النجاعة ، فكل الخدمات الطبيه مرت تاريخيا بمراحل متعددة ، المرحله السحريه ، المتافيزيقية، المرحله التجريبيه البراغماتية ، المرحله العلميه . والتثقيف الصحي هو الآخر يمر بهذه المراحل ، مع العلم بأنه بقي ولا يزال في بلداننا العربية في المرحله التجريبية،معنى هذا أننا مطالبون اكثر من أي وقت مضى ، نظرا لما اتضح من اهميه التثقيف الصحي ، بتطبيق المنهجيه العلميه الصارمه ، اي بالتساؤل كيف ولمن وماذا ومن اي طريق ووفق اي مقاييس ، يكون التثقيف الصحي وكيف نستطيع تقييم مفعوله ؟

قيمة المعلومات

رأينا ان توفير كمية معينه من المعلومات عن الاسهال لاكبر عدد ممكن من الناس ، تمكن ان توفر حياه الملايين من الأطفال ، ومبالغ باهظه للدوله ، معنى هذا ان المعلومات ليست خدمه طبيه بحسبها بالبحث فحسب ، لكنها ثروة لا تقدر بثمن ، وهو ما اصبحنا اليوم نعني به ونسميه اليه

ولا غرابه في هذا ، فنحن ندخل عصر المعلومات ، وعلينا نحن العرب أن نعي أهميه هذه الثوره الحضاريه والعلميه التي يجب ان نكون من روادها ، بعد ان فاتنا ركب الثورة العلميه للقرن الماضي

فقد كان القرن التاسع عشر عصر الماده والطاقه ، لكن القرن المقبل سيكون عصر المعلومات ، والمواضيع المطروحه حاليا في هذه القطاعات المتقدمه من العلوم هي :

كيف نجمع
كيف نصنف
كيف نخزن
كيف نوزع
هذه المعلومات ؟

يكون اذن الدعامات الثلاث التي تبنى عليها الحضاره مستقبلا الماده ، الطاقه ، المعلومات (بشتى اصنافها)

واتباعنا في الطب الى اهميه جمع المعلومات وتبويبها ونشر المتصل منها بالتثقيف الصحي انما يدخل في اطار هذه الثورة الشاملة التي اصبحت فيها المعلومات ماده كسائر المواد الأخرى ، تكفل بصفه مباشره الثروه والصحة والمناعه للأفراد والشعوب □



بقلم الدكتور . أحمد النعمان

سماه البعض « الفنان البخيل » لأنه لا يكتب كلمة واحدة في غير محلها ، وقال البعض انه « شاعر الأصيل » لرقته وشفافية نظرته الى الحياة ، وسماه آخرون « ضحية الزمن » فقد ذهبوا الى القول : أنه عاش سابقا لعصره ، ولقبه فريق آخر بـ « الانطباعى الروسي » فماذا عن تشيخوف بعد أكثر من ١٢٥ سنة على مولده ؟

عندما ولد أنطون تشيخوف عام ١٨٦٠ ، كانت المدرسة الكلاسيكية قد أكملت كيانها ، وأرست تقاليدها التي ولدت في القرن الثامن عشر ، سواء في الفن أو الأدب على حد سواء ، وعندما بدأ الصبي الموهوب (أنتوشا جيخانتي) -الاسم الذى كان يوقع به كتاباته وقصصه الساخرة الاولى ـ رحلته الأدبية ، كانت روسيا قد أعطت للأدب الكلاسيكي العالمي الكثير من أدبائها ، كان ليون تولستوي يتربع على عرش الادب الروسي بل العالمي آنذاك ، وكان فيلسوف النفس البشرية دوستويفسكي وبوشكين وليرمونتوف وغوغول وتورغينيف وعشرات من هؤلاء العباقرة قد أعلنوا للعالم أجمع « أن روسيا الأدبية قد قالت كلمتها فهل من جديد ؟ »

الانطباعية الفرنسية :

جاء صدى الجواب هذه المرة من فرنسا ، ولكن في الفن التشكيلي ، في هذا الوقت كان فنانوها وعلى رأسهم ـ بول سيزان ـ وفيها بعد مونيه ، ومانيه ، وبيسارو ، وتولوز يتعاملون مع اللون (والتون) ـ درجة اللون ـ والضوء بشكل انطباعي ، حطموا فيه بجرأة لأول مرة أغلال قيود المدرسة الكلاسيكية الصارمة ، التي كانت حتى ذلك الوقت قلعة امبراطورية لاتطال .

أما أنطون تشيخوف الطبيب واسع الاطلاع والثقافة ، فقد بهرته هذه المحاولات الانطباعية ، فخاض تجاربه الذاتية فيها لا بالفرشاة كما فعل الفرنسيون ، بل (بالقلم) .

وكما قلنا . فبينما كانت « فرنسا الانطباعية » تخوض تجربة اللون ، كانت « روسيا الانطباعية » تخوضها بالقلم ، الانطباعية الفرنسية صبت كل اهتماماتها على تحليل اللون والضوء وتفسيره ، واستخلاص الرمز منه ، تاركة (الخط) دون مساس ، فقام في روسيا في أواخر القرن التاسع عشر الرسام « فالك » ليعطي الانطباعية بعداً خطيطياً يكمل به الانطباعية الفرنسية . أما تشيخوف الذي كان قد قرأ واستوعب التراث الكلاسيكي في الأدب ، ولا سيما الأدب الروسي ، فإنه دخل عالم الأدب عن طريقه الانطباعية بقلمه ، ولا نعرف إن كانت ثمة علاقة أو تأثير متبادل بين فالك وتشيخوف ، ولكن يمكن القول إن الانطباعية الجديدة حدثت عند الاثنين في آن واحد دون أدنى شك

حكاية مملة عام ١٨٨٩ :

إذا كان ليون تولستوي قد نهل موضوعاته من الأمة الروسية كلها ، وغار ديستويفسكي أعماق النفس البشرية ، وكرس تورغينيف جل أعماله للفلاحين ، فإن أنطون تشيخوف كرس تجاربه الانطباعية الأولى منذ عمله الأدبي الأول « حكاية مملة عام ١٨٨٩ » للانتليجنسيا » الروسية ، وأخذ عن البحث في حياتهم اليومية البسيطة وتفاصيلها التي تبدو عادية ومتكررة - كالزواج - اللعب - الأكل - النزه . يعطي انطباعه وحكمه على العالم الداخلي ، لأفراد هذه الطبقة المثقفة التي دخلها دستويفسكي منقباً وكاشفاً .

وكان هدف الأديب الأساسي . دعوة الناس للسير وراء « مزماره السحري » ليخلصهم من السلبية للتسليم غير المشروط أمام عالم (الخديعة والكذب والاحتيال والنفاق)

كان تشيخوف ينظر إلى حياة المثقفين الروس العاديين في زمنه الذي سماه بالزمن « الرخو والخامض والممل » ، متابعاً التطورات الدرامية المخزية لأولئك الذين يستسلمون ويرضون « بحقارة ورتابة الحياة » كما في قصة « رجل الغلاف » حيث يجسد الرعب من الواقع في أقصى درجاته ، و (العلاف) هو عند



أنطون تشيخوف
آخر العمالقة في الأدب الروسي قبل الثورة

بيليكوف بطل القصة وأستاذ اللغة اليونانية القديمة الملجأ الأخير لهذا المدرس الذي يحمل مظلته فوق رأسه حتى عندما لا يستدعي الطقس ذلك ، فاستسلم إلى عالم ممل ورتيب يتكرر كل يوم ، حتى هرب العلاف - غلاف كتابة - ليحتمي . . أي حكم على نفسه بالانتحار والاعدام كإنسان مبدع

لقد استنتج أنطون تشيخوف بانطباعيته الحادة ، بأن هذا العقد من الزمن (١٨٩٠ - ١٩٠٠) هو عقد « داء الخنين » ، الحنين إلى العمل لتغيير رتابة الحياة لذا فعندما قال الطبيب « استروف » في مسرحية الخال فانيا : (إن حياة الخمول لا يمكن أن تكون نظيفة) ، كرر مضمونها الكثيرون من أبطال الكاتب ، فالعمل عند تشيخوف هو تعميد النفس البشرية من خطأ الماضي من الذنب التاريخي بحق الشعب ، إنه واجب أخلاقي على عاتق كل إنسان ، وتكررت هذه الفكرة في « بستان الكرز » و « الشقيقات الثلاث » و

« حالة من الممارسة » و « حياتي » وغيرها من الأعمال

يقول تشيخوف على لسان أيونيا في « التحقيقات الثلاث » (ما أحلى أن يكون الانسان عاملا ينهض مع الفجر .. أو راعيا أو معلما .. أو سائق قطار ..)

ويقول تشيخوف نفسه « على الانسان أن يكدح ويعيش من عرق جبينه كائنا من كان ، ففي ذلك يكمن مغزى وغاية حياته وسعادته وابتهاجه

الانطباعية والواقعية :

الانطباعية ليست الواقعية ، انها الانطباع عن الواقع اذا ما بسطنا هذا المفهوم ، أي تفسير المبدع الذاتي للواقع المحيط به يحدث ذلك بالعاطفة وليس بالعقل ، بالحس والوجدان وليس بالمنطق الرياضي ، وهذه النظرة تقود الى التفكير والتحليل ورؤية جوهر الأشياء لا ظواهرها الخادعة .

يقول تشيخوف .

« الكذب يهين السامع ويحط من قدر الكاذب » ومن هنا فان انطباعية تشيخوف هي أحد أشكال الحقيقة النافذة الى جوهر الأشياء . ويبقى ما يؤحد



ليون تولستوي مع انطون تشيخوف
مصيف غاسبرا عام ١٩٠٢

على الكلاسيكية مع كل عظمتها وقوتها ، أنها قدمت الانسان بؤ بنها الكمالية المثالية ، لذا فان « دافيد » لمايكل انجلو يبقى ملاكا ، أو شيئا أشبه بالملاك ، وليس انسانا يضحك ويبكي ، يضعف ويقوى ، كما أن كاتدرائية فلورنسا تبقى في نهاية المطاف محصلة ابداعية لفن « السريكو » وليس للصلاة فحسب ، وبالمثل فان أبطال تشيخوف أناس يعيشون معنا هم نحن ! ، لذا فان أدبنا أمسك بيد « انسانه » ليأخذه الى حياة أفضل ، ليساعده على معرفة نفسه قبل (رسم لوحه مستقبله) ، وأبطاله كانوا مستلين من روسيا نفسها ، وليسوا نسج خيال الكاتب الكبير .

مع غوركي وتولستوي :

كان تشيخوف أكبر من غوركي عمرا وأصغر من تولستوي ، فكيف نظر اليه هذان العملاقان ؟

كان تولستوي يعتبره « فنانا لا يقارن بأحد » وفضله حتى على تورغينيف ودوستويفسكي وعلى نفسه ، وقال تولستوي في انطباعية هذا الأديب « ان تشيخوف أوجد أشكالا للكتابة لم أجد لها مثيلا في أي مكان .. ان لغته لمدهشة حقا »

أما مكسيم غوركي فقد رآه « فنانا متعدد الألوان لايترك حديثا صغيرا الا ويتأثر به .. يحلله ويقدمه بابداع فني رائع ونظرة جديدة » وهذا يؤكد مرة أخرى (انطباعيه) تشيخوف التي سماها الكاتب كريليكو « مافوق الواقع » أما تشيخوف ، فكان يحب ويحترم تولستوي ، بل يخشاه ، في كل شيء ، وعندما كان يستعد لمقابلة تولستوي كان يبدل ملابسه عده مرات ، ويقف وقتا طويلا أمام المرآة قائلا .. « لا لا .. ان أردت ، أم لا ، فهذا البنطلون ضيق جدا .. سيقول (الحوت) ـ يقصد تولستوي ـ وهذا عريض جدا .. كالبحر الاسود .. سيقول (الداهية) » !!

بالطبع ما كان تولستوي ليقول شيئا من ذلك ، لانه أحب تشيخوف كثيرا ، فكان يمازحه قائلا : « أنت منزوع من رحمة الله ولكنك طيب !! »

ومن المواقف الجريئة التي سجلت في تاريخ تشيخوف رفضه الرسمي عام ١٩٠٢ لقب « الأكاديمي » احتجاجا على فصل مكسيم غوركي من

صفوف الاكاديميين ، بسبب نشاطه السياسي ، وقبل ذلك سافر تشيخوف في رحلة استقصاء متعبة الى جزيرة (ساخالين) النائية عام ١٨٩٠ ، لدراسة حياة المنفيين والمحكوم عليهم بالأشغال الشاقة ، فأصدر بعد ذلك كتابا وثائقيا عن ساخالين

وهذا بالطبع لا يجعل من أديبا ثوريا وبطلا سياسيا ، فهو لا يحتاج لذلك ، ولكنه يؤكد وفاءه وصدقه مع قلمه ونفسه ، هذا الصدق الذي هو أحد المؤشرات الاساسية في أصالة الفن الذي يفتقده الكثيرون من الفنانين والمدعين

يرى الداخل الى المتحف المقام في الدار التي سكنها تشيخوف بين عامي ١٨٨٦ و ١٨٩٠ ، في شارع كودرين في موسكو ، غرفة خاصة (عيادة) كان يستقبل فيها المرضى الفقراء ، وهذا أحد جوانب انسانيته وحبه للآخرين ولكن (تشيخوف الاديب) تغلب على (تشيخوف الطبيب) فاعتزل الطب فيما بعد ، وكرس كل ما تبقى من حياته للأدب ، هذا الأدب الذي أصبح فيما بعد سلاحا لدى كل مثقف يعينه على رؤية الحياة ، بعيدا عن الرياء والمحاباة التي تسود دائما الى العبودية بكل اشكالها الظاهرة منها (والروحانية)

يالطة الأخرى :

يتحدث العالم كله الان تحت رحمة الصواريخ المجنحة ، والخوف النووي عن يالطة ، وعن القصر الذي جمع الكبار الثلاثة ستالين ، روزفلت ، وتشرتشل

لكن هناك يالطة أخرى وقصرا آخر وعظيما واحدا ، هو أنطون تشيخوف لقد عاش الأديب في الدار الريفية البيضاء أواخر سنوات حياته ، يعاني من مرض « السل » الذي استفحل به وأوقعه في دوامة من السعال المستديم

وفي بداية هذا القرن جاء الى يالطة من هلسنكي الصحفي الفلندي « هاغيلستام » ، وزار تشيخوف وتحدث مع تولستوي الذي كان يأخذ العلاج هو الآخر في مصح « غاسبرا » بالقرب من يالطة ، ودهش الصحفي الفلندي حيث وجد تشيخوف الذي عزله المرض عن العالم ملما إلماما رائعا بالأدب الاسكندنافي ، وتقاليد وتراث الشعب الفلندي بالذات

كان ذلك في يالطة أيضا عام ١٨٩٨ ، حينما وصل اليها المغني الروسي الكبير شاليابين ، وأحيا حفلة حتى الفجر في الدار البيضاء للأديب ، اجتمع فيها كبار الشعراء والفنانين والنقاد ، وكان يرافق شاليابين في العزف على البيانو « رحمانينوف » الذي لم يكن انذاك معروفا كموسيقي كبير ، وهنا قال شاليابين « يجب أن يسمعني الناس وليس في المسرح » ، وتقدم تشيخوف من رحمانينوف وصافحه قائلا « ستصبح موسيقيا ذا شأن كبير » ومضت السنون فصدقت النبوءة ، وأصبح رحمانينوف موسيقيا معروفا ليس فقط في بلاده ، بل في العالم أجمع

وقد كانت الطبيعة دائما ملاذا لكل الانطباعيين ، ومعينا لا ينتهي من الجمال ، وعينا لا تجف ، يعين الفنان على الابداع ، ولا عجب أن نجد تشيخوف يحب الطبيعة ، ويزرع بنفسه ويعتني بحديقة منزله ، ومرة قال مكسيم غوركي عن صاحب الدار الريفية البيضاء في يالطة

« كان يحب أن يبني ويبني الحدائق والبساتين ، وأن يزين الأرض » كما بقيت في ذاكرة غوركي كلمات تشيخوف « لو أن كل انسان بذل كل ما في وسعه على قطعة الأرض الخاصة به لأصبحت أرضنا رائعة جدا »

لم تكن الأسطر الأخيرة فيما ننساه عن الأديب بعيدة عن موضوعنا الأساسي (تشيخوف انطباعيا) فهو كما فعل من اجل الدخول الى حياتنا الأعمق من خلال حياتنا « اليومية » حاولنا الدخول الى حياته ، وهكذا فان المرحلة الأولى ترتهن بالفترة المبكرة من ابداع الأديب التي كتب فيها قصصا قصيرة سخرية وتهكم مثل المبارزة ، المنزل ذو العلية ، القرويون ، أيونيج ، وعنبر رقم ٦ ، وغيرها ، كما أن قصصه الفلا ، الجريمة ، عيد الميلاد ، سمير بالسخرية من التقاليع الأدبية التي كانت سائدة في الصحافة انذاك ، ولم يكتف بما هو مضحك في هذه الأساليب ، بل بحث عما هو « مضحك » في الحياة كادعاء التفاهة مع الجهل المطبق ، والتكيف مع الظروف كما في قصصه البدين والنحيف ، وموت موظف ، والحرباء ، والقناع والفرحة حيث كان

بانطباعيته الجميلة يكشف الحالات الحياتية العادية ، بشكل مضحك يكشف عن أخلاقيات سايكولوجية « العبودية » .

الضحك من خلال الدموع :

كانت الروح الكوميدية هي الغالبة في قصص الأديب في المرحلة الأولى ، لكنها لم تكن الوحيدة ، فقد جعل قصصه التي تشوبها مسحة من الحزن والشاعرية « كجسر » نحو مرحلة ابداعه الثانية ، ففي قصته (الكآبة) يحاول الحودي المسكين الذي مات ابنه الوحيد أن يجد من يقاسمه الهموم ، ولكن الركاب عبر المالين لا ينصتون الى اختلاج صوته بالبكاء ، فلا يجد من يبوح له بمكنونات قلبه الحزين الا حصانه الذي يشكو اليه الهموم .

في المرحلة الثانية من أدب تشيخوف كتب الأديب الكبير مسرحيات : « النورس ، الخال فانيا ، وبستان الكرز ، وأخيرا ، الشقيقات الثلاث » .

في هذه الأعمال تنضج انطباعية تشيخوف لتصبح في قمتها ، وأصبح الضحك لديه من خلال الدموع ، وأصبح الفرح لديه اطارا شكليا للحزن والكآبة ، وهنا نال اعجاب الكثيرين من عمالقة الأدب ، أمثال برناردشو وايرنست همنجواي ، وجون بريستلي ، وتوماس مان وآخرين .

أما هو فقد أصبح ينظر الى أعماله في الفترة الأخيرة من حياته نظرة الشكوك ، كأي مبدع كبير ، كما أنه ترقب أن يأتي اليه الموت سريعا لا محالة ، فكتب يقول : « لا أستطيع التفكير بعمل جدي لانني على يقين بأن حياتي سوف لن تستمر طويلا » وحفظ لنا بونين مخطوطة يقول فيها الأديب : « سيقرأني الناس لفترة طويلة . . سبع سنوات ، أما أنا فسوف أعيش أقل من ذلك . . . ست سنوات » كان ذلك عام ١٩٠١ ، لكنه لم يعش أكثر من نصف ما كان يتوقع ، ثلاث سنوات أخرى ، أما الآن وكلما مرت السنون تتعزز مكانته الأدبية ، ليس فقط في الأدب الروسي ، بل وفي الأدب العالمي أيضا ، وتقدم مسرحياته في طوكيو وموسكو وباريس ولندن والقاهرة وبكين وغيرها من عواصم العالم وحواضره ، حيث تقدم مسرحياته كل المسارح الجادة والمحترفة في العالم ، أما



مكسيم غوركي مع انطون تشيخوف مصيف بالطة عام ١٩٠٠

كتبه فطبعت بملايين النسخ ومئات الطبعات ، بـ ٩٢ لغة من لغات الاتحاد السوفيتي والشعوب الأخرى .

في أغسطس ١٩٠١ كتب أنطون تشيخوف رسالة الى شقيقته ماشا قال فيها : « عزيزتي ماشا ، معيني الدائمة ، أكتب باسمك الدار الريفية البيضاء في يالطة ، وكذلك كل العائدات التي تأتيني من الأعمال المسرحية ، ومن اعادة طبع الكتب على مدى الحياة

وذيل رسالته قبل التوقيع . عيشوا بسلام . . أنطون تشيخوف » .

غير أن هذه الرسالة لم تقرأ الا بعد أكثر من ثلاثة أعوام ، وحملتها زوجته الممثلة الحسناء أولغا تشيخوف التي تزوجها قبل أن يموت بسنتين فقط ، غير أنهما لم يعيشا كثيرا معا لانها كانت مشغولة في المسرح

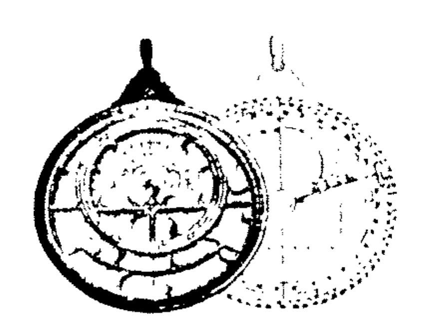
يقول تشيخوف في « الشقيقات الثلاث » على لسان توزنباخ : « جاء الوقت ! يتقدم نحونا جميعا ، شيء ضخم هائل ، تتهيأ عاصفة صحية قوية للقدوم ، بل أصبحت قريبة ، ولن يمض وقت قليل حتى يكتسح مجتمعنا الكسل واللامبالاة ، والفكرة السيئة عن العمل والكآبة العفنة . . . » .

يقول الحارس البستاني الخاص بالبيت الريفي في يالطة : « كان السعال لا يتركه لحظة لينام في أيامه الأخيرة حتى توقف قلبه عن الخفقان ، كان ذلك عام ١٩٠٤ » . لقد أخطأ الأديب الكبير حين اعتقد أننا سنقرؤه لسبع سنوات بعد موته ، فها نحن نقرؤه في الذكرى ١٢٥ لميلاده ، وستقرؤه الأجيال القادمة لوقت طويل . □



شعر : يعقوب السبيعي

لَسْتِ لي أَنْتِ ، ولا حُبُّكِ لي ... أنْتِ لِلْوَهْمِ الَّذى لا يَنْجَلي
أنتِ للبَهْرَجِ واللَّهْوِ الَّذي ... يُتْقِنُ الحِيلَةَ حتّى ... تَنْطَلي
أنْتِ وردٌ ما بِهِ ... رائحةٌ ... لَوْنُهُ الأَحْمَرُ يُدْمِي مُقْلَي
أنْتِ كَنْزٌ ... ليس يُثْري أحداً ... وَدَواءٌ ... لَيْسَ يَشْفِي عِلَلي
يا ٱرْتعاشاتِ شُمُوعٍ .. لَمْ تُنِرْ ... غَيْرَ واهي خَطْئي أو زَلَلي
كُلَّما انْسَت مِنِّي لَهْفَةً ... قُلْتِ : يالَهْفَةُ كُفّي وَاخْجَلي
يا هُروبَ الظِّلِّ في هاجِرَةٍ ... كُلُّ شَيءٍ من لَظاها يَغْتَلي
أنْتِ (في الحُبِّ) مشاريعُ هَوى ... دون أن تُنْجِزَ ... أَلْقى أجَلي
كَمْ قَدِ احْتَلْتُ بِخَيْرٍ كَيْ أرى ... مِنْكِ مَا أَهوى ... وأَعْيَتْ حِيَلي
هكذا حالي ... ضَياعٌ .. آهِ ما ... عُدْتُ أدري آخِري مِنْ أَوَّلي
آه ما أَبْعَدَنا في قُرْبِنا ... أَيْنَ هذا الصَّبُّ مِنْ ذاكَ الخَلي
يا ارْتفاعاتِ سَحابٍ خُلَّبٍ ... عَجِّلي بالمَكْرِ .. فينا .. عَجِّلي
واجْمَعي ظِلَّكِ عَنْ عَيْني لِكَيْ ... أُبْصِرَ الشَّمسَ بِها .. ثُمّ ارْحَلي
واتركي لي .. عَثْرَةَ الماضي الَّتي ... لَوَّنَ الحُزْنُ بها مُسْتَقْبَلي
لستِ لي أَنْتِ ، وَلا كانَ الَّذي ... بَيْنَنا حُبٌّ .. ، ولا حُبُّكِ لي
قَدْ تَعالى بي هَوىً يُخْجِلُني ... أَنْتَلي الخُدْعَةَ فيها .. أعْتَلي
غَيْرَ مأْسوفٍ علَيْنا .. نَنْتَهي ... وسَيَنْسى المُبْتَلى .. والمُبْتَلي



جاليليو ونيوتن كانا على خطأ !

قوى الطبيعة في نظر جاليليو ونيوتن وسائر العلماء كانت حتى الآن أربعة .. أولاها وأضعفها قوة الجاذبية ، وهي التي تشد الكتل أو الأجسام بعضها الى بعض ، والقوة الكهرومغناطيسية وهي التي لا تخلو منها عملية من العمليات الكيماوية .. والقوتان الكامنتّان في الذّرّة : القوة الضعيفة وهي التي يصُدر عنها بعض النشاط الاشعاعي .. والقوة الشديدة وهي التي تشد مكونات الذّرة بل نواتها بالتحديد بعضها الى بعض ..

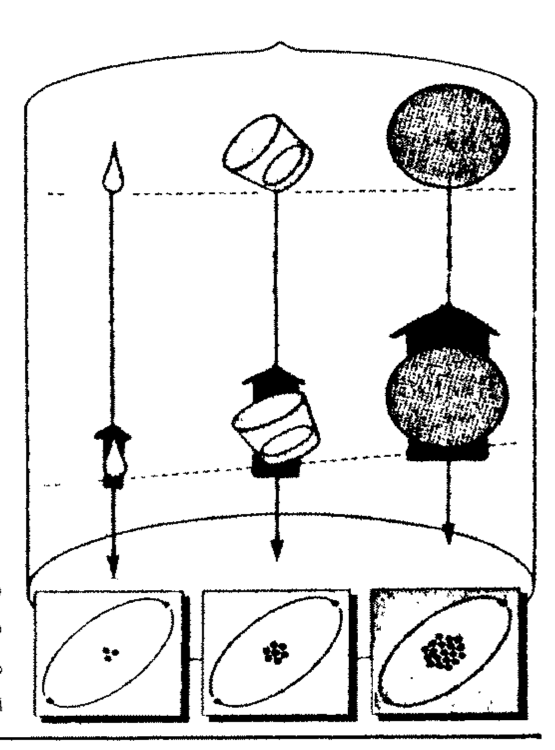
ولكن فريق علماء جامعة بوردو الأمريكية برئاسة افرايم فشباخ .. وهو الفريق الذي أجرى البحث السالف الذكر ، وجد تفاوتا بين الجاذبية على سطح الأرض .. وفي أعماق المناجم في اوستراليا .. ولاحظوا أيضا ما يلفت النظر في مقومات نواة الذّرة .. ولم يجدوا تفسيرا لتلك الظواهر خيرا من النظرية التي قال بها العالم الهنغاري (رولاند فون ايونفوس) سنة ١٩٠٩ التي تناولت المقارنة أو المفارقة بين أجسام مختلفة التركيب من حيث انجذابها الى الأرض ...

ووجد الفريق في هذه المفارقة ما غفل عنه العالم الهنغاري .. وجدوا أن في الطبيعة قوة خامسة أسموها hypercharge . ومع ان هذه القوة أضعف من قوة الجاذبية . ولا يمتد أثرها أكثر من ٦٠٠ قدم ، الا أنها تستطيع اعتراضها قليلا أو العبث بها .. فهي تعمل على التنفير بين البروتونات والنيترونات التي توجد في جسم ما ، وبين تلك التي توجد في جسم آخر .. بحيث يزداد هذا التنفير حيث تكثر البروتونات والنيترونات .. فالحديد مثلا يحتوي على كمية أكبر من البروتونات والنيترونات بالمقارنة مع الماء .. لذلك يلقى الحديد من تنفير الأرض اكثر مما يلقاه الماء .. ولذلك أيضا يصل الماء الى سطح الأرض بأسرع مما يصل الحديد (كما يوضح الرسم المرافق) .

وينوي العلماء المعنيون اجراء نفس التجارب التي أجراها جاليليو ، ولكن بواسطة الأجهزة الحديثة المتطورة .. قبل الجزم نهائيا بصحة نظرياتهم الجديدة .

ما أكثر الاختراعات في هذه الأيام . لا يكاد يخلو منها ميدان من ميادين العلم والتقنية ، ولا يكاد يمر يوم دون أن تردنا أخبار وفرة كبيرة ومتنوعة منها .. وبالمقابل : ما أقل الاكتشافات .. الاكتشافات العلمية النظرية ، وخاصة تلك التي تنفي أو تطعن في صحة نظريات توصل اليها فحول العلماء أمثال جاليليو ونيوتن .. واتخذها كافة العلماء على مدى القرون اساسا لأبحاثهم وتجاربهم .

من هنا كانت الأهمية البالغة التي اتصف بها البحث الجديد الذي نشرته



يبين الرسم ثلاثة أجسام مختلفة قطرة ماء وسطل مجوف وكرة من حديد ويبينها وهي تسقط إلى الأرض داخل غرفة مفرغة من الهواء

١ - جاذبية الأرض تشد الأجسام الثلاثة إليها شدا متساويا

٢ - القوة الخامسة المضادة لجاذبية الأرض تعيت بشد هذه الجاذبية بحيث تسقط الأجسام المختلفة بسرعات متفاوتة

٣ - قطرة الماء تسبق الجسمين الآخرين في الوصول الى سطح الأرض يتبعها السطل المجوف وتأتي الكرة الحديدية في المرتبة الثالثة السبب عدد البروتونات والنيوترونات في ذرة كل من الأجسام الثلاثة فهو أقل من ذرة قطرة الماء ويزداد قليلا في ذرة السطل المجوف ويتضاعف كثيرا في ذرة الكرة الحديدية

مجلة بحوث ومراجعات فيزيائية اسمها (physical review letters) في مطلع هذه السنة (١٩٨٦) فهو يشير الى احتمال وجود قوة أخرى في الطبيعة لم تكن معروفة حتى الآن .. ويشير بالتالي الى احتمال الخطأ الذي يمكن أن يكون قد وقع فيه جاليليو ونيوتن من بعده .. وكافة علماء الفلك والفضاء الذين اتخذوا من نظريتهما أساسا لأبحاثهم وحساباتهم الخاصة ، بإطلاق سفن الفضاء والأقمار الصناعية الخ ...

والنظرية المقصودة هنا هي تلك التي صاغها جاليليو ، التي تقول لولا مقاومة الهواء لكانت الأجسام جميعا .. كبيرها وصغيرها .. - بصرف النظر عن تركيبها - .. لكانت هذه الاجسام تسقط الى الأرض بنفس السرعة والتسارع ، وتصل الى سطحها في نفس اللحظة .. وتذكر كتب التاريخ كيف قام جاليليو بتجاربه على شتى المواد الخفيفة منها والثقيلة ، من فوق برج بيزا المائل .. وقد طعن الكثيرون في صحة تلك الرواية ، وشككوا في أن يكون جاليليو قد قام بتلك التجارب بالفعل ، وسواء صدقت الرواية أو لم تصدق ، فقد ظهر الآن من يطعن في صحة النظرية التي توصلت اليها تلك التجارب .. نظرية وصول كافة الاجسام الساقطة الى سطح الأرض في وقت واحد .

تكرير الدم

ثمة أسلوب جديد لتكرير الدم ، بل استخلاص العناصر المسؤولة عن النوبات القلبية من مجراه ، وهذا الأسلوب الحديث متعدد المراحل ، وهو موضع تجارب عديدة في مراكز طبية في نيويورك وموسكو وكولونيا ، وأوزاكا في اليابان .

وقد دلت التجارب الأولية على نجاح هذا الأسلوب الذي تبلغ تكاليف المعالجة به (في دوره التجريبي الحالي) نحوا من ٢٠,٠٠٠ دولار سنويا .

مكتشفون ومخترعون

ماركوني مخترع التلغراف اللاسلكي ١٨٧٤ - ١٩٣٧ م

ينفرد القرن العشرون بسمات مميزة، ترك بعضها مخترعو وسائل النقل: السيارة، والطائرة، والقطار، والسفينة... الخ. وترك بعضها الآخر مخترعو وسائل الاتصال: التلغراف، والراديو، والتلفون، والتلفاز... الخ. من هذا المنطلق كان لامفر من اعتبار ماركوني ركنا مهما من الأركان القليلة التي تقوم عليها حضارة هذا القرن.

وولد جوجليلمو ماركوني في بلدة بولونيا في ايطاليا، في ١٨٧٤/٤/٢٥، لأب ايطالي وأم إرلنديه ودخل المدرسة في بلدته، ثم في فلورنسا القريبة، الى أن التحق بالمدرسة التكنية في ليجهورن في ايطاليا أيضا، حيث درس الفيزياء، وحيث اتيحت له الفرصه للالمام بالابحاث التي قام بها قبله العالمان جيمس ماكسويل (Maxzell) وهيبريتش هرتس (Her z)، وكانت الموجات الكهرومغناطيسية - أو موجات الراديو - هي محور تلك الأبحاث والمجال الذي استأثر بكل اهتمام ماركوني أو بأكثره، ذلك أنه شغف بالأبحاث والتجارب التي سبق أن قام بها السير أوليفر لودج في مجال البرق والكهرباء.

وتشير المراجع الى أن ماركوني لقي من أمه تشجيعا لم يلقه من أبيه. فقد كانت صاحبة فضل في حثه على مواصلة أبحاثه وتجاربه. وأيدته حيث تعثرت مساعيه، أو تنكرت لمحاولاته السلطات. وكان لماركوني في سيرة سيامين فرانكلين، التي اطلع عليها مبكرا، خير باعث على القيام بما قام به من تجارب علميه في المجالات التي ذكرنا. وقد قام بأولى تلك التجارب وهو في السادسة عشرة من عمره أجراها في احدى الغرف الملحقة بالسطح من بيت أبيه. الغرفة التي استعملها أبوه لحفظ أطباق دودة الحرير. لاعجب اذن أن تنكر أبوه لتجاربه وعمل على تثبيط عزيمته. أكثر من ذي قبل. ولكن موقف الأب هذا لم ينل من همة ابنه العلمية ابنه المفطور على حب العلم والموهوب للاشتغال فيه. فقد واصل اجراء تجاربه في عام ١٨٩٥، حتى اذا استكملها تقدم باختراعه الى وزارة البريد والتلغراف الايطالية سنة ١٨٩٦. ولكن السلطات الايطالية لم تجد في اختراعه مايستحق الاهتمام والرعاية. فالتلغراف الكهربائي السلكي كان قائما وناجحا في نظر المسؤولين الطليان. ولم يكن ثمة مايبرر التفكير في استبداله بالتلغراف اللاسلكي الذي تقدم ماركوني باختراعه على نحو بدائي. فبينما حمل التلغراف السلكي آنذاك الاف الرسائل عبر المحيطات وبين مختلف الدول وشتى القارات، لم يستطع تلغراف ماركوني اللاسلكي أن يجتاز برسائله أو اشاراته أكثر من ١,٥ ميل.

وما أسرع ماهجر العالم الايطالي بلده وتوجه الى لندن، هو وأمه. ولم يكد يمضي على وصوله العاصمة البريطانية بضعة شهور، حتى سجل فيها الاختراع الذي تنكرت له بلده. ثم أقام في تلك السنة نفسها (١٨٩٦) عرضا لاختراعه أمام سلطات البريد والتلغراف البريطانيه. ومالبث أن حسن اختراعه، فوسع مداه حتى بلغ ٩ أميال، ثم ١٢ ميلا (سنة ١٨٩٧) و ٣١ ميلا سنة ١٨٩٩.

وتجدر الاشارة الى كبير مهندسي دائرة البريد في لندن السير وليام بريس Preece فقد بلغ من تقديره لماركوني ولاختراعه أنه شمله برعاية خاصة، كان لها أثرها في نجاح ماركوني السريع في السنوات القليله التالية.

وجهز ماركوني سنة ١٨٩٩ سفينتين أمريكيتين بتلغرافه اللاسلكي. وذلك من أجل نقل أخبار سباق القوارب. على أن اهتمام ماركوني انصب



على الخاب التلغراق من أداء جهازه لا الحاب الاداعى وأثر التقدم في بث الرسائل التلغرافية للأعراض التجارية والحكومية والانسانية وغيرها على العمل من أجل تطوير أداء جهازه لبث البرامج الاداعية

وجاءت سنة ١٩٠١ لتشهد القفزة الكبيرة الحاسمة التى قفزها اختراع ماركونى ، فقد نجح في ارسال اشاراته اللاسلكية عبر المحيط الأطلسى من أوروبا الى أمريكا ، و العكس وبذلك أصبح في العالم أسلوبان للاتصال التلغرافى الأسلوب السلكي ...ى يعود ظهوره وانتشاره الى منتصف القرن التاسع عشر ، وأسلوب ماركونى اللاسلكى الذى كان ظهوره بحكم المؤشر لحلول القرن العشرين على ان النجاح العلمى الذى حققه ماركونى كان بحاجة الى حافز يحوله الى نجاح تجارى فقد بقى التلغراف اللاسلكى محصورا بجدران المختبرات الجامعية حتى كانت الكارثة الكبرى ، غرق سفينة التيتانيك سنة ١٩١٢ فقد غرقت السفينة التى لاتغرق ، وغرق معها نحو ١٥٠٠ نسمة ، كان بينهم كثيرون من الوجهاء والأغنياء ولو كان جهاز ماركونى اللاسلكى موضع الاهتمام والاستعمال الجدى ، لكان في الامكان انقاذ ضحايا التيتانيك جميعا لذلك كان قرار تعميم استعمال التلغراف اللاسلكى على السفن في طليعة القرارات التى اتخذها مؤتمر لندن انذاك وأعقب ذلك انتشار التلغراف اللاسلكى في مشارق الأرض ومغاربها

ومن طريف مانذكر أن جائزة نوبل التى منحت الى ماركونى سنة ١٩٠٩ ، انما منحت له ولرجل اخر اسمه كارل فرديناند براون فقد اعتبر هذا الرجل شريكا لماركونى في اختراعه ، بالرغم من أن الناس جميعا اعتبروا القسمة مجحفة بحق ماركونى ، حتى براون نفسه لم يتردد في الاعتذار لماركونى يوم توزيع جوائز نوبل والاعتراف له عن أسفه لحصوله على نصف مكاسبه دون حق أو مبرر

ولاندرى كم بلغت المكافأة المادية التى صحبت جائزة نوبل آنذاك اذ لم يكن الأمر يعنى ماركونى من قريب او من بعيد ، وقد أصبح مليونيرا ذلك أن تركته بعد موته (سنة ١٩٣٧) بلغت ٢٥ مليون دولار وهبها كلها تقريبا لابنته من زوجته الثانية أما زوجته هذه وأبناؤه الثلاثة من زوجته الأولى ، وكذلك هذه الزوجة التى عاشت مع ماركونى ٢٢ سنة فلم يحصلوا على أكثر من الحد الأدنى الذى نصت عليه القوانين الايطالية

بقى أن نذكر أن ماركونى فقد احدى عينيه في حادث سيارة سنة ١٩١٠ ، وحضر مؤتمر السلام العالمى في فرسايل ، ووقع معاهدة فرسايل ووثائقها ، بصفته مندوبا عن ايطاليا سنة ١٩١٩ □



نهضة زراعية مباركة في المملكة العربية السعودية

يأخذ علينا الأجانب أننا كثيرو الأقوال قليلو الأعمال .. ويزعمون أننا نجيد تحويل الحدائق الغناء الى صحراء .. ويضربون مثلا بالتنمية الاقتصادية .. فلطالما تغنينا بهذه التنمية .. ولكننا لم نصنع شيئا يذكر حيالها ، وبقينا على تخلفنا الاقتصادي الذي عشنا في ظله أيام الاستعمار الأجنبي والانتداب .. ويسخر الأجانب منا - فوق ذلك - بأننا أثرينا من البترول كثيرا ، ولكن ثروتنا البترولية لم تساعدنا على تحقيق التنمية والتصنيع .. وكان في استطاعتها أن تحقق ذلك ، وتحقق أيضا كل ما نصبو اليه من نهضة علمية وصحية .. بالاضافة الى النهضة العمرانية .. ويستشهدون على ذلك بدول شرق وجنوب شرق آسيا .. وقد حققت التنمية الاقتصادية في غضون العشرين سنة الماضية ، وبدأت الاقلاع نحو التقدم بكافة أبعاده .. هذا بالرغم من أنها لم تعثر على بترول ، ولم تتراكم لديها أية ثروة بترولية ..

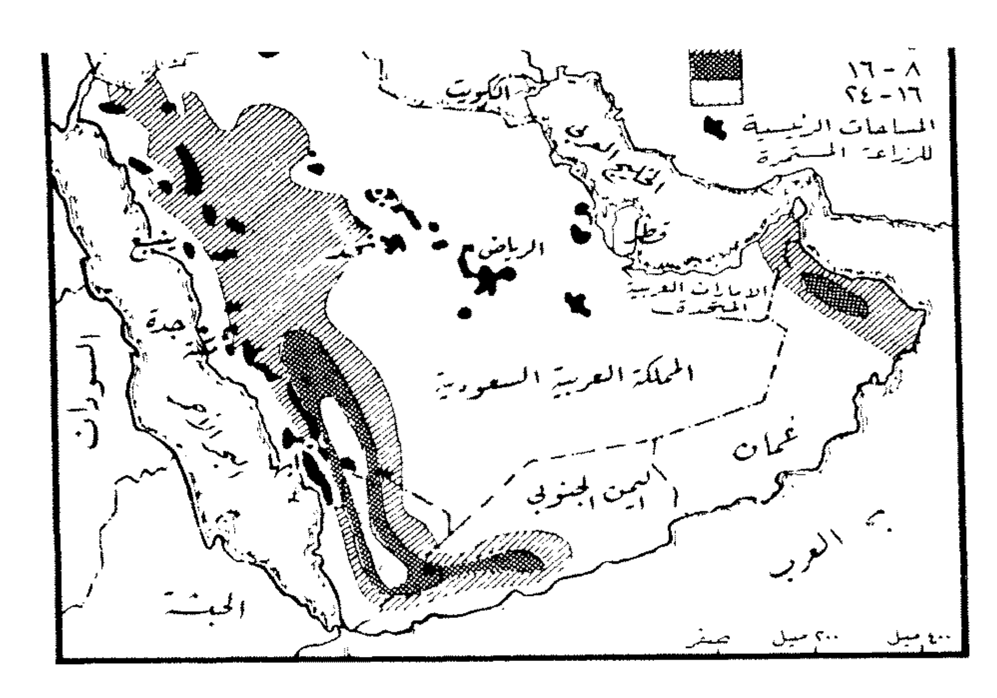
على أن هذا النقد ليس نزيها .. ولا يتصف بالدقة والموضوعية ، ولا يعتمد على أية دراسة لواقع الدول العربية منفردة أو مجتمعة ، ولو كان كذلك لما غفل عن ذكر الدول العربية التي حققت قدرا من التنمية في بعض الميادين .. ولما غفل عن ذكر المملكة العربية السعودية بالذات التي قفزت قفزات هامة في ميدان التنمية الزراعية ، سواء في مجال الزراعة الواسعة ، أو في مجال تربية الدواجن .. وحسبنا الرجوع الى مجلة الايكونومست ، والى عددها الصادر في السادس من شهر ابريل سنة ١٩٨٥ ، لنفند مزاعم الناقدين المتحاملين بما ذكرته تلك المجلة الأجنبية .. مرددين الآية الكريمة (وشهد شاهد من أهلها ..)

تقول المجلة .. لقد حولوا الصحراء الى حقول خضراء في المملكة السعودية ، وأصبح القمح يزرع على نطاق واسع في اقليم قاحل جاف ، يقع في نجد الى الجنوب من الرياض .. حول خرج بني قاسم وحايل .. فهذا الاقليم لا يحظى بأكثر من أربع بوصات من المطر سنويا .. فهو بحق في طليعة اقاليم العالم جفافا .. وأدى هذا النجاح الذي أحرزته السلطات السعودية الى اثراء مناطق نائية .. كانت فقيرة وقاحلة ، وأدى الى ما هو أخطر من ذلك .. الى كبح التيار الذي جرف الناس من الريف الى المدن .

وتضيف مجلة الأيكونومست : لقد بلغت الزراعة في المملكة السعودية درجة عالية من الانتاجية .. تفوق الدرجة التي بلغتها أمريكا الشمالية وتضاهي الدرجة التي حققتها السوق الأوروبية المشتركة ..

وهكذا أصبحت المملكة دولة مصدرة للقمح ، وقد بلغت صادراتها منه سنة ١٩٨٣ / ٨٤ نحو ٣ , ١ مليون طن .. وتذكرنا المجلة بأن السعودية كانت مستوردة للقمح في الأمس القريب في سنة ١٩٧٩ بالذات وقد بلغ ما استوردته فيها من القمح ومن الولايات المتحدة فحسب ، نحو ٥ , ١ مليون طن .

وشملت النهضة السعودية تربية الدواجن ، بالاضافة الى زراعة القمح .. وقد بلغ تعداد الدجاج



الذي ربوه.فيها ما يريد على ٢٥٠ مليون دجاجة في سنة ١٩٨٤ . . أي أربعة أضعاف ما ربوه سنة ١٩٨١ . . وبلغ مجموع البيض الناتج ٢٠٠٠ مليون بيضة . . فهل من عجب بعد هذا أن أصبحت المملكة السعودية تصدر الدجاج والبيض الى الأسواق القريبة . . وأصبح أهلها يفوقون سائر الشعوب من حيث متوسط استهلاك الفرد للدجاج . .

وتحلل مجلة الأيكونومست شتى العوامل التي مكنت المملكة السعودية من تحقيق هذه النهضة . . فتذكر التخطيط . . فقد وضعت الخطط الخمسية . . وبدأت ثالثتها مع بداية سنة ١٩٨٠ . . ولعل من البديهى أن التخطيط الدقيق المسؤول هو الشرط الأساسي لأي عمل تقوم به الدول ، ناهيك ببرنامج متكامل للاصلاح الزراعي . .

وتذكر أيضا المساعدات التي قدمتها الدولة للمزارعين ، وهي عينية أكثر منها نقدية . . شملت فيما شملت شراء محصول القمح من المزارع بسعر مرتفع نسبيا . . بلغ ١٠٠٠ دولار للطن الواحد قبل سنة ١٩٨٤ ، ثم هبط الى ٧٥٠ دولار بعدها . . وقد حقق هذا التخفيض وفرا بلغ حوالي ٥٠٠ مليون دولار في ميزانية سنة ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦ ، البالغة ٥٧٠٠٠ مليون دولار ، وتشيد مجلة الأيكونومست بشبكات الري الزراعية التي أخذت بها السعودية وطبقتها في المناطق التي لا أمطار تذكر فيها . . فذراع السقي في هذه الشبكات يبلغ طوله ٤٠٠ ـ ٥٠٠ متر ، والشبكة الواحدة منها تفي بحاجة ١٣٠ ـ ٢٠٠ فدان ، انها شبكات الرى الشهيرة باسم Certre – pivot Irrigation

ضفدع استراليا تختفى :



■ اكتشف العلماء قبل بضع سنين ضفدعة عجيبة ، تحمل بيوضها فى معدتها حتى اذا حان وقت فقس البيوض . . لفظت الضفدع الأم صغارها من فمها . . ولكن هذه الضفدع مالبثت ان اختفت .

وقل مثل ذلك فى ضفدعة أخرى شبيهة اكتشفها العلماء سنة ١٩٧٤ ثم اختفت سنة ١٩٧٩ . .



المورو
ثورة فى أعماق الأدغال

* طابور من مقاتلي جبهة تحرير مورو اثناء التدريب وهم يحملون السلاح وإطلالة صغيرة الى المستقبل المجهول »



عندما انطلقنا الى منديناو . . اكبر الجزر في الجنوب الفلبيني . . لم نكن ندري أننا سنخوض مغامرة غير محسوبة العواقب . . ولم نتصور أبدا مدى المعاناة التي يعيشها المسلمون على أرض الجزيرة المتخمة بالثراء الطبيعي الذي منحه لها الله . . ليكون نهبا لأصحاب الملايين وعملاء الاحتكارات وسماسرة الحكم ، الذين عملوا على استغلاله واستلابه وحرموا منه أصحاب الارض لتتخم به أرصدتهم في مصارف الغرباء طوال عهد ماركوس وحتى سقوطه وانهيار حكم الطغيان .

وكان لابد للرحلة أن تكون ذات شقين : أولهما في العلن مع مرافقينا الرسميين لنشهد المعالم التي خططوا لها . . وثانيهما في الخفاء لنعيش مع المجاهدين الذين يقضون النهار والليل في اعماق الاحراش والادغال . . حاملين السلاح . . !

كانت بداية لقائنا مع مسلمي الجنوب في « مهرجان اسبوع منداناو » الذي يقام في فندق « مانيلا جاردن » .

كان المهرجان ميدانا لعرض نماذج من الفنون الشعبية والصناعات اليدوية والمظاهر الثقافية ، وألوان من الرقص والغناء والموسيقا ، وعروض للأزياء الوطنية لقبائل المسلمين في جنوب الفلبين .

كان واضحا ان الانتاج اليدوي الشعبي يتميز ببراعة ودقة ومهارة في الصنع ، بالاضافة الى التمسك بمظاهر الفنون التراثية الاسلامية . . وكان من اروع اللوحات المعلقة على جوانب القاعة الكبرى لوحة للبراق ولوحة طرزت عليها بحروف من اسلاك الذهب آيات من القرآن الكريم مطرزة بشكل يؤكد براعة الفنانات والفنانين المسلمين . . وهو نفس التميز الذي بدا ظاهرا في المنحوتات الخشبية والملابس الشعبية التقليدية والرسوم الزاهية الالوان للمظاهر الطبيعية والاساطير الشعبية التي يتناقلها الأبناء عن الاباء والتي تبرز التراث الثقافي القبلي في المجتمعات الاسلامية .

لقد كان المهرجان صورة زاهية ، ولكنها صورة بعيدة كل البعد عن حقيقة ما شاهدناه على ارض الواقع ، من مظاهر الحياة تحت مستوى الفقر الذي يعانيه الصيادون والمسلمون الفقراء في القرى المائية في زامبونجا والمناطق المختلفة في مندناو .

ذهبنا الى زامبونجا لتكون منطلقا لنا للخوض في غمار حياة المسلمين في جزر مندناو وسولو وقرى ريوهوندو والكامبو .

أرض الزهور

كانت منديناو أغنى جزر الارخبيل الفلبيني ـ وثاني اكبر الجزر بعد لوزون ـ تتصل في القديم بجزيرة بورنيو وسولاوسي من جزر السيليبز بجسور ارضية ، الآن فان بقايا هذه الجسور تبدو وكأنها جزر قزمية متناثرة . . ومن بين الجماعات التي كانت تعيش في منديناو ، مازال هناك حوالى ثلاث عشرة قبيلة اكثر عددا مما في أي جزيرة اخرى . هذه القبائل اللادينية ماتزال مرتبطة بحياتها القبلية وعاداتها القديمة . اما على السواحل فتوجد جماعات تدين بالاسلام اغلبها من الصيادين الذين مازالوا ثابتين على عقيدتهم بحزم ، وهم يتركزون في الغالب في شبه جزيرة مندناو وفي جزر سولو بين منديناو وبورنيو .

اما الجانب الغربي الضيق من جزيرة منديناو ، فيشبه في شكله خرطوم الفيل . وعلى طرف الخرطوم تقع مدينة زامبونجا اكبر المدن واكثر الموانيء اهمية وازدحاما وامتلاء بالسفن والقوارب المزدانة بالاعلام الملونة التي تسمى « فينتا » .

وكانت زامبونجا تحمل ايضا اسم « جامبانجا »

وهي تعني في اللغة المالوية « ارض الزهور » ، حيث تزخر المنطقة بآلاف الانواع من الازهار الاستوائية بالاضافة الى الاصداف الرائعة الالوان والاشكال

وقبل وصول الاسبان كانت رامبوانحا ميناء مهما يربط جزر الفلبين بالقارة الآسيوية وفي عام ١٦٣٥ ـ بعد ٦٠ عاما من انشاء مانيلا ـ جاءت بعثات الجيزويت التبشيرية الى رامبوانحا وشيدت قلعة سموها قلعة « سان خوزيه » ليحموا انفسهم من هجمات المسلمين وتغير الاسم خلال الغزو الامريكي الى « قلعة بيلار » وتعرضت القلعة للهجوم الهولندي والانجليزي الى جانب الهجمات التي كان يقوم بها المسلمون القادمون من جزر سولو في أواسط القرن الثامن عشر

شعب المعاناة

ولكن ماذا عن مشاكل الحياة التي يعيشها شعب المورو في معاناة كما شهدنا في رامبوانحا ، وكل جزر أرخبيل سولو ومندناو حيث الاقلية الاسلامية التي تشكل أغلبية السكان في القسم الجنوبي من الفلبين ؟

الذي لاشك فيه أن جزيرة مندناو تتميز بميزات خاصة لها أهميتها فقد أتاح لها شكلها التضاريسي غير المنتظم اتساعا وطولا في السواحل المطلة على البحر ، كما منحتها الطبيعة مجموعة وافرة من الأنهار والبحيرات والشلالات والغابات والأحراش تشكل حوالي ٦٧٪ من مساحتها

وتتمتع الجزيرة بثروة معدنية زاخرة ، ففيها ٧٨٪ من احتياطي الدولة من الحديد ، كما يوجد ١٠٠٪ من معدن النيكل في منطقة سيرجاو ، بالاضافة الى معادن النحاس والفضة والذهب وحجر الكلس ، الى جانب ٣٠٪ من احتياطي الفحم ، مع توقعات مبشرة بوجود النفط بكميات جيدة في باطن الارض

اما الثروة الزراعية فان مندناو تنتج ٧٢٪ من مجموع الانتاج القومي من الاناناس ، و ٥٩٪ من القمح ، و ٥٥٪ من البن ، و ٥٠٪ من جوز الهند ، و٤٢٪ من الكاكاو و ٣٨٪ من القصب كما أن المياه التي تسبح فيها الجزيرة غنية بالأصداف والمحارات والشعاب المرجانية المختلفة الاشكال والالوان ، مع ثروة هائلة من الاسماك الكبيرة الزاهية

أما أحواضها فتزخر بمختلف أنواع الطيور النادرة وخاصة النسور من آكلات القرود

كل ذلك ذكرته لنا مرافقتنا ماريا لابيلانو مديرة قسم السياحة في رامبوانحا ، خلال حديثها معنا ، ونحن وقوف عند شرفة فندق لانتاكا المطلة على البحر

وأضافت في مباهاة

ـ ليس كل ذلك هو ماتتميز به مندناو ، فهنا في رامبوانحا ثروة رائعة من ثروات البحر لاتشهد مثلها عين أنظروا الى هذه القوارب ذات الاجنحة التي ترسو على طول الساحل ان هذه القوارب تسمى « فينتاس » ورجالها من قبائل الباجاو المسلمين المعروفين بغجر البحر ومن الصيادين من قبائل السامال وأغلبهم كما ترون من الصبية ولكنهم يملكون أعظم ثروة بحرية

ونطل الى القوارب وما تحمله كل قارب له جناحان بطول القارب وهو عبارة عن معرض متنقل لأروع أصناف الشعب المرجانية الصخمة ذات اللون الابيض والاحمر والاسود بالاضافة الى أصداف مخروطية ومحارات وزحويات يندر وجود مثلها في أي مكان اخر وبهذه الاحجام الضخمة وبعض القوارب تبدو كأنها واجهات محلات الزينة والمجوهرات ، مليئة بعقود مرجانية مختلفة الالوان ، الى جانب كل أنواع الاكسسوار النسائي من عقود وأساور ومعلقات من الاصداف والمحارات واصداف السلاحف ، هذه القوارب تقف جنبا الى جنب مع قوارب أخرى تعرض لوحات فنية مصنوعة من الحصير المجدول بالوان أرجوانية وبنفسجية زاهية تبرع في صناعتها نساء الباجاو ، وتعتبر من أجمل صادرات الفلبين

وبين القوارب المستلقية بهدوء تتدافع زوارق صغيرة لايزيد طول كل منها عن متر واحد ، يستقله ثلاثة أو اربعة أطفال تتراوح أعمارهم بين الستين والخمس سنوات ، وفي لحظات تجدهم يقفزون ويسبحون في الماء بكل مهارة وحذق

وتقول مرافقتنا ان الباجاو لايخشون على اطفالهم من البحر ، فهم يلقون بهم في الماء وهم لايتجاوزون ثلاثة شهور ويتركونهم ليسبحوا ومن لايحسن السباحة فانه يترك للغرق لانه لايستحق البقاء





* لوحة حية التقطتها عدسة سليمان حيدر تصور حياة الانسان عندما تتحول الى مأساة ويجد نفسه وهو يعيش تحت مستوى الفقر (الصورة الى اقصى اليمين) ولكن المرأة في جنوب سدناو تحاول بالعمل اليدوي الصعود من الهاوية (الصورة العليا) وكل ذلك لايمنع الصغار من الابتسام في انتظار المستقبل الجيد

ولاقيمة له . . مادام لايكافح ويناضل من اجل الحياة . . !

ان حياة البحر هي كل شيء عند الباجاو والسامال من الصيادين ورجال البحر المسلمين الذين يقيمون في القرى المائية على طول سواحل البحار والانهار .

قرية ريوهوندو

وقفنا فوق جسر زامبونجا نطل على قرية الصيادين في « ريو هوندو » . . مئات من الاكواخ الخشبية القائمة على أعمدة ترتفع بضعة أمتار فوق سطح الماء . . ولا وسيلة للانتقال بينها الا بالقوارب والزوارق الصغيرة التي يجيد التجديف عليها النساء والصغار وهم يلقون شباك الصيد في الماء ببراعة وثقة . .

انها واحدة من الصور المتماثلة التي تشغل اكبر مساحة من جزر جنوب الفلبين . . حيث تعيش الغالبية العظمى من المسلمين من صيادين ومزارعين وعمال .

هنا تبدو المعاناة واضحة المعالم على وجوه السكان الذين يشقون من أجل لقمة عيش تأتي لهم بها مياه البحر أو زرع الأرض بينما الرعاية الصحية معدومة والاهتمام بالرعاية الاجتماعية لاوجود له . . مجتمع يعيش المأساة بكل صورها . . وابدا لم نجد دليلا واحدا يؤكد تلك الدعاية التي سمعناها في مانيلا **عندما كانت اميلدا ماركوس وزيرة المستوطنات وتدعى اهتماما بهذه المجتمعات في الجنوب . فقد كان الادعاء هو أن « السيدة الاولى » تشرف على خطة رئيسية تقوم على توجيه النمو الحضري لانماط عمران شعاعية من شأنها تشجيع الانتاج الاقتصادي والرعاية الاجتماعية وخاصة لأهالي الجنوب . . وقيل انها تأخذ في اعتبارها حاجات الانسان الشخصية والاجتماعية والمعاشية ، وأنها أنشأت جمعيات نموذجية في هذه المناطق تعمل على النهوض بالبيئة ، مع اقامة مراكز مخصصة للرفاه العام والاجتماعي يتناول قضايا التغذية والتعليم وتنظيم الاسكان والصحة والتدريب المهني . .**

لكن . . اين كل هذه الدعاية مما شهدناه بأنفسنا في مجتمعات الصيادين المسلمين في القرى المائية في مندناو ، وفي مجتمعات الفلاحين العمال في المزارع والحقول ؟ ولكن لم لا . . ؟ ألم تأخذنا مرافقتنا وكان ذلك قبل سقوط ماركوس لنشهد ذلك المشروع العظيم الذي أقامته السيدة الاولى في زامبونجا حيث أقيمت أكواخ سكنية مخصصة للعرسان . . لقضاء شهر العسل فوق الاشجار ؟ !

لقد شهدنا اكواخ شهر العسل . . الكوخ مقام على ارتفاع **١٢** مترا على شجرة ضخمة من أشجار السنط . . ويصعد اليه درج يمكن رفعه في الليل عند النوم . وهو يحتوي على غرفة واحدة تضم كل وسائل الاعاشة ، فالسرير المزدوج يطوي ليدخل في فراغ الجدار ، بينما يسحب من فراغ آخر مائدة حولها مقعدان خشبيان . وعلى احد الجوانب يوجد فريجيدير وجهاز تليفون وحوض ومرآة للحلاقة . وفي الجانب الآخر يوجد موقد للطهي مع كل أدوات الطعام . كما يوجد حمام مزود بالماء البارد والساخن . . كل شيء مجهز برعاية كاملة . . ولكنها الرعاية لأغنياء زامبونجا دون فقرائها الذين يستمتعون ايضا بمدينة ملاهي باسونانكا التي أقيمت على مساحة **٥٧** هكتارا ، واحتوت على كل أنواع ألعاب التسلية الالكترونية ، وغير بعيد منها ساحة واسعة لمخيمات الكشافة للفتيان والفتيات مزودة بكل مايلزمها من معدات لاقامة المعسكرات . . وتلك هي كل الرعاية الاجتماعية التي أقيمت لخدمة الاهالي في زامبونجا . . ولكن لغير الفقراء الصيادين والمزارعين المسلمين . . . « المورو » . . . !

من هم المورو ؟

خلال النصف الاول من القرن السابع عشر ، عندما بدأت البعثات الكاثوليكية التبشيرية محاولاتها لنشر عقائدها ، واجهتها مقاومة اسلامية عنيفة . واطلق الاسبان على المسلمين اسم « المورو » وهو التعبير الاسباني للكلمة الانجليزية « مور » التي كانوا يطلقونها على المغاربة (المراكشيين) في الشمال الافريقي . ويشتهر المورو بشجاعتهم تماما الى جانب شهرتهم كبحارة وصيادين نشطين حتى ان الاسبان والامريكيين من بعدهم عجزوا عن اخضاعهم والسيطرة على ارضهم .

واذا كانت مدينة زامبونجا ذات اغلبية كاثوليكية ،

إلا ان هناك قرى مسلمة في جزيرة سانتا كروز على بعد عشرين دقيقة بالقارب البخاري حيث تبدو حياة السكان متباينة تماما عن حياة سكان المدينة .

ومعظم القرى التي تتمثل فيها اغلبية المسلمين لاتختلف عن قرى الريوهوندو والكاميو . والبيوت في ريوهوندوتقوم على اعمدةتماماكمافي بروناي وصباح وسرواك . وينتقل الاطفال الصغار الذين قد لايتجاوزون الخامسة أو السادسة بين البيوت في قوارب صغيرة ذات مجاديف يبرعون في التنقل بها . وهناك بين ثلاثة آلاف واربعة آلاف من السكان على الاقل يقيمون في هذه البيوت القائمة على سطح الماء ، كما يقيم بينهم ما لايقل عن الالف من المسلمين من ارخبيل سولو .

والمورو مسلمون اولا ثم فلبينيون . وهذه الحقيقة تبدو اكثر وضوحا كلما اقترب الانسان من جزر سولو . وبعد استقرار السلام بين المسلمين والمسيحيين خلال السنوات الاخيرة الماضية ، أقام السكان في وسط أكبر ميدان في المدينة برجا ابيض يعلو قمته الهلال الاسلامي يحتضن الصليب رمزا للوفاق والتعاون القائم بين الكاثوليك والمسلمين .

وقد ابتدع المسلمون في جزر سولو فنا شعبيا يختلف كثيرا عن فنون بقية الفلبينيين ، يتميز بتأثيرات الفن الحاوي الاسلامي

ومن اكثر المشاهد جاذبية تلك التعليقات الملونة التي تزخر بها جوانب سيارات الجيبني في زامبونجا . . فتستطيع ان تقرأ عبارات كثيرة تقول :

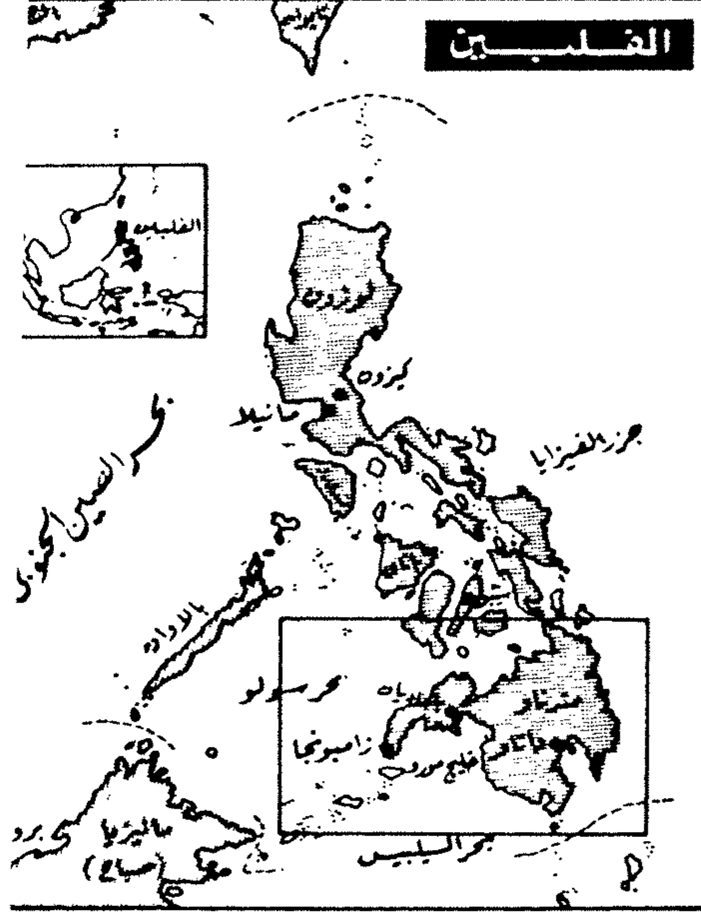
« لاتنسنا أبدا » و « ارجع الينا مرة أخرى » و« ياسمين » و « الطفل المحظوط » و « بغداد »

وهي نفس التعبيرات التي تقرؤ ها على جوانب القوارب البخارية التي تحمل السياح في حولاتهم بين الجزر . .

جبهة تحرير مورو

والآن . . عودة الى الاحداث التاريخية التي ادت الى الغضبة الاسلامية في جنوب الفلبين ، والتي مهدت لقيام « الجبهة الوطنية لتحرير مورو » .

ان السنوات الست الأخيرة من الحكم الاقليمي الذاتي في المقاطعات الاسلامية في جنوب الفلبين - وان كانت قاسية خشنة - إلا انها تتميز أيضا بأنها كانت فترة انتصار . وروعة هذه الفترة من الحكم الذاتي تستمد نهضتها وروحها من جوهر كفاح الماضي



* خريطة تبين موقع جزر الفلبين وجزيرة مندناو ومدينة زامبونجا

وماتبعه من نضال واحداث وظروف ، استطاعت في النهاية تحقيق قيام الحكومة الاقليمية المستقلة ، هذا النظام الحديث للحكم الذاتي الذي استند الى حقائق معاصرة .

الاستقلال الذاتي الاقليمي هو ماأمكن تحقيقه بعد صراع طويل خاصته المجتمعات الاسلامية في منديناو .

ولكن هذه الاحداث نفسها كانت وراء حصولهم على حقوقهم !وان كان ذلك قد تم على أجساد الآلاف من الضحايا . . . . واحداث عقد السبعينيات تسطر في صفحات التاريخ على انها فترة الثورة الضارية التي قام بها مسلمو ميندناو ضد الحكومة الفلبينية لاسترداد حقوقهم السياسية والاقتصادية ، واستعادة امتيازاتهم المدنية التي ضاعت خلال الفساد الاستعماري والاهمال الحكومي للجنوب ، مما جعل الفقر



* لقطة من فوق الجسر بن راموبجا والقريه التابعه للصيادين ويبدو المسجد وقد توسط اكواخ القريه والى اليسار مجموعه من الطالبات في زيهن الاسلامي في الطريق الى المدرسه







* الزي الشعبي للمسلمين في جنوب الفلبين كما برز بكل تفاصيله خلال مهرجان اسبوع ميداناو حيث عرضت لوحات رائعة من الفنون الشعبية التي تميز بها المسلمون في الجنوب



والتخلف صاحب السيطرة الاولى على مقدرات المسلمين في منديناو .

ولابد من عودة الى تاريخ المقاومة العنيفة الرائدة لمسلمي جنوب الفلبين ضد السيطرة والهيمنة .

فقد بدأ الغزو الاسباني للفلبين مع وصول لوبيز ديلجاسبي الذي اوقف على الفور الهجرات النازحة من بورنيو الى البلاد ، وقصر النشاط التجاري مع بورنيو على لوزون وجزر الفيزايا بين عامي ١٥٣٥ و ١٦٧١ .

ومنذ ذلك الوقت اشتعلت حروب المورو التي صورها الاسبان على انها عدوان إسلامي يقوم به اللصوص والمهربون ضد القوات الاسبانية في جزر الفيزايا وجزيرة منديناو .

وبقوة السلاح عمل الاسبان على « تنصير » سكان منديناو في الاماكن التي استطاعوا ان يضعوا اقدامهم فيها مثل مدينة زامبونجا .

واستمرت محاولات التنصير واتسعت بين بعض قبائل الارخبيل حتى استطاع المسلمون الوقوف في وجهها في وسط منديناو وسولو ، معتمدين على ماتنفثه فيهم عقيدتهم من روح الجهاد والنضال في سبيل الدفاع عن الارض والوطن .

وتحولت مظاهر المقاومة ضد المستعمرين الاسبان الى نوع من العداء بين المواطنين المسلمين والمسيحيين . فبعد ان عجز الاسبان عن اخضاع المسلمين تحولوا ليغرسوا بذور العداء بين اتباع العقيدتين مستغلين الاختلافات العقائدية بينهما .

واستمر ذلك حتى كانت معاهدة باريس عام ١٨٩٨ التي سلم الاسبان بموجبها جزر الفلبين للامريكيين عقب انتهاء الحرب الاسبانية الامريكية .

كانت المحاولات الامريكية لاستعمار الجنوب الاسلامي تقوم أول الامر على سياسة الاستيعاب **بلطف، ثم استبدلتها بابتداع خطط الدمج .** ووجد المسلمون انفسهم مرة اخرى في مواجهة اعداء جدد . .

وبينما كان المسيحيون يسايرون الاتجاهات الامريكية ، فإن المسلمين وجدوا انفسهم وقد اتسعت شقة الخلاف مرة أخرى بينهم وبين المسيحيين . وكان لابد للسياسات الاستعمارية الامريكية ان تواجه بمعارضة عنيفة عندما اتجهت الى مزيد من فرض الضرائب والى فرض التجنيد الاجباري . واتسع نطاق الثورة ضد الاستعمار الامريكي الجديد . واستبسل المسلمون في النضال والمقاومة . ولما ادرك الامريكيون ان القوة لم تعد تجدي مع المسلمين بل تزيدهم استبسالا وتضامنا واندفاعا للاستشهاد غيروا اساليبهم وأخذوا في استمالة المسلمين واعطائهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية ومنحوهم قسطا من الحرية في حياتهم العامة للتخفيف من نقمتهم ومقاومتهم .

استمر ذلك الوضع محققا نجاحا محدودا لدى المسلمين حتى بعد ان تولت الحكومة المدنية الحكم **بعد عام ١٩١٣ ، وحين تمهد الطريق لنيل الفلبين استقلالها عام ١٩٤٦ فقد نشط المسلمون للنهوض** بأنفسهم بعد ان حصلوا على درجة لابأس بها من ممارسة الحكم الذاتي ، وقامت جماعات منهم بتأسيس الجمعيات والمعاهد والمدارس ، وكان من أشهرها جمعية « إقامة الاسلام » التي وضعت من اهدافها القيام بتعليم اللغة العربية وفهم معاني القرآن والحديث والسعي لتوحيد كلمة المسلمين في البلاد وتبليغ الدعوة الاسلامية وشرح مبادئها والرد على مفتريات اعدائها . ولكن المشكلة التي كانت تعترض مشاريع الجمعية ومثيلاتها هي عجزها عن تمويل مشاريعها الواسعة تمويلا كافيا للنهوض بمهماتها . .

ولكن ذلك كله لم يمنع من اشتعال شرارات اخرى للمقاومة الدموية بين الحين والآخر كرد فعل للرسوم الجمركية والزحف المسيحي الى منديناو وسولو وانتزاع اراضي المسلمين والاستيلاء عليها ونزع سلاح المورو وفرض ضرائب على ملكية الأرض ، ووقف المسلمون في وجه زيادة عدد الموظفين الرسميين في الوظائف والاعمال المدنية المحلية . لهذا فعندما اصبح الاستقلال الوطني في حكم المقرر اعلن القادة المسلمون مطالبتهم بعدم إلحاق منديناو وسولو بالجمهورية الجديدة .

ومنذ سنة ١٩٤٦ وهو العام الذي منحت فيه الفلبين استقلالها وحتى سنوات قليلة تالية ، فإن الحكومة الجديدة ، أرهقتها مشكلة المحافظة على الامن والنظام في سولو .

ثورة الجنوب

كان سكان سولو **خلال الحرب العظمى الثانية وبعدها بقليل ، قد استطاعوا تخزين كميات كبيرة من السلاح والذخيرة من كل من اليابانيين الغزاة والامريكيين الراحلين . وصرف المسئولون الحكوميون جهودهم للبحث عن السلاح والقبض**

على المسلمين ، مهملين في الوقت نفسه الامور الاجتماعية والاقتصادية للشعب ، واتجهت الحكومة للحصول على اصوات الناخبين والاهتمام الزائد بالمناطق الشمالية الغنية مثل لوزون والفيزايا لرفع مستوى الحياة بين سكانها مع اهمال كل رعاية واهتمام سكان الجنوب ، لما كانوا يقومون به من حركات مناهضة للحكم وساعدت وسائل المواصلات الحديثة في الاسراع بالنهوض بالمناطق الشمالية وتوسيع الفروق بين الشمال والجنوب

ادت احداث الصدامات في سولو عام ١٩٥١ ومساعده الحكومة لرجال العصابات ضد سكان الجنوب ، الى مزيد من الغضب والثورة بين المسلمين ، وقادت الى انشاء مكتب الدمج الوطني عام ١٩٥٨ ، وبالتالي الى اشتعال الاحداث وانفجار الغليان الشعبي الذي قادته « الجبهه الوطنيه لتحرير مورو » التي بدأ مولدها في اوساط الطلاب المسلمين كتيار سياسي مالبث ان اتخذ أبعادا وطنيه عندما بدأ يطالب باستقلال ذاتي للمناطق الاسلاميه في جزيرة منداناو وكانت قيادة الجبهه تتمثل في ذلك الوقت في « نورميسواري » وهو سياسي واقعي كان استاذا جامعيا للعلوم السياسيه

الاحداث التي مهدت لقيام جبهة التحرير كثيرة حدثنا عن تفاصيلها كثيرون من سكان الجنوب الذين عاصروا غمار هذه الاحداث

قال لنا صالح بدر الدين من جمعية النهضة الاسلامية انه كان من نتيجة اهمال أهل الجنوب في مقاومة الغزو الاجنبي الاسباني ثم الامريكي ، ان تخلفوا وتأخروا عن سواهم من سكان الفلبين ، بينما كانت بعثات التبشير تنشط لتحويل العدد الاكبر من اللادينيين وحتى المسلمين الى النصرانية ، حتى تتعذر على الثقافة الاسلامية أن تتابع مسيرتها في ظل النشاط التبشيري والاستعماري

وفي ظل السلطة الحاكمة التي تساندها البعثات التبشيرية والقوى الاستعمارية ، بذلت جهود كثيرة مخططة لانشاء مستعمرات مسيحية في منداناو وتدفق القادمون من الشمال لشراء الاراضي واحتلالها في مناطق المسلمين بهدف زيادة نسبة الكثافة السكانية غير الاسلامية في منداناو وإدماجها في اطار اكبر للمجال السياسي والقيادي الديني

ولعل الهدف لم يكن دينيا فحسب ، فقد كانت كثرة المعادن التي تزخر بها المناطق الجنوبية هي مايسعى اليه الرأسماليون الذين ساندتهم التشريعات الحكومية القانونية التي اعتبرت العدوان على اراضي المسلمين عملا مشروعا

أحداث الصراع مع العصابات

هنا بدأت الاحداث التي يحكيها لنا المجاهدون الشبان من جبهة تحرير مورو ، خلال حوار ضم عددا منهم في بيت احد الزعماء الذين مازالوا ثابتين على موقفهم

قال أحدهم « عصابة الالاجا » وهي تشبه عصابة « كوكلوكس كلان » التي تحارب السود في امريكا ، انشئت لتكون اداة لسحق السكان المسلمين والقضاء عليهم ، وقد ارتكبت العديد من المذابح التي استنكرها حتى بعض رجال الكنيسة وحين احتج أحد القسس الفلبينيين على تلك الاعتداءات واستنكر بشدة ما تقوم به الالاجا ، تلقى من زعامته العليا توبيخا شديد اللهجة لالتزامه جانب العدل ! »

وقال مجاهد اخر في سنة ١٩٦٨ حدثت مذبحة « كوريجيدور » وذهب ضحيتها عدد من المسلمين المتطوعين في جيش البلاد ، واستخدمت معهم الاساليب التي استعملت في مذبحة « بمكاواسات » التي ذهب ضحيتها اكثر من ستمائة فرد من الاطفال والنساء والشيوخ وكانت هذه المذابح تجري على يد عصابات إرهابيه مسلحة تضم أعضاء النصارى في الجنوب وموظفي الحكومة ورجال الجيش ، وكانت تستهدف اشاعة الرعب والفزع بين المسلمين وحملهم على ترك اراضيهم ، ولاننس ان مستشار الرئيس ماركوس الخاص يهودي صهيوني معروف !

وقد حدث في صباح ١٩ يونيو ١٩٧١ ، ان هاجم المرتزقة بقيادة بعض ضباط الشرطة النظاميين ، قرية مانيلي في مقاطعة كوباناتو ، وطوقوا اهل القرية وجمعوهم داخل المسجد بحجة انهم يريدون اقامة مؤتمر للسلام وفي المسجد انقضوا عليهم بالقنابل والرصاص حتى قتلوا منهم ٦٤ مسلما وأصابوا أكثر من مائتين بجراح خطيرة واتبعت الطريقة ذاتها مع آخرين في مدرسة عامة قريبة من ذلك المكان ، حيث استشهد عشرات من المسلمين

كان من بين المحصور رئيس حركة استقلال منداناو ، وكانت الحكومة قد اتهمت حركته بأنها كونت قوة عسكرية عرفت باسم « ذوي القمصان

* في وسط الساحة الشعبية في حي المسلمين بزامبونجا   وقفت تقدم لوحة راقصة   بينما زميلتها تقدم لوحة أخرى تمثل رقصة الحرب



* تزخر شواطئ جزر الجنوب بأنواع متباينة من
المحارات والأصداف والشعب المرجانية



* كـوخ شهر العسـل فوق شجـرة
البلوط في وسط الغابة بمدينة رامونجا



* لاتخلو قرية من قرى الجنوب من مسجد يتوسط مساكنها وهى مساجد تسع فى عمارتها اصول الفن الحاوى
الاسلامى (والى اليمين) ثمار المانجو والاناناس باحجامها الكبيرة

السوداء » وانها مسئولة عن الاضطرابات التي انفجرت بشكل اعنف والتي ادت الى اعلان الاحكام العرفية في البلاد .

قال لنا : « لم يكن هناك وجود لما يسمى بذوي القمصان السوداء . ولاظل في الحقيقة لكل مايقال من اتهامات للمسلمين بانهم يريدون الانفصال عن الجمهورية وإنشاء دولة مستقلة من مندناو وسولو ، ان كل ما اريده هو السلام ، ولا أريد القلاقل مالم تجر محاولات لاثارتنا . وكل ماتفعله الحركة هو إصدار منشورات تعبر عن اعتراضنا على مايجري من اهمال لحقوق المسلمين . فماذا يخيفهم من ذلك ؟ انني اريد ان يكون المسلمون والنصارى على مودة وان يعيشوا في تآلف وانسجام مادمت زعيما للمسلمين والنصارى في الوادي الاعلى » .

حين تحركت جبهة تحرير مورو لاعلان مطالبها اعتبرت الحكومة انها ثورة للمسلمين في الجنوب ، وقررت مواجهتها بكل عنف واعلنت الاحكام العرفية بموجب قانون الطوارىء منذ ٢١ سبتمبر ١٩٧٢ .

وهنا . . نعود الى وثائق التاريخ لنقرأ صفحات من كتاب « البلدان الاسلامية والاقليات في العالم المعاصر » الذي اصدرته جامعة محمد بن سعود بالرياض . .

« كانت قوات الحكومة تؤازرها القوى والعصابات المضادة للمسلمين والمدعومة من الدول الاجنبية اقوى بكثير من الثوار المسلمين . وبلغ تعداد جيش الحكومة في المناطق الجنوبية ربع مليون جندي . . وارتكبت افظع الجرائم ضد المسلمين من قتل جماعي ، وإحراق للمزارع ، وتهديم للمساجد فوق المصلين ، وللمنازل فوق السكان ، واحراق للبشر أحياء ، وإنتهاك الاعراض والحرمات . وصمد المسلمون بقوة في وجه هذه الفظائع ، وأبدوا من الشجاعة ما كبد عدوهم خسائر فادحة ، وتحصنوا في الغابات والجبال ، ونال بعضهم قسطا من التدريب في معسكرات خارج البلاد . وكان الشعب خير ظهير لهم في كمائنهم وهجماتهم الخاطفة ، ويقدر جيشهم بثلاثين الف مقاتل . وكلما خشيت الحكومة الدول الاسلامية وتأييدها لمسلمي الفلبين ، اصدرت تصريحا بأنها ستمنح للمسلمين حكما ذاتيا ، وان جيشها سينسحب من المناطق الاسلامية ، ثم لاتلبث ان تنكشف الحقيقة المناقضة لهذه الدعاوي » .

اتفاق طرابلس والحكم الذاتي

على ان سياسة القوة قد فشلت ازاء صمود المسلمين ، واضطرت الحكومة الفلبينية للموافقة على مفاوضة المسلمين حيث تم في ديسمبر ١٩٧٦ في طرابلس بالجماهيرية الليبية التوقيع على اتفاق وقف اطلاق النار ، ووقع عن الحكومة وكيل وزارة الدفاع الفلبيني كارميلو بربيرو ، كما وقع عن المسلمين زعيم الجبهة الوطنية لتحرير المورو نورميسوارى .

ووافقت الحكومة بموجب الاتفاق على اعطاء المناطق الاسلامية الثلاث عشرة في جنوب البلاد حكما ذاتيا ، وان يكون لها حكومة واحدة ومجلس نيابي واحد ، ومحاكم ومدارس وجامعات مستقلة ، وان يجري فيها الاقتراع لاستفتاء عام . وتؤلف لجنة لتنفيذ الاتفاقية من مندوبين عن المؤتمر الاسلامي الذي عقد في كوالمور عاصمة ماليزيا عام ١٩٧٤ ، وعن جيش المورو ، وعن الحكومة الفلبينية . ولكن تعددت تصرفات الحكومة التي تعتبر خرقا للاتفاقية على الرغم من اصدارها قرارا بتعيين « نورميسوارى » عام ١٩٧٧ حاكما عاما للمناطق الاسلامية .

ولكن . . ماذا حدث بعد ؟

الواقع ان الكفاح المسلح الذي قامت به جبهة تحرير مورو برغم الانقسامات التي حلت بها بعد ذلك ، والنضال الشعبي الذي واجه به المسلمون في الجنوب كل محاولات الضغط والارهاب ، كان لابد ان نؤدي في النهاية الى مكاسب كثيرة في اتجاه الحكم الذاتي للمسلمين . .

مع رئيس المجلس التنفيذي

هذه الصورة الجديدة شهدناها وسمعنا بعض تفصيلاتها عندما التقينا بالحاج صالح والى أحد قادة جبهة تحرير مورو الرئيس الحالي للمجلس التنفيذي للحكومة المستقلة للاقليم التاسع بمقر المجلس في زامبونجا قال : « لايستطيع أحد ان ينكر ان الحكم الذاتي الذي نتمتع به الآن هو ثمرة نضال طويل خاضه المسلمون في جميع مناطق الجنوب ، وان جبهة تحرير مورو كان لها الدور الرئيسي في هذا الجهد الكبير الذي تكلل اخيرا بالنجاح ، وقيام الحكومة الاقليمية في جنوب الفلبين .

فتنفيذا لاتفاقية طرابلس تقرر قيام حكم ذاتي في

أربعة اقاليم هي الاقليم التاسع في غرب مندناو ويضم خمس مقاطعات هي زامبونجا الشمالية وزامبونجا الجنوبية وجزر سولو وباسيلان وتاوى تاوى وعاصمته زامبونجا ، والاقليم الثاني عشر في وسط مندناو ، ويضم مقاطعات لاناو الشمالية والجنوبية وماجينداناو وسلطنة كودرات وعاصمته كاتاباتو ، وذلك بالاضافة الى بالاوان في الاقليم الرابع ودافاو الجنوبية وكاتوباتو الجنوبية في الاقليم الحادي عشر .

ويبلغ عدد المسلمين في مندناو الغربية والوسطى حسب تعداد ١٩٨٤ حوالي مليونين و٥٢٨ الف مسلم ، بينما عدد غير المسلمين حوالي مليون و٨٠٠ الف . . وكلهم يعيشون في ظل الحكومة الاقليمية المستقلة ذاتيا التي اعلن قيامها في مارس عام ١٩٧٧ وتشكلت من سبعة اعضاء يعينهم رئيس الجمهورية وعضوين من قيادات جبهة تحرير مورو، وعضو تختاره جبهات التحرير في كل من المقاطعات الثلاث عشرة التي تتمتع بالحكم الذاتي .

ان خطة الحكومة لاعادة الوئام والتهدئة تضع على عاتقها مساعدة المسلمين الفلبينين برفع مستوى التأهيل التعليمي وخاصة بين اعضاء جبهة تحرير مورو العائدين والذين فقدوا فرص التعليم خلال مشاركتهم في اعمال المقاومة ، وتوجيههم الى الاعمال والوظائف المدنية والحكم المحلي ، وفتح مجالات التجارة بين مندناو الغربية وجاراتها وانشاء الجامعات ودعم المدارس بالمدرسين المؤهلين . . .

والى جانب ذلك انشئت « وزارة الشئون الاسلامية » في الحكومة المركزية ، كما تم الاعتراف بقوانين الاحوال الشخصية الاسلامية ، وانشئت المحكمة الشرعية ، وصدرت قوانين لاعادة الاراضي المستولى عليها الى أصحابها الاصليين ، ورصدت مئات الملايين من البيزو (العملة الفلبينية) لتطوير الخدمات الاجتماعية والاسكانية للثوار العائدين .

ولكن ماذا عن مظاهر الفقر والتخلف التي مايزال قائما وشهدناه في كل مكان زرناه في منديناو ، وبخاصة القرى المتناثرة وبينها قرى الصيادين ؟

يقول الحاج صالح والى : لاشك ان الفترة الماضية التي انتهت الآن بقيام الحكومة الاقليمية قبل ستة أعوام ، كانت فترة عصيبة شغل فيها السكان المسلمون بالمقاومة والتصدي للهجمات المستمرة من العصابات والقوى الأخرى ، مما أدى الى انهيار اقتصادياتهم ، رغم أن منديناو أغنى الاقاليم في البلاد . ولكن التغير الذي جرى في السنوات الأخيرة اعطى الفرصة لبدء التطوير والنهوض بالحياة الاجتماعية والاقتصادية للسكان ، ويبدو ذلك واضحا من خلال التنفيذ الفعلي للأسس التي أعلن بموجبها قيام الحكومة الاقليمية المستقلة التي حددت أربعة أهداف رئيسية هي : اعادة إسكان الثوار العائدين ، والاهتمام بالثقافة والتعليم ، وضمان الامن والاستقرار ، ورفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي في المقاطعات الاسلامية . وتتولى الحكومة الاقليمية والمجالس التنفيذية بنفسها شئون تطوير التعليم والاقتصاد ، كما تتولى ادارة الامور المالية والعلاقات الاقتصادية والتجارية والمصرفية مع الدول الأخرى ، بالاضافة الى توليها الاشراف على المصادر الطبيعية وشئون الهجرة والابعاد والمواطنة والتجنيس والمنافع والخدمات العامة والجمارك والمراقبة والحجر الصحى .

الواقع الجديد

● ثم ماذا عن مقاتلي جبهة تحرير مورو ؟ وماهي الاسس التي عاد بها هؤلاء الى الحياة المدنية ؟ وهل انضم الجميع الى الركب ام ان هناك من لايزال يشارك في النضال من اجل التحرير الكامل

وجه من مندناو







مقر المجلس التنفيذي للحكومة الاقليمية في زامبوانجا والذي يشرف على شئون المسلمين في الاقليم التاسع في الجنوب الفلبيني



بعض الشباب المسلحين من جبهة تحرير المورو في احد المعسكرات في منطقة مينداناو



الصغار يسبحون بمهاره في مياه قرية ريوهوندو ويلقى الصغير في الماء ليسبح وهو لايزال في عمر الزهور

والاعتراف بدولة اسلامية مستقلة في الجنوب ؟

الاجابة نسمعها من اكثر من طرف ، سواء ممن ألقوا السلاح أو ممن لايزالون يحملونه . . ونخرج من هذه الاجابات بواقع جديد مايزال قائما في جنوب الفلبين .

الكثيرون من مقاتلي الجبهة لم يطمئنوا الى وعود ماركوس وقراراته حيث كان قد تجاهل طوال فترة رئاسته وحتى سقوطه الكثير مما اتفق عليه في اتفاقيات طرابلس أو ما بقي معلقا بحجة المزيد من الدراسة ، ويقال ان ما شجع ماركوس للتنكر لما بقى من بنود الاتفاق هو تراجع الزعامات التقليدية للمورو خشية ان تفقد امتيازاتها مع ازدياد نفوذ الشبان الراديكاليين .

ولكن الذي لاشك فيه هو ان هناك خلافات تراكمت بين قادة الجبهة وخاصة بين زعيمها السياسي نورميسواري ورجل الدين هاشم سلامات في اعقاب قيام الحكومة الاقليمية المستقلة ، والتناحر الذي شب بين مختلف القيادات والمقاتلين عند اجراء الانتخابات في المناطق الاسلامية لتشكيل المجالس التنفيذية والبرلمانية ، خاصة بعد ان قرر الكثيرون الانضمام الى السلطة الجديدة ، والاستفادة من القرارات الخاصة بإعادة اسكانهم وعائلاتهم ، ورعايتهم اجتماعيا واقتصاديا ، وأغلب هؤلاء استبدلوا بالقتال المسلح اعطاء الاولوية للتربية وتحويل المدارس الى مراكز قومية للتوعية . كما اقاموا وشاركوا في مراكز الابحاث والجمعيات الثقافية والاقتصادية والمجالس الاقليمية للعلماء كما حدث في زامبونجا ، كما اتجه بعضهم للعمل في اطار التحالف الاسلامي من اجل الحفاظ على هوية المورو وتعميقها في النفوس .

ولكن عددا آخر ممن فقدوا الثقة بالحكومة المركزية في مانيلا مازالوا يحملون السلاح يقاتلون بين حين وآخر ، دون خطة أو هدف محدد ، بينما تشهد بعض مناطق « لاناو » قيام جبهة جديدة من المقاتلين الذين تدربوا في ماليزيا أو باكستان الى جانب الثوار الافغان ، إلا ان إمكاناتهم العسكرية ماتزال محدودة . ومن بين هؤلاء من استطاعوا في صيف ١٩٨٤ خوض معركة ضد الجيش استمرت شهرين

ولم تتوقف إلا بعد أن لجأت القوات الحكومية الى استخدام الاسلحة الكيماوية

في قواعد المجاهدين

كل ذلك كان لابد ان نستمع الى تفاصيله ونحن نتنقل في جولتنا بعيدا عن صحبة الرسميين الى مناطق الثوار داخل الغابات والاحراش

فهناك سنلتقي بالمجاهدين المسلمين في قواعدهم العسكرية في لاناو تماما كما سنلتقي بمجموعات أخرى من ثوار جبهة تحرير مورو القابعين في قلب جزيرة مندناو

المغامرة كان لابد منها لاجتياز عدة نقاط تفتيش عسكرية ، وبصحبتنا شاب من المجاهدين المسلمين ترك أسرته في القرية ليضم الى القاعدة السرية للثوار وكان الوصول الى القاعدة محفوفا بالأخطار ونحن نسير عبر مجموعة من القرى وعشرات من حواجز التفتيش دون أن تكتشفنا عيون قوات الحكومة

المهم أننا وصلنا بعد ان اخترقنا الحصار وكان واضحا ان الفتيان الذين يشكلون هذه المجموعات من المناضلين اغلبهم بعمر الزهور ، وان كان قادتهم ومدربوهم رجالا تمرسوا طويلا على حرب العصابات التي لاتختلف عن الحرب النظامية من حيث التنظيم والتدريب والتسلح

وحين جلسنا الى قائد القاعدة وقد أحاط بنا عدد من المجاهدين أحسسنا انهم قد أحسن تدريبهم روحيا ونفسيا وتعليميا وعسكريا وكان الايمان يعمر قلوبهم كما كانوا يدركون قيمة الجهاد في سبيل الاسلام والوقوف في وجه الطغيان لاستخلاص حقوقهم المشروعة في ارض الاجداد

قال لنا قائد القاعدة

- بعض هؤلاء هم اخوة وأبناء لشهداء ناضلوا في صفوف جبهة تحرير مورو وحققوا الكثير من الانتصارات على قوات الحكومة خلال معارك ماقبل اتفاقية طرابلس وكانت هذه الاتفاقية نتيجة لضراوة المعارك التي أرغمت ماركوس على أن يحني رأسه وان كان قد عاود مرة اخرى التراجع عما تم الاتفاق عليه وقد كان هذا التراجع مع عدم اطمئناننا الى

وعوده سببا في عودتنا الى تنظيم صفوفنا

وقلنا له

- ولكننا شهدنا بعض مظاهر الحكم الذاتي وربما المجلس التمهيدي للاقليم التاسع وقال لنا الحاج صالح والى انهم يمارسون الاستقلال الذاتي بكل مايحمل الاستقلال من معنى

قال صاحبنا في ابتسامة ساخرة

- لاتخدعكم مظاهر مايسمى بالحكم الاقليمي الذاتي فقد انخدع ايضا عدد من قادة الجبهة وانضموا الى السلطة ، وشاركوا في المجالس التمهيدية ولكن هذه المجالس لاتملك من السلطة الا القليل ، وهي تأتمر بأوامر الحكومة المركزية التي لاتمنحها حتى المال اللازم لتنفيذ المشروعات المطلوبة ولكنهم سيكتشفون في القريب انهم مخطئون وان الحق لايمكن ان يؤخذ الا بالقوة

وتدخل احد الشبان وهو يشير الى مجموعات الاسلحة المتباينة الاحجام والانواع

- ان بعض هذه الاسلحة هو حصيلة ماغنمناه بالقوة خلال معاركنا مع قوات الحكومة ، وان كان البعض الآخر قد حصلنا عليه لقاء مقابل مادي من أفراد الجيش الذين يهربونه من المعسكرات ويبيعونه لنا فهؤلاء الجنود أيضا فلبينيون ، ويدركون أننا نناضل من اجل الحق والعدل وهم يعلمون ان السلاح الامريكي الذي زودت به قواتهم انما هو عصير دم الشعب الذي اعتصره الامريكيون وعملاؤهم من رجال السلطة وقال القائد

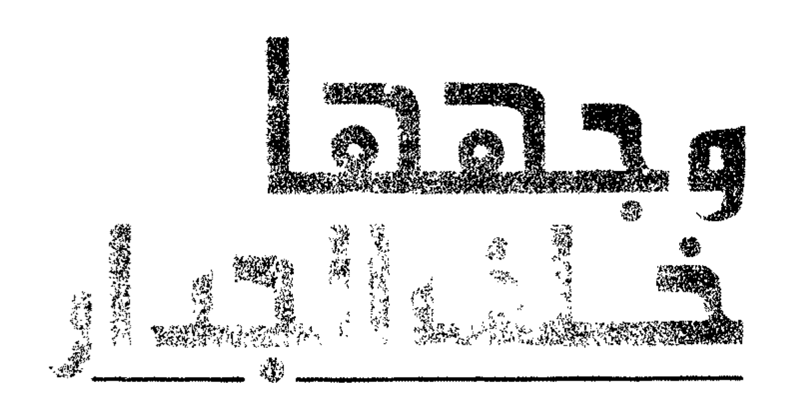
- انها أموالنا ردت الينا والسلاح سلاحنا ولن نلقيه إلا بعد ان يتحقق لنا النصر

وعاد رئيس المجموعة يقول

مع كل ذلك فان هناك آمالا كبيرة نعقدها على نظام الحكم الجديد بعد ان أقدمت كورازون أكينو رئيسة الجمهورية على مفاوضة جبهة تحرير مورو لتطبيق الحكم الذاتي بالشكل السليم ، استنادا الى ما اتفق عليه في اتفاقية طرابلس التي تلاعب الرئيس السابق ماركوس في تنفيذها

ولكننا مع ذلك سنظل واقفين بالمرصاد والسلاح في أيدينا ، حتى نحس ان الحكومة الجديدة يمكن أن تستجيب لمطالبنا وان كانت البشائر لم تظهر بعد ! □

قصة قصيرة



بقلم : فردوس فتحي ندا

أي قلق هــذا الـذي راحت تتهـاوى تحـه ابتسـامتك الـرقيقة وأي حـطر استشعره حسك الطفولي من ابتسامة صفراء لاذ بها الغريب الجالس في صدر المكان يتأملك ممدودة لك يده عبثا وفيها قطعة حلوى عبرتها نظراتك بلا اهتمام ، ثم استقرت على وجهه طويلا تستشف كنه هذا الغريب الذي راح في عداء خفي يحاصرك بنظراته فأي خوف هذا الذي جعلك تنفر منه وتخشاه وتنسحب إلى حيث تقف أمك بعد الشـاي ، وأنت تلف ذراعيك حول ركبتيها تحتمي بها حتى كادت أن تتعثر وتسقط منها صينية الشاي فوق رأسك أي قلق هذا الذي راح يملأ نفسك ويحاصر اطمئنانك كلما جاء الغريب ، وكيف راح نفورك منه يزداد كلما أسرف في محاولات التودد اليك

يوما ما امتلأ البيت بالناس وانطلقت الزغاريد وأكلت كثيرا من الحلوى وفي المساء اصطحبتك جدتك الى بيتها على غير رغبة منك فارقت في هذا المساء ولأول مرة فراش أمك وقمت في الليل تبكي وترجو الجدة أن تأخذك اليها وتمر أيام وأيام قبل أن تعيدك اليها شاكية من بكائك الذي لاينقطع (وتبولك على غير العادة في الفراش) هناك كان الغريب في فراش أمك يرقد مسترخيا ولأول مرة تجاهلك تماما لكن

هذا القلق عاد يحاصر قلبك وحين رفعتك أمك الى صدرها وراحت تضمك اليها اختلست عيناك من فوق كتفيها نظرة إليه كانت عيناه ، في انتظارك راح يسدد لك نظرات كراهية مخيفة كان أبدا حريصا ألا يراها أحد غيرك

أخرجت له لسانك،أرعبك ثبات نظراته والبغض الكامن فيها أخفيت وجهك في كتف أمك وضعتك على الأرض جريت نحوه رفست ساقيه بقدمك هربت الجدة لاكت أصابع





الرّحل بقسوة وحنتك   نظرت أمك له في عتاب حملتك إلى صدرها وراحت تكفكف دموعك زعق الرحل يأمرها أن تعد العشاء   انسحبت وفي عينيها حزن   ماتت دهشتك تحت أمر صارم منه أن تجلس ولا تتبعها   إنزويت في ركن بالغرفة حاصرتك فيه نظراته المخيفة   إشتد خوفك تدلى رأسك   الدموع تتجمع في عينيك المثبتة نظراتها على الأرض   شعورك بالحصار إشتد تناديها بصوت متهدج (ماما)

عيناك تجوب سقف الغرفة   تتمادي الخوف القادم من عيني الرحل   عاودت « وقد اشتد رعبك » النداء عليها   الرحل لايبدى حراكا ولايصدر صوتا   إحتلست في رعب نظرة اليه

عيناه أبداً في إنتظار عينيك   أجهشت بالبكاء   الخوف قيدك إلى الأرض   زعق الرحل يأمرك بالسكوت يا   نعتك بلقب يشير الى ابتلال ملابسك   الحدة جاءت واستأذنت الرحل في الانصراف وأمك اقبلت   قمت إليها بلهفة أمسكت بيدها   نظرتما معا إلى الرحل   الرحل يأمرك في « ثبات مرعب » أن تذهب مع حدتك   رفعت بصرك لأمك في رجاء   بدت بلا حول ولاقوة إنحنت تقبلك والدمع في عينيها   إشتد رعبك صرخت وبكيت   قاومت الحدة كثيرا وتشبثت قدماك الصغيرتان بالأرض حتى كدت أن تنزلق من ثيابك   دفعك الرحل بقسوة إلى حدتك

إنصفق الباب   بكاؤك يتحول إلى شهقات شيء ماراح يعلو بينك وبين أمك   وجهها يبدو من خلف هذاالشيء حزينا وعيناها ترنو في حنان اليك   هدهدة واهتزاز رتيب ودعوات من الحدة بأن تنام   تقطعها شهقاتك المتتابعة

في الصباح التالي كان هناك شيء مؤكد قد إستقر في عقلك الحائر   وحزن عميق حثم داخل قلبك الصغير   وراحت عيناك تبحثان في الفضاء عنها   وجهها الحزين يتراءى من خلف جدار رحت تناجيها هامسا لنفسك في أسى (ماما) دموعك تتتابع فوق وجنتيك الباهتتين وبين الحين والحين تغمغم في حزن (ماما)

هززت رأسك ترفض الطعام ، ورحت ساهما ترقب جدتك وهي تضع الطعام في فمها الأجوف

تذكرت أمك أيام كنت تمتطي ركبتيها تهتز وتضحك وتنصت في شغف لدقات قلبها الرتيبة الهادئة تهدهد أذنيك   وكفك الناعمة الدقيقة تتحسس (الثدى) في حنين ورضا   حدتك شغلت عنك بأعمال البيت   مارلت تحملق في الفراغ ساهما   وجه أمك مابرح يتراءى من خلف الجدار جاثما على الارض ، راسك فوق ذراعيك الصغيرتين طاويا ساقيك تحتك   تموء كجرو صغير ، قلبك ما فتىء ينتفض ملتاعا   والحزن يحفر فيه بقسوة أخدودا   يحف بك الذباب ، يمتص دموعك   لاتشعر به ، ساهما « رحت تتأمل في حنين أليم وجهها »   الأيام تمضي   وعودك يهزل وعيونك يزداد اتساعها وانجذاب نظراتها إلى الجدار الذي مابرح وجه أمك يلوح من خلفه

يوما ما دق قلبك في لهفة عندما قالت الجدة إنك سوف تصحبها الى أمك   وجهها الآن لايقف بينك وبينه شيء،رفعتك إلى صدرها   راحت تضمك وتقبلك في لهفة   لم تطمئن   تهمس لها ترجوها أن تبقيك معها   الحزن في عينيها يقطع قلبك بقسوة   تمشي خلفها في البيت تتوسل اليها أن تبقيك   سمعت خطواته   داهمك الرعب غاص الدم من وجهك ، جمدت في مكانك ، « أحيط بك »   الرحل قبالتك   حريص أنت ألا تلتقي عيناك بالرعب القادم من عينيه   رأسك انحنى حدست أنه يملك أن يبقيك معها   رجوته بصوت متلعثم أن يسمح لك بالبقاء « وأنك لن تبول في الفراش »   لاذ بالصمت ونظراته مسددة تثقب راسك   إبتدر أمك ، لماذا لاتتركك تقيم مع أبيك ؟ أنت لاتعرف لك أبا سواها ولاتريد غيرها   بدت وجلة قلقة وهي تحدثه عن وحدة جدتك وحاجتها الى من يؤنس وحدتها   وعمرك الذي مازال بعيدا عن حضانة أبيك   وأشياء أخرى لم تفهم منها أو تدرك إلا شيئا واحدا   هو أنك لن تستطيع أن تعيش معها كما كنت تعيش فيما مضى

إنزويت في أحد الأركان وعلى وجهك الصغير ارتسمت أحزان الكبار وعذاباتهم ، نظراتك تمسح الأرض بقلق ، المرة تلو المرة حريص الا تلتقي عيناك بعينيه ، تعلم أن عينيه أبدا في انتظار عينيك جاءت

أمك بالطعام ورحت في حصورها تختلس النظر اليه بدا كريها بغيضا ، وتألقت سعادة خبيثة في عينيه حين وضعت أمك في فمه شيئا

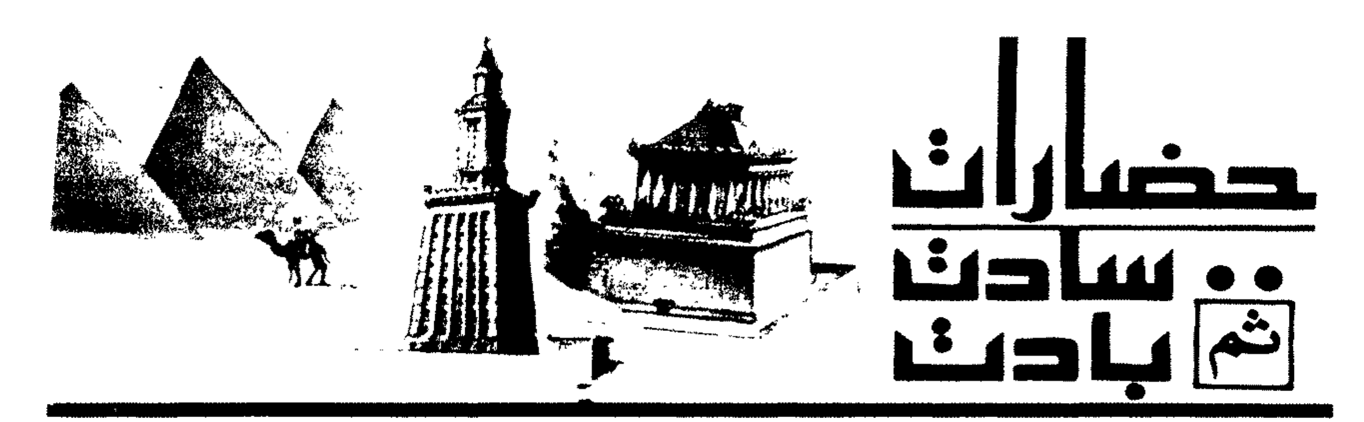
برقت عينه حين ألقمتك مثله شيئا أرخيت بصرك تلوك الطعام بلا شهية وامتلأت عيناك بالدمع وترددت طويلا قبل أن تستسلم للحدة وتعود معها

في الليل رحت « خانقا » عليها تدير وجهك عن وجهها الذي يرمقك بحنان من خلف الجدار الأيام تمضي كأنها يوم واحد يتخلله الليل والنهار على التوالي الحنين اليها يدنيك وأخدود الحزن يزداد عمقا في قلبك صامتا معظم الوقت لاتتكلم الجدار « مازال وجه أمك الحزين » يتراءى ابدا من خلفه يطل عليك أشرقت السعادة في وجهك وأنت تدلف الى غرفتها في زيارة أخرى كانت في الفراش على غير العادة كان هناك طفل احمر يموء كجرو صغير احتضنته أمك يلتقم الثدي في نهم هذا الثدي ملك لك وحدك إشتعل اخدود الحزن غضبا وغيرة إرتقيت الفراش في عجلة دفعته بقوة عن صدرها ، شهقت ، سألتك عما أصابك ؟ رعقت الحدة وأراحتك بعيدا قالت أمك أنه أخوك وانك يجب أن تحبه تحبه ؟ كلا ، لن تحبه ، ولن تحب أحدا قالت أمك « ستبقي اليوم معنا » ورحت « ساخطا » تنصت إلى مموائه ، وترمق الثياب التي لوثها في « احتقار وتشفٍّ » والحدة تطعمها وتسائل نفسك في غضب ودهشة لماذا يحبه الجميع برغم « قذارته » حتى هذا الرجل تمرح أساريره ويروح يتأمله سعيدا ويرجو أمك أن تعطيه له ، ثم يقبله في سرور تمنيت أن يموتوا جميعا ولايبقي الا أمك فقط تظاهرت متعمدا السقوط من فوق السرير املا أن يهتم بك أحد ممن أحاطوا (بالجرو) كما سميته بينك وبين نفسك غير ان الرجل سخر منك وامرتك الحدة بالتعقل والهدوء من اجل الصغير لا أحد يهتم بغير (الجرو) وفي غفلة منهم ، رحت تحاول أن تدس أصبعك في عينيه التي تشبه عيني الرجل شهقت أمك سددت لك نظرة قاسية تصدع لها قلبك وفي المساء عدت مع جدتك مقهورا تتساءل في

كم تشعر بالبغض له وكم تكره نظراته وشراهته وهو يلتقم ثدي أمك « دائما يصرخ يريد أن يهتم به الجميع » (هذا القذر) كم حلمت بموته لكنه لايموت وتحرص في كل زيارة على تحسس فراشه المبتل (وتنعته هامسا في شماته ، بلقب يشير لابتلال ثيابه وتروح ترقبه في غيظ وكمد وتتمنى أن يموت ، وأن تحملك أمك بدلا منه على صدرها الحنين يقتلك شوقا إليه والأيام تمضي (والجرو) يحبو يجلس يشبح بيده الصغيرة في وجهك الرغبة في موته تملأ قلبك يمتلىء فراشه باللعب هناك دمية كانت لك فيما مضى وهي الآن بين اللعب فوق فراشه تحاول أخذها يصرخ ، تستدير اليه بمحجر عصبك منه ، تلقيه على ظهره وتجثم فوقه ، تختنق صرخاته ، تروح بكلتا يديك تضربه عيناه الشبيهة بعيني أبيه أمامك تحاول أن تغرس أصابعك فيها يعلو صراخه،الرجل يهال عليك ضربا وركلا أمك تصرخ تتلقى ضربات الرجل عنك،الجدة تحمل الطفل وترقب ثورة الرجل في فزع احتطف الرجل الطفل منها ودفع بك خارج الباب وهو يصرخ في عصبية انه لايريد أن يراك بعد الآن في بيته هو بيته إذن لماذا تقيم أمك في بيته ؟ الجدة غاضبة لاتكف عن تأنيبك وصرخات أمك مازالت تملأ أذنك »

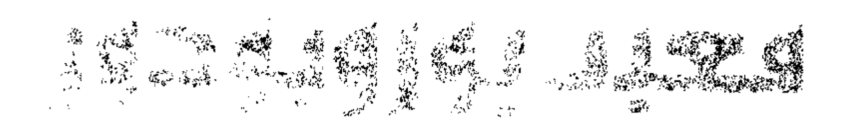
الأيام تمضي والحنين لايشبعه وجهها الذي يتراءى حزينا من خلف الجدار يرقبك في أسى ويروح تحدق فيه لاتريم ، كم أنت مشوق لرؤيتها ، لدفء صدرها لرائحتها وابتساماتها الجدة ترفض ان تأخذك لتراها الجدة الآن بالخارج تستطيع أن تذهب وحدك لتراها وتعود سريعا تعرف الطريق فتحت الباب رحت تمشي تائها داهلا الشوارع لاتنتهي البيوت عالية الناس لاتتوقف سألت رجلا هل يمكن أن تأخذك إلى امك وصفت له الطريق اسمع مددت له يدك مستسلما

الأيام تمضي والجدة تسأل كل من سراه عنك والدموع أبدا في عيني أمك الذاهلة ووجهك لاتراءى لها من خلف جدار ووجهك ملأ الآن



اعداد : يوسف زعبلاوى

مــن حضارات جزيرة جاوة قبل الإسلام



نتنـاول اليـوم الحضـارة التى سـادت فى جـاوة قـبل وصـول الاسـلام اليـهـا بعـدة قـرون . . والتى انـدثـرت فى الجـزيـرة الأنـدونيسيـة ، ولم يبق منهـا أثـر باستثنـاء معبـد بوروبودور . . وهو من أكبر معابد الديانـة البوذيـة وأشهرهـا فى العـالم كله . . فـالحضـارة التى نحن بصددها اذن حضارة بـوذية . . والحديث عنهـا يستوجب الحديث عن معبد بوروبـودور لاباعتبـاره القمـة التى بلغتهـا تلك الحضـارة فحسب ، ولكن باعتباره الأثر أو المرجع الوحيد الذى لولاه لما عرفنا عن تلك الحضارة الا النزر اليسير . . من مراجع أخرى خارجية ، كمبودية وصينية . . وذلك أن مبانى تلك الحضارة كانت كلها من خشب . . . باستثناء معبد بوروبودور الذى كان من حجر .

والغريب أن هذه المراجع جميعهـا لا تحدثنـا عن الملوك الذين رعوا تلك الحضارة الا قليلا . . وتحدثنا عن رعيتهم بتفصيـل . . ولا يخفى أن هذه ظـاهرة فريدة فى التاريخ . . فـالغموض اذن يكتنف حيـاة أولئك الملوك الذين لااسم لهم ويعرفون باسم ملوك الجبل Shailendra Kings فحسب . . .

لقـد حكموا أواسط جـاوة فيما بين سنـة ٧٤٠م والنصف الثانى من القرن التاسع ــ أى طوال قرن أو يزيد قليلا . . وكانوا من أصل أنـدونيسى . . وقد ضمت مملكتهم فيما ضمت سومطرة . . وليس معنى هذا أنهم اعتمدوا القوة الغاشمة ، وعمدوا الى غزو جيـرانهم وفـرض سيـطرتهـم ، أو ان شئـت استعمـارهم ، على ما دنا من البلدان ومـا بعد . . فالنقيض هو الصحيح . . .

ذلك أن ملوك الجبل امتازوا على أقرانهم من حكام الدويلات الأخرى فى جاوة وأندونيسيا بأنهم كانـوا مسالمين . . فى الداخل والخارج . . . فبينما قـامت الدويلات المجاورة بغزوات بحرية متكررة . . . على فتنـام وكمبوديـا وغيرهمـا . ونهبت وعاثت فسـادا واحتلت مـا احتلت من الأراضى . . لم يعرف عن ملوك الجبل شىء من هذا على الاطلاق .

فقـد حـرصـوا عـلى السـلام فى الخـارج وفى الداخل . . وبدوا أنهم ظهروا على مسرح التاريخ لا لغرض الا لتشييد معبد بوروبودور العظيم . . .

لقـد بـدءوا أعمـال بنـائـه حـوالى سنـة ٨٠٠ ميلادية . وقـامت بتلك الأعمال جمـوع كبيرة من



منظر عام لمعبد بوروبودور ، وتظهر فيه المصطبات الأربع العلوية الدائرية الشكل

الرغبة ولولا ذلك لما أمكن اكمال تلك الأعمال في تلك الفترة المحدودة من الزمن (٦٠ ـ ٧٠ سنة) والصرح الذى تمخضت عنه جهود تلك الجموع صرح عملاق بحجمه ، رائع بتماثيله ونقوشه ويعجب المرء أكثر ما يعجب لقيام تلك الجموع ببناء هذا المعبد طواعية ، وبدافع من أنفسهم ، أى أن أعمال السُّخرة لم يكن لها أى وجود فى تشييد معبد بوروبودور ولا ندرى ان كان ثمة معبد آخر فى أى بقعة من بقاع العالم تم بناؤه تبرعا ، وبدافع من المشاعر الدينية فحسب دون أى ضغط من الحكام ، ودون طمع فى أجرة أو مكافأة

المملكة الخيّرة والدين :

فالمشاعر الدينية التى عمرت قلوب حكام الجبل عمرت قلوب رعاياهم أيضا فكانت حياة البحبوحة والسعادة التى نعموا بها وكان المجتمع المّتحد والموحّد ، وكانت الجهود المواصلة وأعمال البناء المرهقة كل ذلك بدافع من المعتقدات والمشاعر الدينية

بيد أن النزعة الدينية فى جاوة اختلفت عما سواها ، فى أن ملوك الجبل لم يحكموا باعتبارهم آلهة أو الورثة الشرعيين للحكم الالهى وانما تبعا لرغبة

خلقهم وسمو مبادئهم أي أن الفضيلة - لا القوة هي التي بعثت على تأليههم من قبل رعاياهم ، فأسياد الجبل كانوا رهبانا - في نظر رعاياهم - قبل أن يصبحوا ملوكا وآلهة

الحياة اليومية والثروة :

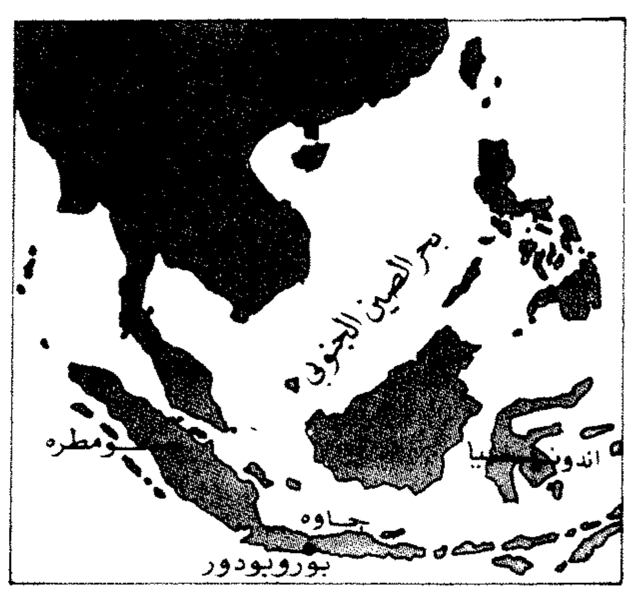
ولعل لثروات جاوه الطبيعية أثرا كبيرا في تلك الحياة الهانئة التي عاشها أهلها في ظل ملوك الجبل فقد أسبغ الذهب والفضة ، وترس السلحف العظيم ، والعاج ، وقرون وحيد القرن وهي التي أقبل على الافادة منها الرحالة باعتبارها مصدر حسيا

على أن غنى جاوه هذا لم يغير من واقع بنيتها في شيء . فقد كثرت فيها الغابات والأحراج ، وبالتالي الأخشاب ، فكانت منازل أهلها خشبية حتى كانت كبيرة كالحصون ولكنها بنيت من خشب - لا من حجر - باستثناء المعبد الكبير فهو الصرح الوحيد الذي بني من حجر وهو الأثر الوحيد الذي بقي ليحدثنا عن حضارة سادت ثم بادت

وكانت سطوح المنازل الخشبية من أغصان الشجر وأوراقه سعف النخيل خاصة ، ومن طريف ما يذكر هنا أنهم كانوا يخبطون طعامهم في السقوف وذلك بقصد وقايته من الفئران والحشرات ومعنى هذا أنهم أكثروا من استعمال السلالم الخشبية إذ لم يكن هم غنى عنها ، لا قبل بتناول الوجبات ولا بعدها هذا بالاضافة الى استعمالاتها الأخرى العديدة

وقد عرف أهل جاوه (قبل حوالي ١٠٠٠ عام أو يزيد) القراءة والكتابة وكان هم الملم بعلم الفلك والهندسة والبناء والفنون عامة والزخرفية خاصة إلا أن آثارهم المدونة بادت هي الأخرى ما خلا جدران معبد بوروبودور الحافلة بمختلف السجلات والمعلومات

وكان لشبكة جاوه أثرها في طرقها ووسائط نقلها فهي بيئة بركانية ، يبلغ عدد براكينها النشطة ١٠٠ أو يزيد أما الخامدة فحدث ولا حرج ، ولا يخفى أن مهمة انشاء الطرق في بيئة بركانية صخرية كهذه مهمة عسيرة للغاية ، لا عجب إذن أن كانت طرق



خريطة تبين موقع بوروبودور في جاوة

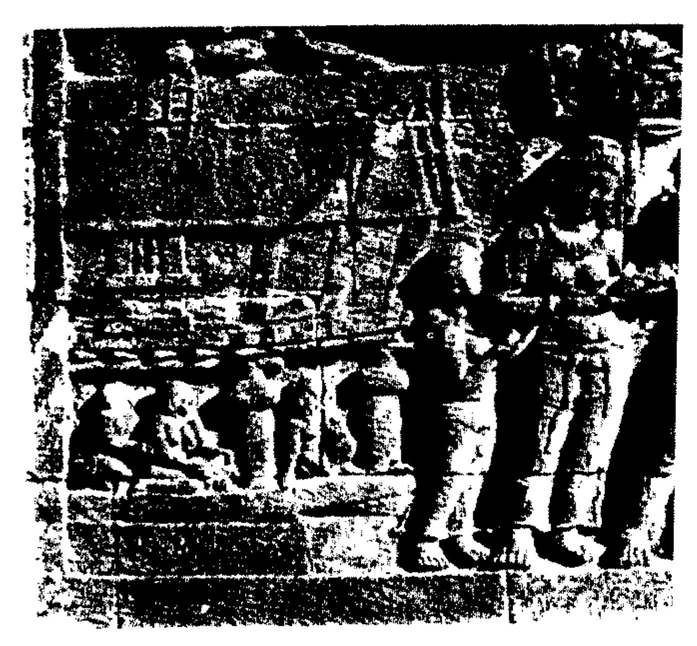
بدائية وكذلك وسائط النقل التي استعملت تلك الطرق

من تلك الوسائط العربات التي سارت على ٤ دواليب وجرتها الجواميس وكانت خاصة بالشحن شحن مواد البناء والمواد الغذائية في الغالب ، ويشهد السياح من أهل الصين الذين زاروا جاوه في تلك الأيام أن الحمولة التي حملتها تلك الطرق كانت كبيرة جدا وكفيلة بإتلاف تلك الطرق حتى لو كانت جيدة أصلا !

معبد بوروبودور (الصرح العظيم)

يقع في سهل كيدو في جنوب الجزيرة وأواسطها ولا يبعد أكثر من ٣٢ كيلو مترا عن جبل ميرابي ، البركان النشط الذي لا يقل ارتفاعه عن ٢٩١٢ مترا

وكتلة المعبد ضخمة ، وتبلغ ٥٦٦٤٠ مترا مكعبا من الحجارة وقد أقاموه على تل طبيعي سهل معه جعل المعبد كالهرم الذي يعلوه المصاطب ، والشكل مربع عند القاعدة ، يبلغ الضلع الواحد منه ١٢٣ مترا ، ويصعد عند منتصف كل ضلع درج يقطع في طريقه المصطبات الأفقية ، ويظل سالكا طريقه حتى يبلغ الذروة على ارتفاع ٣١ مترا



نقش اخر من نقوش المعبد الصامرة وهو يصور القرويين من أهل جاوة ، وهم يتقدمون من أحد الرهبان بهداياهم

ويحفل المعبد بالتماثيل ، ٤٤٠ تمثالا بالتحديد ، أكثرها لبودا وتحتشد جدرانه بالنقوش القليلة البروز وهي تشغل ما لايقل عن ٢٥٠٨ أمتار مربعة من تلك الجدران هذا الى جانب الألواح الحجرية ، أو إن شئت السجلات والكتب المقدسة ولا يقل عددها عن ١٨٠٠ لوح ، ويزدان البنيان بما يشبه الأجراس Stupas ويتوجه على القمة الجرس الأكبر (انظر الرسوم) على أن الصرح ليس بنيانا فحسب ، وإنما هو قصيدة ألفية أو ملحمة تذكر وتفصل المعتقدات البودية

والجدير بالذكر أن هذه المعتقدات أقرب الى الأخلاق وصقل النفوس والسعي الى الفضيلة منها الى الدين بمعناه الدقيق وهي تحث اتباعها على طلب التنور اسوة ببودا الذي لا يعني اسمه سوى المستنير والسعي الى التنور هذا يقوم على ٤ حقائق

الأولى ان الألم أو المرض قائم لا شك فيه والحقيقة الثانية هي ان لهذا المرض سببا وان في الامكان الشفاء منه وتلك هي الحقيقة الثالثة أما الحقيقة الرابعة فهي السبيل الى التنور وقوامه ثمانية مبادىء ، وهو كفيل بايصال المرء الى (النرفانا) حيث تبلغ النفس أقصى الطمأنينة ، والحالة المثالية التي تنشدها البودية

وما المصطبات التي تلف المعبد الا المراحل التي يجتازها البودي في طريقه الى التنور ثم النرفانا حيث يتجرد المرء عن جسده وتتحد نفسه ببودا ويبلغ عدد المصطبات عشرة الست الأولى تحضيرية أو اختيارية ، يثبت البودي باجتيازها في أهليته للتقدم والارتقاء فوقها والسير على صراط السبل الثماني المعالم حتى يصل الى مرحلة التنور وحسبنا تسمية هذه المعالم الثمانية ، فاسماؤها تدل على معانيها

* معرفة سوية ، * نطق سوي ، * أسباب لطلب الرزق سويه ، * تحكم بالعقل السوي ، * تفكير سوي ، * سلوك سوي ، * مجهود سوي ، * وتأمل سوي

أما المصطبات الست الأولى فذات شكل مربع وتمثل المراحل التي يمر فيها البودي ليتخطى جسمه وما فطر عليه من رغبات وغرائز

وأما المصطبات الأربع العلوية وشكلها دائري ، فتمثل مضيّ البودي في التجرد المتزايد عن المادة ، وانسحابه المتزايد أيضا في العالم المحسوس ، وخلاصه من اللذة والألم وباختصار فهي تمثل دخوله الروح بالتدريج ولا يبلغ البودي مرحلة التنور الا في المرحلة (أو المصطبة) السابعة ولا يتسنى له المزيد من طهر وتوطيد الا في المرحلتين (او المصطبتين) الثامنة والتاسعة وتأتي المصطبة العاشرة فوقها جميعاً فهي المصطبة الرئيسية التي تصمن للبودي الاتحاد مع فكرة الألوهية في سكونها الأبدي

ولعل من الواضح أن الطريق الى التنور ومن ثم النرفانا غير محدد المعالم في المذهب البودي على الأقل المذهب الحاويّ من البودية ، فالأمر متروك الى الأفراد ، ولكل فرد أن يشق طريقه بنفسه وباجتهاده من ثم كان مصير الفرد مسؤوليته وحده وكانت النرفانا حالة نفسية فردية كادت أن تكون اعتباطية

فهذا التعدد وهذه الحرية في المثل العليا الدينية ، هي التي أدت مع الأيام الى التحررية السياسية وانهيار حكم ملوك الجبل وهكذا بادت حضارتهم من بعد أن سادت ولم يبق من أثر لها سوى المعبد العظيم (بوروبودور) □

إسمعها

أكثر نقاءً مع توشيبا

صنع باليابان

TOSHIBA

RT SX85

RT SF75

BomBeat SX85

BomBeat SF75

P.M.P.O

RT SX55

RT SF55

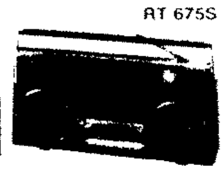
RT 675S

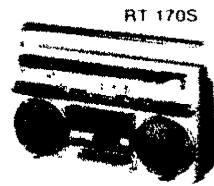
RT 170S

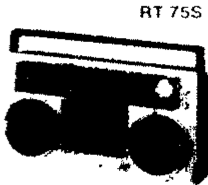
RT 75S











BomBeat SX55

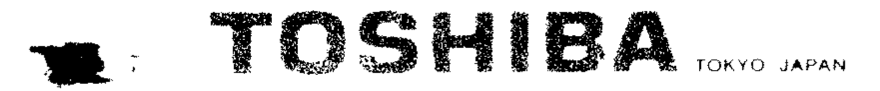
BomBeat SF55

BomBeat 675
AUTO REVERSE

BomBeat 170
AUTO REVERSE

BomBeat 75

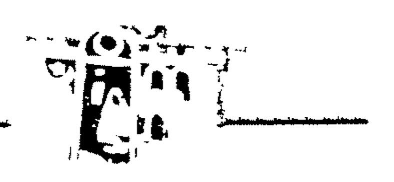
P.M.P.O



TOKYO JAPAN




مجلة الأسرة والمجتمع
الإجازة
فرصة
لاكتشاف
أطفالنا





الإجازة فرصة لاكتشاف أطفالنا

بقلم : زينب الكردى

« بدأت الاجازات وأطل الصيف برأسه ، وامتلأت بيوتنا بكل متاعب

الاجازات ومشاكلها . ماذا نفعل مع أبنائنا صغارا وكبارا ؟

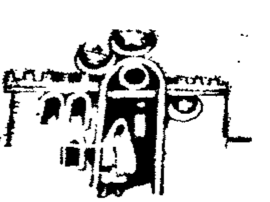
وكيف تتحول الاجازة الى حلقة من حلقات التربية والتوجيه والرعاية ؟

هذه محاولة للاسهام بتصور عن هذا الدور المهم

تعد الاحارة ـ بالسسة لمعظم الامهات ـ مطبا سنويا لابد منه ، مطب يأتى بالراحة الكاملة الى حد الملل أحيانا لكل فرد في الاسرة ، وبالارهاق والقلق والصداع بالسسة للأم ، فهى لاتكف طوال النهار وحزءا كبيرا من الليل عن الصراح في وحه هؤلاء « القردة » الصغار والصغار بدورهم معذورون ، ففي داحلهم طاقاتٌ تبحث لها عن مخرج ومتنفس ، فاذا ماعجزت عن ايجاده بسبب الأوامر والنواهى المستمرة ، أو الانعلاق طول الوقت داحل الغرف الاسمنتية ، كان لابد أن تعبر عن وجودها من آن لآخر بافعال متسببة براها نحن الكبار غير معقولة أو محتملة طبيعى جدا أن يتشاجر بعضهم مع بعض معظم الوقت وأن يقلبوا البيت رأسا على عقب وأن تعلو أصواتهم وأن وأن وأن

والسؤال هو ماهى الطريقة المثلى التى تتيح لهؤلاء

مكان خاص



ملحقة بالمنزل سيكون الأمر سهلا وممتعا لكل الأطراف ، فأنت لن تشعري بالخوف عليهم ، وهم سيتاح لهم اللعب في ظل مناخ صحي متجددا هواء ، بالاضافة الى امكانية ممارستهم العابا يصعب عليهم ممارستها داخل البيوت أو في الشارع ، ككرة القدم ، وبناء البيوت بالمكعبات الخشبية ، والاهتمام بنباتات الحديقة وأزهارها مما يجعلهم يلتصقون بالطبيعة ويحترمونها ، ويتيح لهم تنمية عضلاتهم الحركية التي تحتاج للنمو في هذه المرحلة

عزلة الكبار

أما البالغون حتى من الذكور فأمرهم سهل ، فهؤلاء يمكن التعرف على اتجاهاتهم ومساعدتهم على حل مشكلاتهم صحيح أن بعضهم يتقوقع على نفسه ، ويحاول أن يخفي عواطفه ، الا أن الأم الواعية التي عودت أولادها على أن تكون صديقة لهم قبل أن تكون أما ، يمكنها أن تسبر غور المراهق والمراهقة دون عناء كبير وقد تقولين مالعمل وأنا أجد صعوبة في اجبار ابني على ملازمة البيت ؟

وأقول لك ولماذا تلزمينه بهذا ؟ صحيح انك لاتعرفين نوعية صداقاته ، وصحيح أيضا انه كمراهق يحاول تأكيد ذاته ، يرد عليك اما بعنف او بالتواء لو حاولت منعه من صداقاته التي لاتعجبك ، لكنك كأم لايزال بيدك أن تفعلي الكثير ، المهم أن لاتثيري رغبته في التحدي ، لأن المراهق اذا نجح في تحديه مرة واحدة لن تردعه أي قوة أو نصيحة بعد ذلك ، وسيتمادى أكثر وأكثر لذا عليك أن تحاولي معه بنعومة

دعي والده يشركه معه في أعماله ، فاذا كان تاجرا قال له على انفراد وبصداقة مشوبة بالثقة ستشرف أنت على أعمالي ، وستساعدني ، فأنا أحتاجك انا واثق انك وحدك من أعتمد عليه في تسيير الأمور ، الشكل الذي يساهم في تطوير العمل ومن الممكن تشغليه بالتدريب على القيادة ، فإذا كان يجيدها كلفيه أن يؤدي لك بعض الأعمال بالنيابة عن أبيه ، و أن تشركيه في حل بعض مشاكلك البيتية البسيطة التي تعلمين سلفا انه يمكنه القيام بها ، لأنها في حدود تجاربه وامكانياته ، حتى لايشعر بالفشل والاحباط يمكن أيضا أن يطلب منه الوالد وضع الخطوط الأساسية لرحلة الى مكان ما ، على أن يستشير معه اخوته أن يقول له ان ظروف عمله لن تسمح له بأن يفعل ذلك ، وعليه أن يفعل بالنيابة عنه يمكن تشجيعه على القراءة بترك نوعية من الكتب ، تتناول موضوعات يحبها في طريقه ، أو اشراكه بأحد النوادي ليمارس رياضته المفضلة أو هوايته التي يحبها لو كان يحب العزف على الة معينة اشتريها له ، واذا كان يحب الرسم وفري له الألوان والفرش المهم أن توفري له كل الامكانيات التي يحتاجها ، ليقضي اجازة سعيدة ومفيدة في نفس الوقت

لكن ماالعمل اذا اكتشفت أن ابنك قد تورط فعلا في علاقات حميمة مع بعض أصدقاء السوء

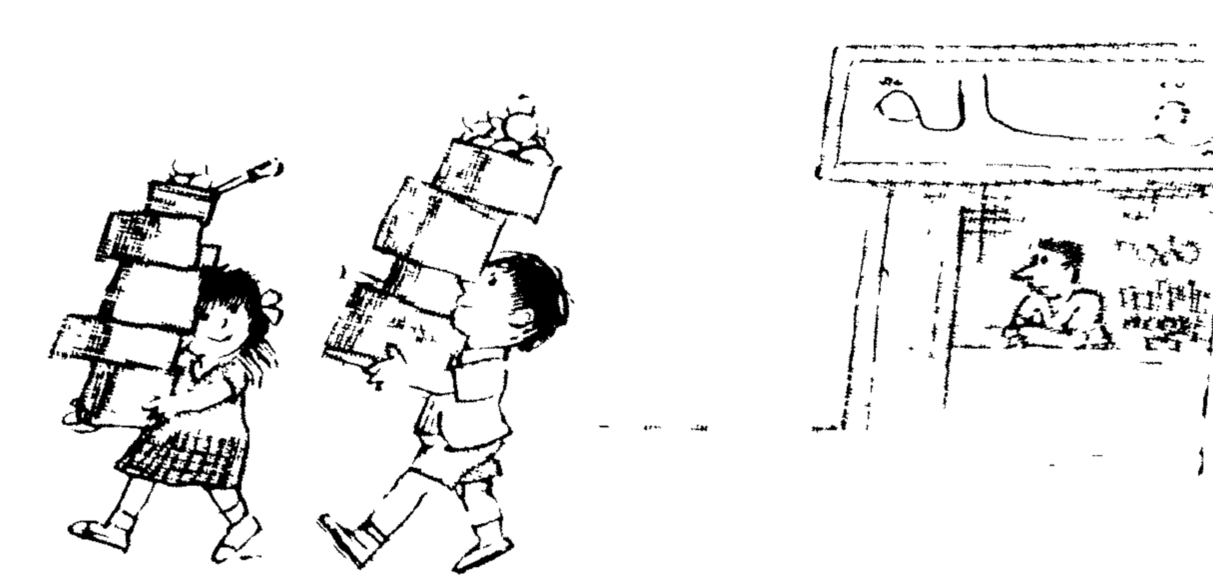
هنا انبهك الى خطأ يقع فيه معظم الاباء والأمهات ، وهو أسلوب المنع بالقوة ، العنف في حالته لن يفيد ، فهو ربما يكون قد جرب الغواية فعلا وذاق متعتها المضللة سيريد موقفكم السلطوي عناده ، وتمسكا بهم ، فنظرته للأمور تختلف عن نظرتكم ، والا ماكان قد تورط ان ثمة شيئا فيهم يبهره ويراهم أناسا مختلفين ، وقد يدرك بينه وبين نفسه أنهم على خطأ ، لكن شيئا خفيا داخله يجعله مبهورا بقدرتهم على التحدي السافر لكل القوانين والأعراف ، فإذا ماقسوت عليه ستسلمينه لهم لقمة سائغة

المفروض ـ بمجرد أن تكتشفي حقيقة علاقاته ـ أن تصارحي أباه ، وتضعا معا خطة موحدة تبعده عنهم دون أن يشعر ضعي مثلا في طريقه كتبا تتناول سير العظماء والخالدين ، مكتوبة بأسلوب شيق وبسيط تظاهري دائما أنك في حاجة لخدماته أثناء غيبة أبيه أعطيه الثقة ، ودعيه يدرك أنه يمثل بالنسبة اليكما دعامة حقيقية من دعامات الأسرة ، وانك تعتبرينه الرجل الثاني بعد أبيه تحدثي في وجوده مع أصدقائك عنه باعزاز اشغليه في أي مجال يحبه ويهواه ، المهم أن لايشعر أبدا أنك تخططين لابعاده عن رفاق السوء ، بل يسعى أن لاتثيري لهذا

الموصوع من قريب أو بعيد ، ولعل هؤلاء الدين كانوا يعطون أبناءهم الذكور الحق في الخروج والتصرف بحرية خارج البيت ، يدركون الان مدى خطورة هدا الاعتقاد ، خصوصا بعد ان انتشرت المخدرات بكل أنواعها ، وأصبحت سموم الاغراء والانحراف معروسة في كل مكان تترصد أبناءنا ومستقبلهم وصحتهم ، وتندر بالدمار ، لو غفونا عنهم لحظة .

البنات حنان وإسهام أكثر

بناتك أيضا من الممكن جدا أن يقمن بدور فعال في الاجارة دور يفيدهن كأمهات للمستقبل ، ويريحك أنت في نفس الوقت بعد عام دراسي كامل عانيت فيه كثيرا ، لذا أصبح من حقك أن تتمتعي أكثر منهن باجازة مريحة وسعيدة ، ورعي الاختصاصات عليهن ، حتى الذكور كلفيهم بعمل يتناسب مع أعمارهم وخبراتهم ، فابنك الصغير مثلا كلفيه بشراء مايحتاجه البيت من البقالة القريبة ،وابنتك الكبرى مكلفة باعداد الطعام ، على أن تكون شقيقتها التي تليها في العمر مساعدة لها ، وذلك لمدة اسبوع ، على أن يتبادلا المواقع الاسبوع الذي يليه ابنك أو ابنتك الصغيرة جدا قولي لها أنت مديرة النظافة للبيت ، وعليها أن تجمع طفايات السجاير والأكواب الفارغة لتضعها في الحوض وحتى ابنك البالغ يمكن اقناعه بالمساهمة في اعداد المائدة ، ليبرهن لأخواته البنات أنه لايقل عنهن ذوقا ومهارة يمكنك أيضا أن تشغليهم بالاعمال البسيطة التي تحتاج لدقة ووقت ، مثلا مجموعة الصور التي كومتها في صندوقك الخشبي ان الاوان لتكلفي واحدا منهم بترتيبها في (ألبوم) خاص ، من أجل صيانتها ، ولتدريب حاسته الجمالية والتشكيلية أوراق الأسرة الخاصة كايصالات الدفع وعقود التمليك وأقساط السيارة ، كلها أوراق في حاجه الى ترتيب وتنسيق وجمعها في (ارشيف) خاص بها وجهيهم في البدايه برفق ، ثم دعيهم يكملون العمل بأسلوبهم الخاص ، واذا كان أولادك من النوع الفوضوي ، خصوصا فيما يتعلق بخزانات الملابس ، يمكنك أن تشجعيهم على تنظيمها ، بقولك مثلا لنر أيكم أكثر قدرة على انجاز هذا العمل ، للدرجة التي تجعلني أقرر أن اترك له اختيار المكان الذي سنقضي فيه الاسبوع القادم ، بل ونخطط لها أيضا لكن قبل هذا يجب أن تكوني خزانتك أنت اولا منسقه ومنظمه ، فدون القدوة لن تجدي محاولاتك ابدا □





جلدك هو كنزك

بقلم الدكتور نبيل سليم

للجلد فصوله المتعاقبة كتعاقب فصول السنة . فقد يكون جافا أو دهنيا أو مزيجا بين هذا وذاك ، أو مفرطا في حساسيته .. لذا فإن جلدك سيطرأ عليه تبدل موسمي ، وهذا لن يحل عليك مرة واحدة ، وإنما سيحدث بصورة تدريجية

من الملاحظ أن معظم النساء لا ينتبهن إلى أن جلودهن جافة بهواء الصحراء ، وهذا الجفاف ناشئ عن نقص في المواد الدهنية ، وإما عن نقص في رطوبة سطح الجلد ، وهي الطبقة التي تتألف من حراشف دقيقة دائمة التساقط ، كذلك فإن الجلد مغطى بغشاء حمضي ، يشكل خط الدفاع الأول ضد الجراثيم التي تهاجم الجلد باستمرار

وعندما تقومين بغسل وجهك بالماء والصابون غسلا جيدا ، فإنك في الواقع تزيلين هذا الغشاء الواقي ، ويصبح جلدك بدون وسيلة دفاع لمدة ساعتين ، إلى أن تقوم الطبيعة بنشر غشاء جديد

ولكن مع أهمية الطبقات العليا من الجلد فإن العقدة تأتي من الطبقات الدنيا

وعندما تصلين في عمرك إلى منتصف العشرينات تأخذ الأوعية الدموية الشعرية في الانقباض ، وهذا يعني انقاص كمية المواد المغذية التي تحملها الدم إلى جلدك .. ووسائل الإسعاف في مثل هذه الحالة هي التعويض بوضع مواد الترطيب . ومن الحقائق أن عمل الأوعية الشعرية وعامل الرطوبة يقرران ميزان الجمال ، فإذا حدث نقص في الرطوبة جف الجلد وتراخى

ولكن .. متى يشيخ الجلد الشاب ؟

في الواقع إنه ليس هناك سن محددة يشيخ فيها الجلد مثل بقية أجزاء الجسم ، فهناك سيدات في الثلاثينات والستينات من العمر ، ومع ذلك فإن حالة الجلد عندهن حسنة ، دونما حاجة لاستخدام أنواع من العناية الطبيعية ، الأمر يعتمد أولا على طبيعة الجلد ، فالجلد الدهني الخشن الذي لا يشيخ بسبب نسبة من الدهون معرض لآفات أخرى ، ومثل هذا الجلد في حاجة إلى الكريمات منذ أيام الشباب ، أما الجلد العادي حتى ولو كان به الأوفى للمواد الدهنية فإنه يبدأ بالجفاف مع تقدم السن ، لا سيما إذا كان كثير التعرض للشمس

وخير ما يفيد الجلد الشاب هو الصابون والماء ساخنا وباردا ، وشيء من مواد التجميل والكريمات ، وعندما يبدأ جلدك في الجفاف عليك أن تقللي كمية الصابون ، وتستعملي الكريمات واللوسيونات ، أما بالنسبة للمناطق الشديدة الجفاف - أي تحت العينين وجانبي الوجه والعنق - عليك أن تستعملي الكريم الخفيف أو اللوسيون تحت مواد التجميل ، ولكن ذلك أثناء الليل ، أن الكريمات

والدهون لا تنقي الجلد تنقية بدون صابون، أما الماء فإنه يفعل ذلك.

والسيدة التي تكون ذات البشرة الدهنية مشكلة الجلد الجاف، فإن بوسعها الوصول إلى وسيلة لتنعيم جلدها باستخدام أي نوع من الكريمات.

وهكذا فإنها إذا ما بدأت تنظيف وجهها بغسل جلدها أولاً، فإن الكريم يحل محل عملية التجفيف الاعتيادية التي يسببها الصابون الذي يصلح لغسل الوجه، لأن الجلد الجاف أو العادي يستفيد من الصابون المحتوي على المواد الدهنية، وهناك نظرية تقول أن كثرة الاستحمام تجفف الجلد، وتفسير ذلك هو أننا نعيش في عصر أصبحت نظافة الأجسام فيه بصورة دائمة من الأمور العادية، ومعظمنا يغسل أو يستعمل الحمام يومياً، كذلك فمن الثابت أن هذا العصر معرض لتبدلات مستمرة في درجات الحرارة والرطوبة، لذا فإن كمية الأغشية المنظفة، وكثرة استعمال الصابون والهواء الساخن، تجفف الجلد، وأسهل وسيلة لاستعادة الدهون إلى الجلد هي دهنه بملعقة كبيرة من عسل النحل، ممزوجة بكأس من الحليب، ومخفوقة جيداً، ثم إضافة الماء العادي إلى هذا المزيج، ثم بعد الحمام تمسح بذلك جيداً.

طبقات الجلد

ليس الجلد مجرد غطاء للجسم، بل هو جهاز من أجهزة الجسم شأنه شأن أجهزته الأخرى، وله وظائف خاصة به، وهو مرتبط بهذه الأجهزة ارتباطاً وثيقاً.

ويتكون الجلد من طبقتين: البشرة، والأدمة، والزوائد الجلدية التي ترسو على الطبقة تحت الجلد، وهذه الأخيرة تقوم بتثبيت الجلد وتسمح له بالتحرك لدرجة كبيرة.

والزوائد الجلدية هي الغدد العرقية، والغدد الدهنية وبصيلات الشعر والأظافر.

والأدمة هي العامل المحدد لسماكة بعض المناطق من الجلد مثل جلد اليد وبطن القدم.

أما أرق جلد فهو جلد جفون العين، بينما يكون جلد الظهر والكتف [illegible] جداً [illegible]،

- استعمال مساحيق الجمال
يجب أن تكون بنظام وحذر

وعموماً تختلف ثخانة الجلد في المتوسط من نصف إلى ثلاثة ونصف ملليمتر حسب مناطق الجسم.

وتختلف البشرة عن الأدمة اختلافاً واضحاً فالبشرة هي الطبقة الخارجية السطحية، وتتكون في معظمها من الخلايا الظهارية Epithelia التي تتحول في سطحها إلى خلايا قرنية (Ceratin) وهو مادة النسيج القرني.

والبشرة هي في معظمها [illegible]، وهي الطبقة الخارجية، وتتكون من [illegible] صفائح، وفي بعض المناطق تتكون من خمس، مثل جلد اليد وبطن القدم. وتسمى خلاياها [illegible] الطبقة القاعدية النامية.

أشهر أمراض الجلد

في الصيف تكثر الأمراض الى حد كبير ، ولذلك يعتبر الصيف من مواسم الامراض الجلدية في البلاد العربية ، فكثرة إفراز العرق وزيادة حرارة الشمس وتجمع الناس أثناء العطلة الصيفية بالمصيف أو المعسكرات أو النوادي ، كل ذلك يدعو الى زيادة الأمراض الجلدية خلال الصيف

ومن الامراض السائدة في الصيف

الدمامل الصيفية او العرقية

تكثر الدمامل العرقية الصيفيه ، وخصوصا عند الأطفال ، وعند الضعاف من الكبار ، ومرضى البول السكرى والدرن يعرقون كثيرا . ويكثر حدوث الدمامل العرقيه ، في الرأس والوجه ، ولكنها قد تصيب أى مكان آخر من الجسم . وقد يكبر حجمها لدرجة أن تكون مؤلمة ، وتحدث تورما في المكان المصاب ،وتستلزم علاجها جراحيا . وقد تتطلب مضادات حيويه وفيتامين (ب) المركب .

حرق الشمس

يكثر حدوثه صيفا ، وخصوصا في الاماكن المكشوفة ، وأثناء التعرض للشمس . ويظهر بعد قليل من التعرض للشمس في الحالات الحادة أو بعد بضع ساعات في اليوم التالى في الحالات « غير الحادة » ويحمر الجلد . ويصاحب ذلك حرقان بالجلد أو حكه . وفي الحالات الشديدة تظهر حويصلات أو فقاقيع بها سائل رائق سرعان ما يسكب وينجمد في شكل قشور تجف بالتدريج وتسقط ، ثم « يتقشر » الجلد ويترك مكانه لونا غامقا . وانصح مثل هؤلاء المرضى بعدم التعرض المفاجيء للشمس ، وخاصة في اليوم الاول ، ويكون التعرض بعد ذلك بالتدريج ، ويمكن وضع دهانات على الجلد تقي من ضرر الأشعه فوق البنفسجية ، وقد تحتوى على الاكتيول أو الكينين أو الصارلين الأصفر أو مادة حامض « بارا اميو بنزويك » بنسبة من ١٠ الى ١٥٪ في كحول أو كريم ، وذلك قبل التعرض للشمس

العناية بالجلد الجاف

مساء . ينبغي للسيدة حتى لو كانت أكثر السيدات جفافا في الجلد أن تغسل وجهها ليلا ، بالصابون المحتوى على كمية وافرة من الشحوم والماء ، وأن تجففه بعد ذلك برفق بمنشفة بطيئة وينبغي أن تتم عمليه التجفيف بالتربيت لا بالمسح ، ويجب على الفور وضع مادة مرطبة خفيفة ، وبعد ذلك تضع السيدة شيئا من الكريمات الليليه حول العينين والعنق

صباحا . استعملي الكريم أو المستحضرات السائلة والمرطبات ، ولزيادة الفائدة ، ضعي كمية من الكريم حول العينين قبل وضع مواد التجميل

- حب الشباب ليس مرضا وانما هو عرض لمرض اضطرابات الغدد الدهنية



الجلد الدهني

هل تعرفين يا سيدتي أن كثيرا من النساء الراشدات فضلا عن الفتيات المراهقات يعانين من زيادة في المادة الدهنية في بشرتهن ؟

ان كثرة الدهون في الجلد تخلق بعض المشاكل الجلديه ، فهي تظهر الوجه حتى لو كان نظيفا ، تظهر كريه ، وكأنه مغطى بالدهون ، ولذا فهو في حاجه دائمه الى التنظيف والتجفيف ، فضلا عن أن الجلد الدهني كثير التعرض للاصابه بالبقع الصحيه ، واتساع المسامات وخشونه الملمس ، ولكن هنالك جوانب إيجابية في الأمر ، فإن الجلد الدهني إذا أحسنت العنايه به كان أقل قابليه للتجعد ، فهو يحتفظ بمظاهر الشباب والنعومه اكثر من احتفاظ الجلد الجاف بها ، ومع أن البشره الدهنيه تحتاج الى مزيد من التنظيف ، فإن الصابون القوي ذا القدره الكبيره على التجفيف يجعل مثل هذه البشره اسوأ تدريجيا ، ان للطبيعه أساليبها في التعويض فكلما زاد مقدار الدهن المزال عن طريق التنظيف ، ازداد عمل الغدد المفرزة للمادة الدهنيه لكي تعوض النقص ، ان النساء اللواتي يكثرن من الاستعمال المنظم للمواد القابضة للجلد مثل الكحول انما يرغمن جلدهن على ارهاق نفسه في العمل لانتاج المواد الدهنيه ، كما ان للشابات مشاكلهن الخاصه التي تنشأ عن البشره الدهنية

حب الشباب

ان نشاط الغدد والافرازات الدهنيه يصل الى ذروتها أثناء المراهقة ، ثم يتناقص هذا النشاط سنة فسنة وتقل الافرازات تدريجيا

والاشراف الصحيح انما ينحلي في النظافه الشديدة ، وأي تقصير في هذا يصيب الشباب والشابات بمشكلة حب الشباب

ان هناك أربعه اسس طبيه لحب الشباب ، وهي الحاله الجلدية المحاطة بالشائعات والخرافات هذه الأسس هي

١ ـ العامل الوراثي

٢ ـ الارهاق العاطفي حيث انه يزيد الحالة سوءا

٣ ـ الأغذيه فقد تزيد أو تنقص من حب الشباب

٤ ـ العنايه الطبيه الفوريه شيء مهم

وإياك إياك يا سيدتي أن تتولى أمر معالجه جلدك من امراضه بنفسك ، فإن الجهل بهذا الأمر قد تخلق عاهه دائمه ، استشيري طبيبا اخصائيا في الأمراض الجلديه فذلك خير لك ولجلدك

وهنا يبرز السؤال الكبير والمهم هل البثور التي يطلق عليها اسم حب الشباب ، هي حب الشباب فعلا ؟

نقول ان هنالك اضطرابات جلديه مختلفه ، ولكن مشكله الجلد العاديه هي ما يطلق عليها حب الشباب وهو تحدث بدرجات متفاوتة ، وأسهل طريقه لمعالجه هذا الأمر هي اتباع قواعد الصحه والنظافه ، أي الغسل بالصابون مع ماء دافيء ، والتنشيف بقطعه قماش نظيفه ، واستعمال صابون مخصوص على مواد مطهره مخففه قاتله للجراثيم ، ثم يغسل الوجه بهذا الصابون وبعد التنظيف بالماء الدافيء ، يغسل الوجه مره اخرى بالماء البارد ، لكي يكون ذلك عنصرا منشطا للجلد

وإذا كان الجلد مغطى ببثور ذات رؤوس سوداء ، فعليك ان تغطي المنطقه المصابه بمستحضر يحتوي على الكبريت « الريزورسين » ويكون ذا لون يشبه لون الجلد الطبيعي

حب الشباب . ليس مرضا

حب الشباب ليس مرضا وانما هو عرض ينشأ عن اضطرابات في عمل الغدد الدهنيه . ان هذه الغدد تفرز مواد دهنيه لتطريه الوجه والظهر ، فاذا انسدت فتحات هذه الغدد لسبب ، وتعذر وصول المادة الدهنيه الى الجلد ، تكونت سداده هي النقط السوداء التي تظهر على رؤوس البثور ، وتحدث مشكله ثانويه عندما تتكاثر الجراثيم في الغدد المسدوده فتحدث فيها الالتهابات ، وفي الأحوال الطبيعيه تنفتح السدادة تلقائيا ، وتقذف بالنفايات الى الخارج □

هو ....

أبناؤنا

لا أعرف ماذا أصاب زوجي على كبر ، فبدلا من أن تقدم العمر بنا يجعلنا أكثر تمسكا بالحياة ، وتطفو فوق سطح مشاعرنا نوازع الأنانية وحب الذات ، وتختفي الإثرة والتضحية

تزوجنا منذ اثنين وعشرين عاما ، وبعد تسعة أشهر وضعت أول أبنائي، بعدها ذهب زوجي واشترك في نظام تأمين وبدأ في سداد بوليصة تأمين على الحياة ، ومرت بنا الأيام ، وأصبح لابني الأكبر شقيقتان، زوجي يعمل ليل نهار من أجل أن نضمن مستقبلا أفضل لأبنائنا وأسعدنا الله وأعطانا ، ووفق أبناءنا في دراستهم ، والتحق الثلاثة بكلية الطب وصار جيراني في الحي ينادونني بأم الثلاثة أطباء ولم يقل لي أحد بقدر ما أدركت بفطرتي انه من الضروري ان نضع القرش على القرش وأن أدخر بقدر ما أستطيع ومهما بلغ بي الجهد فغدا سيحتاج أبنائي الى كل قرش استاذ على وشك الزواج والثالث يحتاج الى مظهر طبيب ، وحسمت المسألة في ذهني ليس منها بالنسبة لي ولأبيهم الا الطعام فقط لكي نبقى ، أما ، عدا ذلك فكله للأبناء ، قضيت أكثر من شتاء بفستان واحد وطوال الصيف أبدل في فستانين فقط وكثيرا ما اهتاج ألم عظامي . وتصبح مراجعة الطبيب ضرورة حتمية ولكني استعيض بالوصفات البلدية وبعض المسكنات ، وأوفر قيمة كشف الطبيب وأجر الدواء فليل أو كثير من الألم لا يهم المهم أن أوفر كي أضمن لأبنائي مستقبلا أفضل قليلا من مستقبلنا وتدور الخلافات بيني وبين زوجي أقول له: أوليس هؤلاء أبناءك كما هم أبنائي ؟ أوليس المفروض في الآباء أن يضحوا كثيرا من أجل أبنائهم ؟

انتهت مدة بوليصة التأمين ، وقبض زوجي قيمتها كاملة وفي جلسة عائلية ضمتنا جميعا ، طلب ابني الأكبر سيارة ، وطلبت الفتاتان بعض الملابس وقلت أنا فلنشتر لابننا سيارة وبعض الملابس للبنتين ، ثم نقسم المبلغ الباقي ونضعه في حساب توفير باسم الأبناء ، فإذا حان موعد زواجهم استطاعوا تأثيث بيت ، وثار زوجي واعترض وفي اليوم التالي فوجئت به عند عودته وقد اشترى لنفسه بعض البدل ولي كثيرا من الفساتين وبعض الحلي وانفجرت في وجهه ثائرة غاضبة ، من أنانيته وتمسكه بالدنيا ونسيانه لأبنائنا وعدم قدرته على التضحية والحب

هي



إفــــراط

● أسوأ ما يمكن أن يصيبنا في حياتنا ... الإفراط حتى يصل إلى التفريط . وأكثر ما نقع فيه ... نحس به أن يتحول إلى دينه ... تحب فتقتل صاحبها دون قصد ولا نية

زماننا هذا غير جميل ... ولا سهل ... زمان لم تعد قيم الأشياء فيه كما كانت ... ولا كما تعلمنا ونشأنا وكلما تقدمت الحياة وتطورت تغيرت فيها قيم الأشياء المادية أيضاً . فنقود الأمس غير نقود اليوم وعقارات السنين الماضية تعلو في عائدها كثيراً

وهذا فإني عندما أفكر في ماذا أترك لأبنائي ، أجد أنه لاشيء أفضل وأعظم من علم وأخلاق ... وهذا ما أفعله ، وما تنور من أجله روحي

التضحية ليست تعذيباً للنفس ... ولا عطاء مستمراً فياضاً بدون معنى ... وبدون حدود

أضحي من أجل تعليم أولادي ... نعم ... أضحي من أجل ترفيههم وإطعامهم . نعم ... حتى لو كان هذا على حساب نفسي أنا وزوجتي ... ولكن أن تكون لي صحح ... من أجل رفاهية أولادك ... صح من أجل أن يستمتع أبناؤك وتشقى نفسك ... فهذا نوع من السخافة

ليس مطلوباً أن أشتري لابني سيارة يذهب بها إلى الجامعة ... وأذهب أنا إلى عملي بوسائل المواصلات ... ليس عدلاً أن يستمتع هو بسيارة ويصحب فيها أصدقاءه وزملاءه وأنا لا أملك إلا بدلة واحدة للشتاء وقميصين للصيف ... وأمهم لا تذهب للطبيب من أجل ادخار ثمن الدواء . أي تضحية هذه ... وأي أبناء هؤلاء

في تصوري إذا كنت أريد هؤلاء الأبناء أن يصبحوا رجالاً ... ناضجين قادرين على الاعتماد على أنفسهم ... قادرين على رؤية الحياة والواقع والتعامل معها بفهم ووعي ... إذا كنت أريد لهم هذا ، فلا بد من الخشونة ، والاعتماد على أنفسهم . وقديماً قال الناس حكمة ... عندما ركب أحمد ولده ... نسي ... ولعبوا عقوق الابن عندما ... ولده أباه ... على قدميه ، ... الآتي عندما ... وتركنا الحمار ... هذه هي الحكمة الحقيقية ... أن تكون الأشياء خاضعة للنسبة ... وما تفعل تضحية الآن هو ... من الأشياء ... لا أرضى بحدود الأشياء ... علينا ألا نرضى بحدود الأشياء ، ... ثمن ... تماماً ... هو ... نفس

هـو





من الحياة

عندما "تصدمنا" السّعادة !

ماذا يصنع بنا الشعور المفاجىء بالسعادة ؟ هل يمكن ان تصبح السعادة « صدمة » ؟ وما أثر هذه الصدمة على نفوسنا وحياتنا ؟ ان صدمة السعادة هي المستحيل الذي تحقق . أو هي الأمنية التي نحلم بها ، ثم لانلبث أن نراها أمامنا !

في صباح ذلك اليوم ، حاولت الجدة العجوز أن تتذكر كم مضى عليها وهي راقدة في فراشها بلا حراك. كانت أشعة الشمس قد بدأت تتسلل الى غرفتها الصغيرة فتشيع فيها الدفء، والتفت عيناها فجأة بالكرسي المتحرك الذي جاءوا به اليها منذ ايام ، ورفضت أن تجلس عليه ! ولكنها ما لبثت أن قالت تحدث نفسها

« ولم لا . لماذا لا أجربه . لماذا لا أنتقل معه الى مكان آخر ، بعيدا عن هذا الفراش الذي أصبحت أعيش معه طوال هذه الشهور التي انقضت منذ أن نقلوني اليه ؟ »

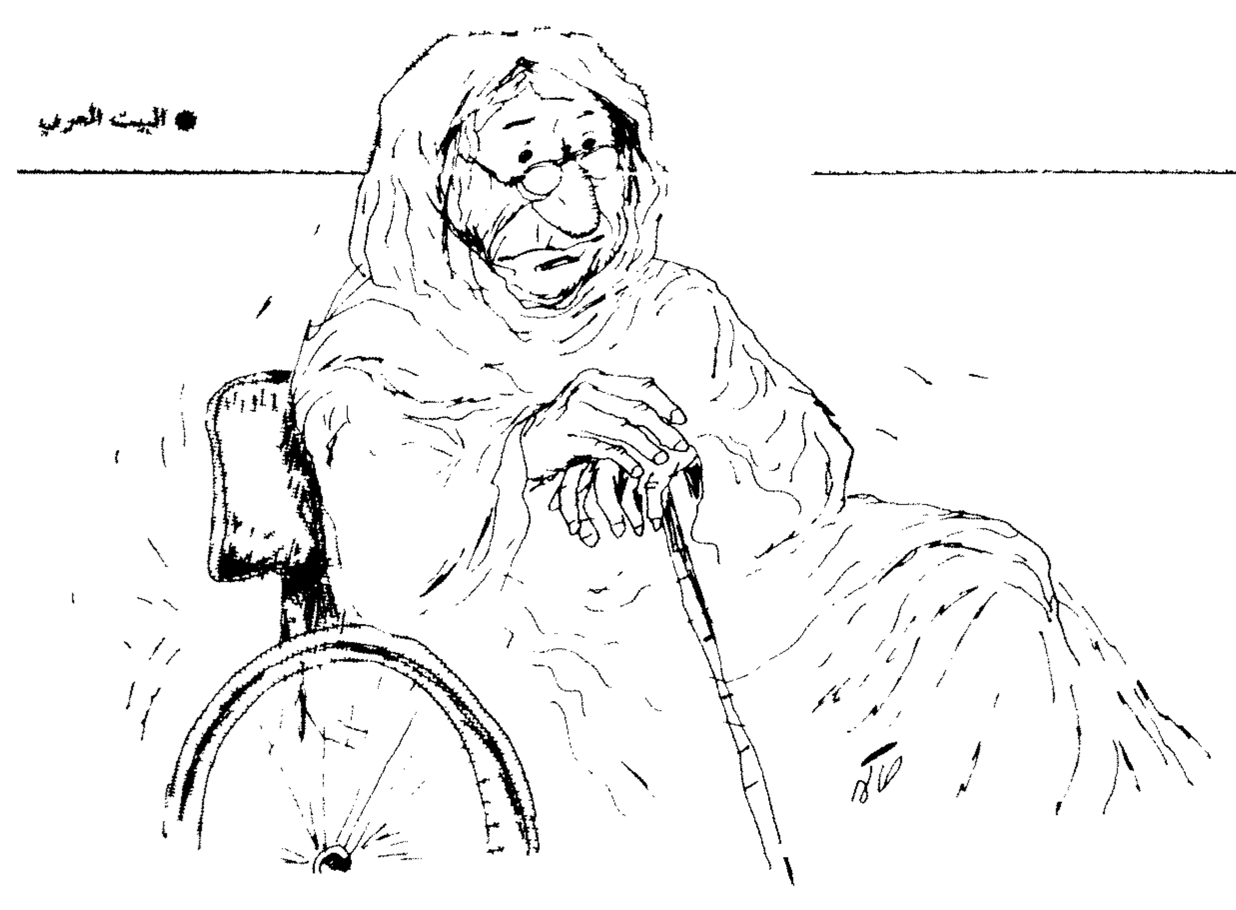
ومدت يدها تضغط على الجرس . وجاءت الممرضة مهرولة . وقالت السيدة العجوز التي تقدم بها العمر : « أرجوك ان تساعديني على الجلوس فوق هذا المقعد . إني أريد ان أقترب من النافذة . أريد أن ألقي نظرة على الشارع الذي حرمت من رؤيته منذ دخولي الى المستشفى . أريد أن أرى الناس ، وأستمتع بصور الحياة التي ابتعدت عني طويلا ! »

وحملوها الى المقعد ، فقد كانت ساقاها المشلولتان لا تقويان على حملها . وجلست ، وراحت تدفع عجلتي المقعد بكلتا يديها ، حتى اقتربت من النافذة التي طالما التفت عيناها بها من بعيد ، وراحت ترقب السماء وهي تصفو وتكفهر ، وتصحو مع شمسها وتنام مع ضوء القمر !

ولكنها لم تر الشارع الذي توقعت ان تراه ، عندما استطاعت لأول مرة ان تمد بصرها الذابل الى ماوراء هذا الحاجز الزجاجي . كانت هناك مفاجأة تنتظرها بعد هذه الرحلة القصيرة . فهي لم تر وجوها كما توقعت ، ولكنها رأت الطبيعة في أحلى صورها . الأشجار الباسقة ، والطيور التي كانت تغرد فرحة بقدوم هذا الصباح المشرق ، والزهور الجميلة التي امتلأت بها الحديقة الواسعة التي تحيط بالمستشفى من كل جوانبه

****

واحست برعشة تسري في جسمها . وانتابها شعور غريب ، وهي تعود الى هذه الصور الجميلة من



الحياة التي افترقت عنها منذ أكثر من أربعة أشهر عندما حملوها إلى المستشفى إثر إصابتها بشلل نصفي. ولم تشعر بشيء من حولها بعد هذا اللقاء المفاجئ. فقد وجدت نفسها تعود مع ذكرياتها إلى ذلك اليوم الذي كان بداية رحلتها مع المرض والألم. لقد رحل زوجها وشريك عمرها هكذا فجأة وبلا مقدمات. في المساء كانت الأسرة الصغيرة هي وزوجها وابنها وحفيدتها يتناولون طعام العشاء. وقال الجد: إني أشعر بتعب وأريد أن أذهب إلى فراشي. أراكم على خير في الصباح. واقتربوا منه يقبلونه وذهب لينام»

وكانت هذه هي آخر ليلة يرون فيها الرجل الذي أحبوه وأحبهم وأفنى عمره كله من أجل إسعادهم. ولم تحتمل الجدة الصدمة، فسقطت هي الأخرى مصابة بشلل نصفي.

مرت كل هذه الذكريات في رأسها بسرعة متلاحقة، وتمتمت في صوت خافت «لقد كان رجلا طيبا» قالتها وهي تمسح دمعة لم تشعر بها إلا وهي تجري على وجنتيها العجوزين.

ولكن فجأة تذكرت شيئا منها كاد يغيب عن ذهنها تماما في هذا الصباح فقط على الأقل. تذكرت حفيدتها العروس التي لم تمض على زواجها أكثر من عام واحد. إنها ترقد الآن في مستشفى قريب جدا من حيث ترقد هي، تنتظر الحدث السعيد الذي وعدت به جدتها. وهي تحتفل بزواجها من الشاب الذي رافقها وزاملها في رحلة دراستها الجامعية. يومها قالت لها «لا تقلقي يا جدتي. فقد قررنا - زوجي وأنا - أن نهديك حفيدا جديدا في أقرب وقت»

ووجدت الجدة نفسها تبتسم وهي تتذكر كلمات حفيدتها الصغيرة، وكأنها تسمع صوتها. وفجأة رأته قادما. إنه زوج الحفيدة الصغيرة. وكان يمشي في خطا سريعة. لابد أنه قادم إليّ. إنه يجيء في هذه المرة. إنها أول مرة يأتي فيها لزيارتها دون أن ترافقه ابنتي. ترى ماذا حدث؟»

ويصل الشاب أخيرا، ويزف إليها البشرى: «لقد رزقنا الله بطفل جميل يا جدتي. حفيدتك بخير. والصغير بخير. هل تعلمين أنه يشبهك تماما؟»



ومدت الجدة ذراعيها تحتضن بها الابن الشاب الذي جاء يحمل اليها اسعد نبأ سمعته في حياتها وقالت وهي تغالب دموعها: بني .. آه .. بني جئت به الى .. ابن ابني .. هل كانت الولادة طبيعية؟

- كل شيء على ما يرام .. وسوف ترين حفيدك الصغير .. وبنا .. سنحمله اليك بعد ان يسمح الطبيب لامه بمغادرة المستشفى!

:

وفي هذا اليوم لم تغادر الجدة العجوز مكانها وراء نافذة غرفتها .. وهي هذا حالها .. في كل صباح كانت تصحو مبكرة وتطلب الى الممرضة ان تساعدها على الجلوس فوق مقعدها، ثم لا تلبث ان تتجه به الى مكانها الذي تعودت ان ترقب منه الزهور والاشجار، وتستمع الى تغريد الطيور التي تصحب بنا .. فرحها بقدوم هذا الضيف الجديد الذي تعد الايام والساعات الباقية على لقائها به!

وجاء اليوم اخيرا .. واقبلت عليها الام الصغيرة وهي تحمل طفلها، وقد سار زوجها بجانبها ومن ورائهم ابنها وحفيدها

واستدارت بمقعدها، وراحت تنظر، واحست في تلك اللحظة ان قلبها العجوز يكاد يقفز من بين ضلوعها .. مع خطوات صغيرها الذي صار اليوم ابا له .. وعلى عتبة الباب، وقف الجميع وصاحت الام الصغيرة .. هذا هو حفيدك الجديد انه لم يشأ ان يذهب الى البيت قبل ان يلقاك يا جدتي

ومدت الجدة ذراعيها .. ولكنها فجأة وجدت نفسها تترك المقعد وتقف على ساقيها المشلولتين، وتمشي بضع خطوات الى الامام، وهي ما تزال فاتحة ذراعيها .. وتدفع المقعد الى الخلف لتحتضن الصغير .. واحست بشيء غريب يسري في جسدها .. ولكنها فجأة وجدت .. لقد مشت الجدة

فجأة في ساقيها المشلولتين، ولكن احدا منهم لم يتكلم .. لقد وقف الثلاثة ينظرون اليها في ذهول، وهي واقفة في مكانها مستقلة عن كل ما حولها تحتضن الصغير، اطول وقت ممكن هذا هو! وفي هدوء تسلل زوج الحفيدة الى الخارج، واسرع يدعو الطبيب الذي يشرف على علاج الجدة ارجوك تعال بسرعة .. لقد حدثت شيء مفاجئ .. لقد حدثت معجزة!

وجاء الطبيب واقترب في هدوء من الجدة، وقال: هل .. اسمح لي ان احمل هذا الطفل، انه ابن حفيدي! وقد بدت حملته عنها، وقال: ما زلت لا انا اجلس معا في غرفة قصيرة في الحديقة.

وسار الجميع .. لكنه بنا ان يكون في المقدمة، لقد كان يريد ان يتأكد من ثبات ساقيها في مشيها!

ولم يسألها احد شيئا، لكنها وصلنا الى نهاية الدهليز، ثم طلب اليهم ان يعودوا، لانه على موعد مهم مع احد زملائه .. وسأذهب .. وقال مخاطبا الجدة: .. رجوتك ان تعودي الى فراشك الآن

وعادت، كأنما تنقل ساقي شخص سليم .. وعادت الجدة لنفسها وضعف ورجاء، وطلبت اليهم ان يعيدوه اليها الطفل

وعندما قال الطبيب: انت امرأة سعيدة .. نستطيع ان تغادري المستشفى لقد شفيت تماما، ربما حاجتي مستمرا لبعض العلاج الآن. فانت بخير تماما، فقد كانت فرحتك بقدوم حفيدك الصغير، اقوى من كل علاج جربته لشلل الاعصاب حلال قدوم وحيدك بيت

ولم تصدق الجدة، لانها حتى هذه اللحظة لم تحس قد ادركت بعد انها تركت مقعدها، ووقفت على ساقيها، ومشت بهم حتى نهاية الدهليز ذهابا وعودة، ولكن عندما سمعت كلمات الطبيب، انحنت تحت الماء ساقيها وبين عن قدميها ثم نبتت ملامسها بالك الغرفة التي قضت فيها سنين .. صامتة، ولكنها قبل ان تقف احتضنت بين ذراعيها الصغير وصدره .. وهي التي عاشت معها حياتها والامها

طبيب الأسرة

قضايا منزلية

تسخين الطعام هل يضمن السّلامة ؟

لقد ترسخ في قناعة كثير من الناس أن تسمم الطعام يأتي من ثعبان عابر نفث بعضا من سمه في الطعام ، أو بالتعبير الدارج على لسان العامة أنه شم الطعام ، وقد يعمد بعض آخر الى شم الطعام لتقصي أية رائحة غريبة أو كريهة ، بل ربما استعان بحاسة التذوق لاستطلاع طعمه اذا ما طرأ عليه اختلاف أو تغيير

والواقع قد يفجع أمثال هؤلاء ، اذا ما علموا أن سم الأفاعي لا ضرر منه اطلاقا اذا ما دخل الجوف عبر الجهاز الهضمي ، شرط أن لايكون الجهاز الهضمي مصابا بجرح أو تهتك ، لأن سموم الأفاعي زلالية (بروتينية) التركيب ، لهذا فان عصارات المعدة والأمعاء تهضمها وتعطل طبيعتها السامة ، ولكن خطر سموم الأفاعي والثعابين تسربها الى مجرى الدم عبر جرح ما ، غالبا ما يكون مكان وخز أنياب الثعبان السام ، مما ينتهي بتحلل كرات الدم الحمراء ، أو ربما تخثر سائل الدم ، واحيانا يؤدي الى شلل يصيب الأعصاب ، وليس في هذا أدنى شبه بصورة التسمم الغذائي المفترى عليه ، والمتمثلة بمغص شديد ، واسهال حاد ، وقيء متواصل ، أو ربما غثيان على أقل تقدير

أما الغريق الذي يعتمد على حاستي الشم والتذوق لاستكشاف فساد الطعام ، فهو لايعلم أن الطعام الملوث ليس شرطا فيه أن تتغير رائحته ويختلف طعمه ، بل هو في غالب الأمر يبدو طبيعيا جدا ، لا رائحة ولا طعم ولا لون غريب فيه

ن أغلب الناس قد يعمد الى تسخين الطعام من باب الحيطة والحذر ، وهم على قناعة تامة بأن حرارة التسخين كفيلة بالقضاء على كل الملوثات التي تفسد الطعام ، وتؤدي الى مشكلة التسمم الغذائي

والحقيقة أن التسمم الغذائي بمعناه الطبي الشامل هو تلوث الطعام بأية مادة غريبة ضارة ، سواء كانت كيميائية أو حيوية ، غير أن الاتفاق الدارج يقصر هذا الاصطلاح على التلوث الميكروبي فقط ، حيث أن التسمم الكيماوي نادر الحدوث في يومنا هذا ، ويدخل في دائرة اختصاص الطب الشرعي ، حيث انه لايصير الا بفعل فاعل ، يضع السموم في الطعام

عن سابق قصد وعن سوء نية ، وهو ما ينضوي تحت بند الجريمة

أما التسمم الغذائي الدارج فهو التلوث الميكروبي ، وهذا يتم على ثلاثة أشكال

أولها : المكورات

وثانيها : العصيات

وثالثها : الميكروبات اللاهوائية المعروفة باسم البوتيولزم

في يومنا هذا يبدو ان التسمم بالشكل الثالث (البوتيولزم) نادر الحدوث ، لأن نسبة تلوث الأطعمة الجاهزة والمعلبات بميكروبات لاهوائية خطرة ، تسبب الشلل والموت العاجل ، وهذا امر لم يعد له وجود ، بفضل الصناعة الحديثة التي تشترط فيها أن تجري تحت مظلة من النظافة والاشراف الطبي الدقيق

والشكل الثاني هو تسمم يحدث بسبب تلوث الطعام بميكروبات عصيات السالمونيلا التي تتكاثر في الطعام ، بفضل عوامل الدفء والرطوبة والظلام ، ولكن طهو الطعام او تسخينه كفيل بقتل هذه الميكروبات ، أما الشكل الاخطر هو الذي تسببه ميكروبات المكورات العنقودية او المسبحية ، نسبة الى طريقة تشكلها على هيئة العنقود او المسبحة ، فهذه ميكروبات دقيقة تفرز سمومها في الطعام ، بينما هي تتوالد وتتكاثر ، فاذا ما جرى تسخين الطعام تموت هذه الميكروبات ، ولكن سمومها الفعالة لا تتأثر بالحرارة ، لأنها مواد كيماوية لا حية

ومن هنا تبقى الخطورة كامنة بالرغم من تسخين الطعام ومظهره العادي الذي يوحي بسلامته ظاهريا ، فاذا بالضحية يعاني من أعراض التسمم الحادة (اسهال ومغص وقيء) خلال ساعات معدودات من تناول الطعام ، حيث لا ينفع معها علاج ، ولكن لأعراض تختفي بعد قليل مثلما بدأت فجأة ، دون أن تترك أثرا سوى الاجهاد والانهاك ، اذا لم يكن التسمم شديدا يؤدي الى وفاة الضحية المسكينة ، وبخاصة عند الأطفال وكبار السن

قد تختلط الصورة كثيرا مع صورة الكوليرا المرضية ، ولكن الطبيب الخبير تمكنه التمييز ، بعد الفحص الدقيق والتحليل المخبري . ومن الجدير بالذكر ان ميكروبات المكورات العنقودية مصدرها تلوث الطعام من يد الطباخ المهمل للنظافة ، الذي لا يتورع عن العبث في انفه او شعره ، او المهمل لعلاج جرح او بثرة ملتهبة في يده

كما تعمل الحشرات والقوارض في هذه المأساة دور الناقل الآلي ، حيث تتردد مثل هذه المخلوقات بين دورات المياه وروث الحيوانات ، وبين الاطعمة المكشوفة . والوقاية تتلخص في الحرص على نظافة القائمين على الطعام ، وسلامتهم من الجروح والقروح والبثور ، بالاضافة الى القضاء على الحشرات والقوارض . كما لا ننسى التأكيد على ضرورة تغطية الاطعمة وحفظها في الثلاجات ، حيث البرودة والأمان □

بريد طبيب الأسرة

القولون المتوتر

● أعاني من الام حادة مبهمة تصيبني وتداهمني فجأة بين حين وآخر ، وتتركز في جانبي البطن مع معاناة من الغازات والانتفاخ

لقد استعملت في علاج حالتي أكثر من دواء دون فائدة تذكر سوى الراحة المؤقتة.وقد قيل لي أن سببها القولون فما هي قصة مرض القولون هذا ياترى ؟

ف س / الكويت



- ربما كان هذا المرض أكثر أمراض الجهاز الهضمي شيوعا (٥٠ - ٦٠٪) شأنه في ذلك شأن نزلات البرد بين أمراض الصدر ، وقد يطلق عليه أسماء شتى في اللغة العربية منها : القولون العصبي أو القولون الحساس ، وكانوا فيما مضى يظنونه التهابا أو عدوى مزمنة الى أن اتفقت الاراء واستقرت على رأي يقول بانه رد فعل عصبي كامن في جدار القولون.

ان الجهاز الهضمي الذي يقدر طوله فيما بين ٩ - ١٠ أمتار ينتهي عادة بالامعاء ، والامعاء بعد المعده جزؤها الاكبر هو الأمعاء الدقيقة التي تتولى عمليه هضم الطعام وامتصاصه ، وهي بطول ٧ - ٨ أمتار ، ثم تنتهي في الجانب الأيمن من أسفل البطن بمايسمى الأعور ، وهذا يعمل كحلقة وصل بين نهاية الأمعاء الدقيقة وبداية الأمعاء الغليظة او مايعرف بالقولون. والقولون أربعة أجزاء تجري حول تجويف البطن : أولها القولون الصاعد الذي يبدأ من الأعور ويتجه الى أعلى داخل تجويف البطن من جهته اليمنى ، حتى يصل الى اسفل الكبد ، يتجه مستعرضا تحت عضلة الحجاب الحاجز في اتجاه اليسار ، لهذا سمى بالقولون المستعرض ، وعند حدود تجويف البطن الايسر يهبط الى أسفل ، وقد اتخذ اسما جديدا هو القولون الهابط ، حتى يصل الى تجويف الحوض ، حيث ينتهي بالجزء الأخير والرابع وهو قولون الحوض ، بعد ان يكون قد قطع مابين المتر والمتر والنصف طولا.

لقد وجدوا ارتباطا عصبيا في جدار القولون ، يتأثر بالانفعالات والضغوط النفسيه ، مما يؤثر على توتر العضلات الصغيره في جدار القولون الذي لامهمة له سوى الاحتفاظ بفضلات الطعام ، وامتصاص الماء منها ودفعها في اتجاه الشرج. هناك رأي بحساسية زائدة جدار القولون ، بما فيه من أعصاب وعضلات ، لهذا فالاتفاق أن تركيب القولون عند المصاب سليم كل السلامه وانما الخلل كله في أداء وظيفته.

من هنا كانت المعاناة غير واضحة المعالم لدى مجموع المرضى حيث نجد الأكثرية تعاني من شعور بالانتفاخ والانقباض والالام الغامضة وعدم انتظام اخراج الفضلات ، وربما عاني بعضهم من الاسهال ، بينما عاني الاخرون من الامساك ، ومن الملاحظ ان الأعراض تشتد وتزداد مع حالات التوتر النفسي والانفعالات العصبية ، لهذا يتجه الأطباء الى معالجة السبب الرئيسي للمشكلة ، بالاضافة الى مهدئات ومسكنات الالام والانقباض.

ردود سريعة :

*** السيد يوسف - البحرين**

- لم نفهم ماهية البقع السوداء في العين ، هل هي داخلية أم خارجية ، لهذا نعتذر عن الاجابة.

*** السيد م ص - القاهرة**

- النحافة لها أكثر من سبب ، ربما أهمها عدم كفاية الأكل والاجهاد والنشاط الزائد عن الحد ، كما أن العوامل النفسية قد تؤدى الى النحافة وعلاجها هو ازالة السبب.

*** السيد ح أ أ حلب - سوريا**

- ربما كنت تعاني من أحلام اليقظة ، فهذه ليست أعراض مرض الفصام ، وهذا أمر مألوف في الشباب المراهق.

*** السيد سامر السباعي - حمص - سوريا**

- ان مشكلتك سوف تنتهي مع انقضاء مرحلة المراهقة ، فلا تضخم معاناتك فتصبح مشكلة نفسية. ان طبيب الأمراض الجلدية لديه حلول لمشكلتك ، فاذا ترك حب الشباب أثرا فجراح التجميل كفيل بالأمر ، والعروق النافرة ربما كانت مصاحبة للنحافة فقط.

مساحة وُدّ

صَاحبُ الألف وَجْه !

محمود عبد الوهاب



بقلم : محمد خليفة التونسي

التقويم والتقييم

جاءتنا رسالة من الأستاذ ... معاذي ... (العادلة / سيناء / الجزائر) رسالة فيها عدة أسئلة

(١) التقويم والتقييم أيهما الصحيح؟

٢) لماذا التقويم ... ؟ ... بعضها؟

٣) (أل) متى تكون للتعريف ومتى تكون اسماً موصولاً؟

٤) هل يجوز أن تكون ... إلا في حالتين ما هما؟

ونبدأ بالإجابة عن السؤال الأول ... وكانت صلة ... وكان أحد ذلك من ... أحدهم ... اللغة العربية هنا يصرون على خطأ التقييم بحجة أنه لم يرد في نص قديم ولا في المعاجم وأنها مخالفة للقياس ... ببعض أساتذة الجامعة هنا يصوبون الكلمة اعتماداً على مادة (١) نشرتها في العربي / العدد ١٧٥ في يونيه / حزيران سنة ١٩٧٣ . وانتهيت فيها إلى تصويب المجمع اللغوي في القاهرة للكلمة وإلى صحتها في ... وقد ذهب إليها ... كلمات جديدة بنسبتها أو نسبتها على القاعدة ... مثل ... إلى حال ... والأصل ... لتسمى ... والأصل ... (أي أحدثه حديثاً (حديث))

وحصيلة ما قلناه في تلك المادة ... ثابتة بعد حرف ... فإذا جمعنا ... من كلمة ... كلمات ... ولا ... وهذه قاعدة ... مطردة، ولا يستثنى منها إلا أن تكون ... الواو في الكلمة ... فإن الواو ... مثل ...

نقول: قام يقوم قوماً، وعاد يعود عوداً، ... للقاعدة الصرفية السابقة ... قيمة وعادة ونجمعها على قيم وعادات والقاعدة العامة المطردة في الاشتقاق من هذه الألفاظ ونحوها أن نعود إلى أصل الحرف في الثلاثي، فإذا اشتققنا من قيمة عدنا إلى الأصل (قوم) ... إلى الواو ... التي.

ولكن نلاحظ أن بعض العرب أهملوا ... الحرف في ... الثلاثي، ...

value worth price

Axiology

EVALUATION

(٢١٢)

شعر

هكذا غنى الآباء

حربٌ أم سَلام؟

« للأستاذ عباس محمود العقاد »

لأديبنا الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد (١٨٨٩ ـ ١٩٦٤ م) أكثر من مئة كتاب في الأدب ، والنقد والفلسفة والأديان والاجتماع ، وقضايا المرأة ، ومن بين تواليفه عشرات في التراجم Biographies لأنبياء وأدباء وشعراء وعلماء وقادة وساسة من الشرق والغرب ، وأشهر هذه التراجم عبقرياته ، ونحوها

وقد زادت شهرته بالكتابة على شهرته بالشعر حتى كادت تخفيها ، مع أنه يكاد يكون صاحب أكبر ديوان بين شعرائنا المحدثين ، استوعب في قصائده ومقطوعاته كثيرا من الموضوعات التي نظم فيها شعراؤنا قبل ،والتي لم ينظموا وديوانه عشرة أجزاء ، أسماؤها كما يأتي يقظة الصباح ، وهج الظهيرة ، أشباح الأصيل ، أشجان الليل ، وحي الأربعين ، هدية الكروان ، عابر سبيل ، أعاصير مغرب ، بعد الأعاصير ، ما بعد البعد ، طبع أولها سنة ١٩١٦ ، أما آخرها فقد طبع بعد وفاته (١٢/٣/١٩٦٤م) ، وكان قد استخرج منها سنة ١٩٥٨ مجموعة سماها « ديوان من دواوين » وقد طبعت الأجزاء كلها أخيرا طبعتين في مجلدين

وقصيدة « حرب أم سلام » من الجزء الرابع الذي يشمل ما نظمه بين سنتي ١٩٢٣ وسنة ١٩٢٨ ، ومن يقرأ هذا الجزء ثم يقرأ قصته الوحيدة « سارة » المطبوعة سنة ١٩٣٧ ، يجد أن تجربة الحب هنا هي هناك ، قد عبر عنها هنا شعرا وهناك نثرا ، إذ كان يحب يومئذ أديبتنا الكبيرة الآنسة « مي » ، ثم غلبه حب « سارة » ، وبينما كان حبه للآنسة مي يمضي بينهما رُخاءً ويستمر حتى فتر دون أن ينقطع بينهما الود ، كان حبه لسارة عاصفا عنيفا لاهبا حتى كاد يتلفه ، وقد انتهى بالقطيعة حين شك ثم جزم بعدم وفائها له وحده ، وفي القصة « سارة » بعض التفصيلات لتطورات هذه العلاقة وأحداثها وأزماتها من البدء حتى الختام

والقصيدة هنا يعني أديبنا بها سارة في أخريات علاقته بها ، نشرها في الذكرى السابعة والتسعين لميلاده ، إذ كان ميلاده في أسوان / مصر سنة ١٨٨٩ م

ألــقــاءٌ أم لات حـيـن لـقـاء … وسـلامٌ أم تـلك حـربُ عـداء ؟
وفـراقٌ تحـدد الـعـنـتُ فـيـه … يـوم نحـلو عـلى مـهـاد الصـفاء ؟
أم فـراق عـلى الحـيـاة طـويـل … كـفـراق الـردى بـغـير انـتـهـاء ؟
أنـا ـ مـا بـين هـاتـف وبـشـير … داهـنَ الـسـمـع إثـر كـل دعـاء
هـاتـفٌ في الـضـمـير أن لـيـس هـذا … آخـر الـعـهـد ، فـاعـتـصـم بـالـرجـاء
وبـشـيرٌ بـأنهـا غـصـنـة الـعـيـشـ … ـر ، وعُـقـبـى مـودة الأصـفـيـاء
لـست غـامـا مـن الحـيـاة نـتـصـى … لأرى في غـد سـعـيـد الـصـفـاء
وأرى الخـير ، لا يـطـول انـتـظـاري … وأرى الـشـرّ ، لا يـطـولُ عـنـائـي
لا لـعـمـري ، بـل يـكـذب الخـيرُ والـ … ـشـرّ ، ونـعـفـو مـعـالمُ الأسـمـاء[1]
ويـقـول الـزمـان قـولا ، فـإني … مـرسـلٌ قـولـه مـع الأصـداء
أنـت لي أنـدر الـزمـان بـشـير … أم مـعـنـى هـاتـفـا مـع الـسـراء
أنـت لي اضـمـرت بـيـاتـك حـسـنـا … أم طـوت سـرّهـا عـلى الـغـطـاء[2]
إن لي فـيـك يـا بُـنـيـة حـقـا … فـوق حـق الهـوى وحـق الـدمـاء
مـرجـت في قـرارة الحـب نـفـسـ … ـانا ، وسـبـطـت[2] ايـامـنـا في وعـاء[3]
وتـراءيـت لي بـقـلـب ولـبٍّ … مـن وراء الحـيـاء والـكـبـريـاء
مـن مـن الـنـاس قـد تـذوّق مـنـك الـ … عيش صـفـوا ، والعيش جـم الشـقـاء ؟
مـن مـن الـنـاس قـد تـوسـم فـيـك الـ … حسـن نـورا ، والحـسـنُ مـن ظـلـمـاء ؟
مـن مـن الـنـاس قـد أحـبـك حـبـيـ … ـك ، ومـن مـنـهـم ادراك ادراكي ؟
مـن مـن الـنـاس قـد رأى خـير مـا فـيـ … ـك ، واحـصـى مـا فـيـك مـن أدواء ؟[4]
مـن جـمـال ومـن ذكـاء ومـن عـذ … ر ومـن صـدق شـيـمـة وريـاء
هـذه أنـت ، لا تـرائـين لي وحـ … ـدي ـ جـمـيـعـا ـ لا تـظـهـرين لـراء
يـعـرف الـعـارفـون مـنـك لمـامـا … بـعـض مـا قـد عـرفت مـن سـيـمـيـاء[5]
فـلـهـم مـنـك صـورةٌ وأحـاد … يـث ، ولي مـنـك لـبُّ ذاك الـطـلاء
هـذه انـت ، لا فـؤادك جـاف … عـن عـيـاني ، ولا ودادك نـاء
ان يـطـلْ بـيـنـنـا الـنـوى فـالـتـلاقـي … مـن نـدائـي تـوقـع الاصـغـاء
ولـنـا في صـحـيـفـة الـدهـر غـيـبٌ … سـيـعـيـد انـتـهـاءنـا لابـتـداء

---

(١) تعفو الأسماء : تذهب علامات الأحجار

(٢) بياتك بتخفيف [illegible] هنا ، كالبيات بتشديدها

(٣) ساط : خلط

(٤) معنى الأبيات / ليس أحد عرف خير ما فيك وشر ما فيك كما عرفت أنا

(٥) لماما . قليلا ـ السيمياء والسيماء والسيمة العلامة

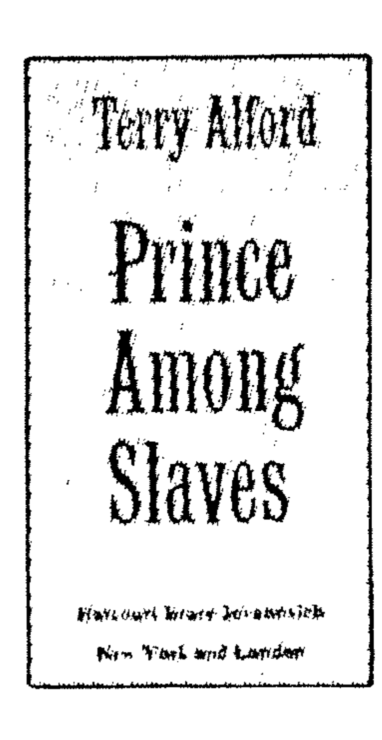
شعر : راسم المدهون

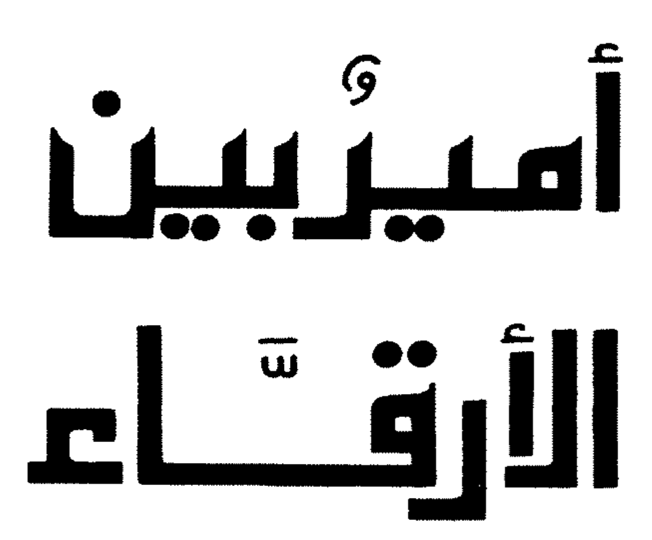
(١)
نردّ إلى النار آنية الزهر . .
بعض حطام المراكب للبحر . .
أحزاننا للمغنى الضرير . .
ترابا يفر من القبضتين . .
شذا الحلم يركض . .
بعض القصائد ممهورة بالدماء .
وثلج البكاء . .
نردّ المواسم للحربِ
قتلى انتصاراتنا للمساء .
انكساراتنا للصباح .
نرد الأسى للصديق المخاتل .
نزف الأكف المدمّاة . . . .
وهم الفجاءات . . . .
دهشتنا فى الصباح . .
نرد التفاصيل للمبتدى ،
ونبارك أول أحجارنا فى المدائن
ثم نلم القصائد من آخر الليل ،
ينطفىء اللحن فى رعشة العازفين ،
أيها الواقفون على جمرة النار . .
ردوا الى النار آنية الزهر
ردوا الحجارة للصِّبية الميتين .

(٢)
فى الصباح أغنى لها
كى يذوب عن القمح ثلج المساء .
فى المساء أزيح البكاء .
آخر الليل أبقى وحيدا
أسامر ثلجا
يصيرِ مع الفجر قمحا وماءْ

(٣)
بيننا شوكة الآخرين . .
حزننا والجدار .
بيننا أن نمدَّ الأصابع . . كى توقف الوقت
ـ تأكله النار ـ
ثم نردّ الحريق . .
عن اكف غفت فى الأمل
فانتهت فى العذاب

(٤)
بيتنا من زجاج
والكلام حجر
افتحى باب صمت المساء
ليمرَّ المطرْ .





تأليف : تيري ألفورد

عرض وتلخيص : عثمان أحمد حسن

بينما كان مؤلف الكتاب تيري ألفورد يقلب أوراق مكتبة الكونغرس ، عثر على رسالة من وزير خارجية أمريكا في أوائل القرن الماضي ، بشأن تحرير عبد يدعى عبدالرحمن ابراهيما ، وبعد سبعة أعوام من البحث والتنقيب ، أصدر كتابه هذا عن حياة الأمير المسلم الذي وجد نفسه على ظهر سفينة رقيق ، مغادرة الى أمريكا ، وظل يكافح الغربة هناك ، حتى عاد بعد ٤٠ عاما ، ليموت فوق ثرى افريقيا

كتاب الشهر

فولني، قبيلة من قبائل غرب افريقيا المسلمة التي تعتمد على رعي الأبقار، عرف أهلها بالشجاعة والجسارة، وقيل انهم في الزمان الماضي استولوا على فوتوجالون وهي جزء من جمهورية غينيا اليوم، وكانت للقبيلة امارة، وهم سلطان تلك الديار قبيل الغزو الأوروبي. والفولني، قوم طوال، وفيهم وسامة وجمال، يرتدون الجلابيب الفضفاضة، والعمائم الضخمة، ويطلقون شعورهم، ويضفرونها في جدائل، وكان ابراهيم سوري ماودو، أمير القبيلة وزعيمها، وكان له أبناء كثيرون وبنات كثيرات - لم يحفل التاريخ الا بواحد منهم اسمه عبدالرحمن، فقد شاءت له الأقدار حياة غريبة وتجربة فريدة، فقد ولد الأمير عبدالرحمن هذا في عام ١٧٦٢م، كان واحدا من أكثر من ثلاثين ولدا من صلب هذا الرجل

نشأوا مع القبيلة وفي كنفه، ليتعلموا مع أصدقائهم ما يتعلمون من رعي وصيد وأعمال فروسية، الى جانب حفظ القرآن وتجويده، عرف الخيول، وركب أجودها، واصطاد الغزلان والوحوش الكاسرة، وتعلم ضروب الفروسية وأنواع القتال من حاشية أبيه وقادة جيشه، وحفظ القرآن، وتمكن من علوم الحديث، ولكنه تاق الى الاستزادة، فأمثاله من الأمراء لابد أن يتهيأوا لمسئوليات الحكم بتحصيل العلم وتجويده، وتوسيع التجارب وتعميقها، وما كان أبوه ليبخل او يضن عليه بشيء، فكان ان يمم شطر تمبكتو، قلعة العلم ومنارته في غرب افريقيا، وقضى خمسة أعوام كاملة، ينهل من معين الفكر الاسلامي الذي لاينضب، ويستزيد من الثقافة العربية التي لاتغيض، ودرس عبدالرحمن الجغرافيا وعلم الفلك، وزاد من معرفته بالحساب والرياضيات، وتبحر في علوم الدين وفي الشريعة، ونهل من أمهات الكتب، والتقى بضروب وأنواع من العلماء الأفذاذ، والطلاب الذين يفدون لمدينة العلم من كل صوب. ومن كل فج عميق، وعاد الشاب الى بلاط أبيه يعاونه فيما يوكل اليه. ويواصل تعلمه وتدريبه في تدبير شئون القبيلة أو المملكة

لقاء مع الأبيض

ومن أروع تجارب الشباب التي ظلت عالقة بذاكرته حتى أيام عمره الأخيرة، هي تجربة أول لقاء له مع الانسان الأبيض. وكان في التاسعة عشر من عمره، وفي جمع من رفاقه يجوبون غابة من الغابات عثروا على رجل أبيض مسجى على الأرض، يوشك ان يفارق الحياة، فعملوا على انقاذه، وحملوه الى بلاط أبيه حيث أكرم وفادته، واتضح ان الرجل كان جراحا في سفينة انجليزية، جاءت في رحلة استكشاف لشواطئ غرب افريقيا، وكان أن ضل الطبيب طريقه، وما استطاع ان يعود لسفينته حتى أنجده شباب الفولني، وأقام دكتور كوكس ضيفا على القبيلة زمانا ليس بالقصير، وعاد لأهله حاملا هدايا من الذهب وغيره من النفائس، مع تمنيات ودعوات رجال أفاضل ملئت صدورهم بمحبة الانسان، وان اختلفت سحنته وتباينت عقيدته، ولم يعلم الدكتور كوكس ولا الأمير عبدالرحمن ان الأقدار تخبئ لهما لقاء دراميا آخر، وأنهما سيلتقيان في يوم ما في مكان ما من هذا العالم الفسيح

كانت الحروب القبلية تفتك بأهل غرب افريقيا والقارة كلها، وزادت تجارة الرقيق من شرور تلك الحروب والفتن، فانتشر النخاسون البيض، وبعد أعوام سبعة من لقاء الأمير بالدكتور كوكس، يتكرر اللقاء بين الأمير الافريقي والرجل الأبيض، ولكنه لقاء يختلف عن سابقه الذي حمل معاني المروءة والنبل والخلق الكريم، فلقد وقع الأمير عبدالرحمن أسيرا في معركة من المعارك، وحاول افتداء نفسه بالثمن

المسلمين الأفارقة الذين قادتهم الأقدار الى ذلك المصير القاتم المظلم

نهاية المطاف

وانتهى المطاف بالأمير عبدالرحمن بن ابراهيما في (ناتشز) بولاية مسيسبي ، حيث اشتراه مزارع أبيض تملك ألف فدان من الأرض السوداء في تلك البقعة البعيدة البعيدة جدا عن سهول غرب افريقيا التي ألفها ذلك الأمير . وكان توماس فوستر ، المالك الجديد ، مزارعا شابا قليل التعليم محدود الثقافة وبالرغم من قيود العبودية المهينة ، وسلاسل الاذلال التي أوثقت أطراف الأمير ، فان نفسه العزيزة لم تذل ، وكرامته لم تهن ، فبمجرد لقائه بالسيد الجديد ، ورغم جهله بالانجليزية ، قام الأمير بتعريف توماس فوستر بنفسه وشخصه في رباطة جأش ، وتماسك يسنده اليقين ، ومضى الشاب المعتد بأصله وقبيلته ودينه وحضارته يحدثه عن كرم والده الملك ، الذي بلا شك سيغمر الرجل الأبيض بسبائك الذهب ان أعاد اليه ابنه.كان المشهد مثيرا نحو ، مدهشا جدا فلقد انبهر المزارع الأبيض بذلك العملاق الأسود المفكر المباهي ، ولكن ماله والفدية والذهب الموعود ؟ ان ما يهمه أولا وأخيرا هو مصالحه الشخصية والسريعة ، المتعلقة بأرضه وحيواناته . فلا غرابة أن رفض طلب الأمير ، بل مضى في اتخاذ الاجراءات العاجلة للاستفادة منه فزوده بسروال طويل ، وقرر حلق شعر رأسه ، ولكنه أبدى بعض المساومة ، فأبقى للفتى الأفريقي بعض المظاهر الملكية ، اذا ظل يناديه بالأمير كما سمح له بممارسة شعائر دينه الاسلامي

وكانت حلاقة الشعر أول تجربة مريرة تقابل الأمير الأمير في موطنه الجديد ، فلقد رفض (عبدالرحمن) قص شعر رأسه فالشعر عنوان الرجولة في تقاليد قبيلته ، ورمز المركز المتميز الممتاز عند العشيرة ، لقد كان اعتقاد الأمير أنه سيصبح كالطفل ان هو أزال شعره ، فصارع وقاوم بعنف هذه المحاولة ، مما اضطر المالك الى شد وثاقه الى شجرة ضخمة ، ليتمكن من قص شعره ، وكانت هذه بداية الاذلال وكسر النفس



الامير عبدالرحمن ابراهيما
في صورة له عام ١٨٢٨

العالي ، وأبى أسروه الا بيعه لتجار الرقيق المحليين الذين قايضوه للتجار البيض ، بطير بارود وتبغ وسيد ، وحاول ثانية العتق ، ولكن النحاسين أبوا فكان أن وجد نفسه في سفينة ضخمة ، تعبر فوق بحر الظلمات ، وما كان الأمير يعرف اليأس أو القنوط ، ولا يقبل الضيم ، فحاول ابتياع حريته ثانية ولن تكون هذه الأخيرة من محاولاته

عبرت سفينة الرقيق الضخمة المكتظة الكثيبة الأطلنطي ، تحمل فيمن تحمل ذلك الأمير الأفريقي مصفدا في الاغلال ، موثقا بالحبال ولم تقلل الأغلال من هيبة وجلال ذلك المحارب المقتدر ، ذي الستة والعشرين ربيعا فانتصب الأمير عبدالرحمن كالنخل طويل القامة ، جليل الصورة ، مرفوع الرأس ، تزينه جدائل الشعر الطويلة جلالا ومهابة ، وما حلت السفينة بأرض الدنيا الجديدة ، حتى أصبح ذلك الافريقي المسلم الملكي المولد عبدا رقيقا مسترقا ، وهكذا انضم الأمير الى عالم الأرقاء في الدنيا الجديدة ، ولا أظنه أول الأمراء الذين استرقوا ، ولا أول المسلمين الذين استعبدوا ، ولا آخرهم ايضا ، وكان واحدا من آلاف الأمراء والسادة

كتاب الشهر

وضاقت نفس عبدالرحمن بتلك الحياة ، وبلغ الأمر بالأمير مداه فتسلل في ليل بهيم من سريره ، وانطلق هائماً فى ارض مجهوله وبلاد غير مأهوله ، لاتعرف مكانا يلتجىء اليه ، ولا صديقا يحتمى به ، وهام الأسابيع بين غابات المسيسبي ومستنقعاته وحيدا متوحدا ، لايصحبه مخلوق ، ولا يلازمه شىء سوى خوفه من المجهول ، ونفوره من واقع العبوديه ودها ، الى جانب ذكرياته عن زوجه الشابه ، وطفله الرضيع ، وعشيرته الخسورة المقدامه

المحارب المهزوم

وفكر عبدالرحمن وقدر ، ثم عاد ذات يوم للمزرعه بعد أسابيع ، وقرع الباب ، وكانت السيدة ساره فوستر جالسة بمفردها تخيط شيئا ، فابتسمت ، ثم اقتربت منه لتصافحه ، فانبطح العملاق أرضا فى اعتدال وثبات ، ثم أمسك باحدى قدميها بيده ورفعها ووضعها بنفسه على عنقه ، كان ذلك مسلك محارب مهزوم ، وتصرف مقاتل مقهور ، ولكن دونما انكسار ، والمشهد رهيب ومهيب ، فهو لايصور لحظة عابرة ، وانما تلاقى حضارات ، فلقد أدركت السيدة بفطرتها السليمة أن الأمير قد عنى بذلك المسلك الفريد المتميز والغريب - أيضا - أشياء كثيرة ، ربما عاقه حاجز اللغة عن الافصاح والتعبير عنها ، لقد كان واضحا أن الأمير قد وضع حياته رهن تلك الأسرة ، فان شاءت أرهقت روحه أو عفت عنه ، ولقد اختاروا الأخيرة ، فلم يعاقب الأمير على فعلته تلك ، ومنذ ذلك اليوم أصبح الأمير خادما مخلصا أمينا يتمتع بالثقه والمحبة - على حد قول أحدهم

انغمس عبد الرحمن فى اعمال المزرعة اليومية ، يساعد فى زراعة التبغ والأرز والقطن ، وهو عمل تقوم به النساء فى وطنه ، ويرعى البقر والخيول والخنزير ، ويبيع انتاج المزرعه فى الأسواق ، ولكن التكيف مع العبودية كان عمليه شاقه وقاسية ، لقد احتاج عبد الرحمن -بكبريائه ونبله- لأعوام ليتأقلم على اسلوب الحياة الجديدة بعد صدمة انتزاعه من اهله وعشيرته ، وقدومه الى أرض ظل فيها غريب الوجه واليد واللسان ، حتى بعد أن أقام فيها أربعين عاما

زوجة وأبناء

ولكن الحياة تمضي وتدور ، وتمضى الأعوام على الأمير فى تلك المزرعة الشاسعه الموحشة ، اذ لا أنيس له ولا جليس ، ولا زوجة يسكن اليها ، بل ان طيف زوجه الشابه يؤرقه ويقلقه ، وذكرى ابنه الذى تركه وقد اكمل عامه الثانى يفطر قلبه وتوجعه ، ولا يجد عونا للمكابره ، سوى ايمانه القوى ، وما بقى فى ذاكرته من ايات بينات تحمل اليقين الى قلبه والسكينه الى نفسه ، فبعد مضى ست سنوات على وصول عبد الرحمن للمزرعه تجىء ، (أريلا) التى اشتراها السيد (فوستر) بأطفالها ليزيد من العمالة وربما تلد له عبدا اخر ، وأنس اليها الأمير ، وحسب أنها ستخفف من وحشته ، وتبعد أطياف الذكريات التعيسة التى تغشاه ، فتزوجها ، ولم يكن هذا الحدث أمرا عاديا عند عبد الرحمن ، بل لقد صار بداية لحياة شاقه وذكريات أليمة ، فقد تكون زوجه الأولى تزوجت باخر ، وربما لا يستطيع ولده البكر تذكره ان لقيه بعد غيابه الأعوام الطويله هذه ، ولكم كان يتوق ليوم جامع ، ويخاله على صهوة جواد أبيض ، تلك وغيرها من الافكار ما زالت تروره فتزيد من أوجاعه ومن وحشته وعذابه واثمر زواجه الثانى عن طفل اخر ، ولقد أدى القدوم المبكر لهذا الطفل الى انغماس أعمق للأمير فى عالمه الجديد الغريب ، وعلى الرغم من قسوة الحياة على الأمير وظلمها له ، الا أنه أحسن الاستفادة من كل الظروف ، فلقد كبرت أسرته ، وأصبح له خمسة من الأولاد وأربع بنات ، وازدادت مسؤلياته فى المزرعه رويدا رويدا ، ثم

سمح له بزراعة الخضراوات وتسويقها لحسابه الخاص ، فصار له دخل خاص ومستقل

في السوق المكتظ

ولكن بعض الأحداث العارضة والمؤلمة ما فتئت تذكره بين الفينة والأخرى بحياته الماضية ، فذات مرة تعرف عليه في السوق أحد رعاياه السابقين ، فلم يتمالك الرجل نفسه ، وصاح مذهولا « عبد الرحمن » ثم خر بوجهه ساجدا على الأرض ، وارتمى على الأمير

لقد أثار ماضيه المتميز هذا اهتمام الكثيرين من البيض الذين سعوا لصداقته ، وعملوا لرد حريته إليه ، ولعبت الأقدار والمصادفات دورا بارزا في إثارة الاهتمام بالأمير ، فلقد مرت تجربة بالأمير كأنها من الخرافة وهي صدق ، ولقد نالت ما تستحق من نشر وإعلان ، ففي عام ١٨٠٧ كان عبد الرحمن يبيع شيئا من منتوجات زراعته الخاصة في السوق ، فلمح رجلا أبيض على صهوة جواد ، كان الرجل أعور ، فاقترب منه الأمير حاملا سلته ، وحاول كل منهما في الآخر ، ثم بدأ الفارس في استجواب العبد الزنجي ، وسأله أقادم أنت من افريقيا ؟ فأجاب بالإيجاب ثم سأله أليس اسمك عبد الرحمن ؟ قال نعم ثم سأل الرجل الأبيض أتعرفني ؟ قال بلى ، أعرفك جيدا أنت دكتور كوكس ، وكان مشهدا مثيرا في ذلك السوق الممتلىء بالزنوج والعبيد الأرقاء وأسيادهم البيض ، فبعد ربع قرن من الزمان ، وعلى بعد ستة آلاف ميل من موطنه ومكان لقائه الأول بالطبيب الجراح ، يعود الدكتور كوكس - تائها - إلى حياته ، وتمحص الصدفة ، وفي هذا السوق المكتظ

كان لقاء مؤثرا مفعما بالعواطف الانسانية ، وإن لم يخل - أيضا - من مظاهر سخرية الاقدار التي تدعو للضحك ، وعلى الفور بدأ الدكتور كوكس مساعيه لشراء حرية عبد الرحمن ليعيده لأهله ودويه ، ولكن جهوده قوبلت برفض حازم من السيد فوستر ، فلقد أضحى عبدالرحمن خادمه الذي لايقدر بثمن ، اذ أصبح النموذج الأخلاقي الذي يسعى أن يحتذيه الأرقاء لإخلاصه في العمل ، وانضباطه ، وحسن مسلكه ، وخابت مساعي الطبيب في استرداد حريته ،

الأمير المشرق . ولكنها زادت من قصته تشويقا واستثارة فضاعفت الاهتمام بالأمير ، وتزايد عدد من أصدقاء دعوته عقب عودته لوطنه ، وتوسعت دائرة أصدقائه من البيض الأمريكيين ، ووجد السبيل إلى لقائهم والتحدث معهم ومحادثتهم ومحاورتهم .

الأمير طليقا

وكان بين أصدقاء الأمير البيض ناشر لصحيفة تصدر في (ناتشيز) وكان قد أبدى اهتماما خاصا بالأمير ، وساهم في إثارة الاهتمام بقضيته ونشرها وفي عام ١٨٢٦ أغرى ذلك الصحفي الأمير بأن يكتب خطابا لأهله ، ومع أن معرفته السابقة بالكتابة ، فقد طال عهده بها ، وقلت ممارسته لها ، وانحصر مرانه عليها في كثير من أسس الكتابة بالعصا على التراب ، فكان عليه أن يتعلم ، ولكنه عكف على نفسه ، وجمع قدراته كلها ، مركزا على تذكر شيء يكتبه حتى كانت له سطور من القرآن الكريم ، فرسمها رسما على صفحة من الورق وكان ذلك كل ما استطاع تذكره من الكتابة بعد أربعين عاما من الغربة الجغرافية والحضارية والوجدانية ، وأرسلت تلك الرسالة مع خطاب مرفق إلى أحد أعضاء الكونجرس ، ويبدو أن الخطاب المرفق كان مضطربا وغير دقيق ، إذ إنه وصف الأمير بأنه ينتمي إلى الأسرة المالكة في المغرب ، وانتهى الخطاب عند القنصل الأمريكي في (طنجة) الذي قام بدوره بتسليمها للعاهل المغربي الذي أخذته الغيرة على ذلك المسلم ، أيا كان أصله وفصله ، واحتسب ذلك على نفسه ، وأسند القضية إلى واشنطن ، حيث عرض الموضوع على وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية السيد (كلاي) الذي تقدم بدوره بتوصية لرئيس الجمهورية بضرورة شراء العبد وإرساله إلى وطنه ، ووافق السيد آدمز ، رئيس الجمهورية على ذلك ، وما كان ليستجيب لولا تعاظم مراكز الضغط الاتحادي ، والحملة الصحفية التي شنها أصدقاء الأمير البيض ، الذين توجهوا بالالتماس الذي رفعه صديقه الصحفي ، اندرو ماسوك والمحامي [illegible] إلى السيد كلاي وزير الخارجية ، ولقد تواكب التماس عتقه هذا مع مطلب العاهل المراكشي



كتاب الشهر

وإزاء كل هذا اضطر السيد فوستر للموافقة على عتق عبدالرحمن وترحيله الى المغرب ، بشرط ألا يكلفه هذا العتق شيئا ، والا يستمتع الأمير بنسيم الحرية في الولايات المتحدة ، واكتفى السيد فوستر ، بتوقيع وثائق العتق ، ولاشيء سوى ذلك ، ولا حتى الكتابة عن الموضوع لرئيس الجمهورية ، وتعهدت الحكومة بتحمل تكاليف ترحيل الامير على السفينة ، بينما تولت (جمعية الاستيطان الامريكي) ـ وهي منظمة أهلية كانت تسعى لارجاع الزنوج إلى إفريقيا (ليبيريا) ـ تكلفة الاجراءات الأخرى

وبعد أربعين عاما من الاسترقاق ، وفي عام ١٨٢٨ على وجه التحديد ، أصبح (عبدالرحمن بن ابراهيما) حرا طليقا ، وفي اللحظات الأخيرة لرحيل الامير من المزرعة ، استجاب السيد فوستر لالحاح الكثيرين وضغوطهم ، وذلك بأن تغادر زوجته (ازابيلا) معه ، وكان مشهدا حزينا مؤلما ، لحظة افتراق الاسرة . فقد وقف الأبناء والبنات والأحفاد والحفيدات ينظرون في أسى لوالديهما يغادران المدينة ، وقد لايعودان لها ، وقد لا يرونهما ثانية !

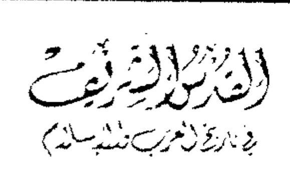
وفي التاسع من فبراير ١٨٢٩ ـ وعلى ظهر السفينة هاربت ـ غادر (ابراهيما) وزوجته متجهين ، الى افريقيا ، تاركين أطفالهم وأحفادهم من بعدهم ، آملين في أن يلحق بهم بعضهم على أقل تقدير وبالفعل ذهب بعض الأبناء والأحفاد بعد عام الى افريقيا ، ولكن لم يجتمع شمل الأسرة ثانية .. لم تتحقق أمنيتها في العودة للوطن الأم

الأقدار والأمطار

وكان وصول (الامير) الى (مونروفيا) محطما لاماله وآمال زوجه الطوال العراض ، فقد كانت خيبة أملهما عظيمة ، إذ استولى احد رفقاء الدرب من الأرقاء المعتوقين على المنزل الذي أعدته منظمة الاستيطان الأمريكية ليقيم فيه (الأمير) ، وكان نصيبه « راكوبة » من البامبو فقط لتقيه من المطر المنهمر ومن الشمس المحرقة ، فقد جاء المهاجرون من برد قارس بأمريكا الشمالية الى ربيع افريقي منعش ، ثم بدأوا يتساقطون موتى من جراء حمى معدية قوية لاشك أن قد عدتها التقلبات ومكنها الارهاق ، الى جانب وسائل الاعاشة السيئة على ظهر السفينة ، وكان منظر الجنائز المتكرر هو نزهة المتشاهد في تلك البقاع ! فقد ظلت الحمى تفتك بالعائدين وتصطادهم صباح مساء . وأملى الامير خطابا لصديق له في امريكا قال : « أتوسل اليك ألا تأتي لافريقيا قط ، فعليك ان تبقى حيث أنت ، اذ أن المكان لايصلح مطلقا لأمثالك من الرجال »

ولاشك أن تلك الكلمات مؤلمة وجارحة لرجل عاش اربعين عاما يأمل ويتوق للعودة الى هذه البقعة ، ولقد خفف من حزن عبدالرحمن وربما خيبة أمله ، أنه كان يعتزم التوجه الى (فوتاجالون) ـ موطنه الاول ـ بعد انتهاء فصل الأمطار ، أملا في أن يثير اهتمام أهله وقبيلته بتنشيط التجارة بينهم وبين امريكا ، وما كان حلمه بعيدا ، فقد كانت (فوتوجالون) على بعد مسيرة خمسة عشر يوما فقط ، اذ هي على مدى ثلاثمائة ميل فقط من (مونروفيا) ، ولكن الأقدار والأمطار ، كانت للأمير بالمرصاد ، فقد تملكه الحمى ، وأخذته الى دار البقاء ، قبل أن ينعم بدفء الأهل والعشيرة ، وقبل أن يسعد بالاستمتاع الى ترتيل كتاب الله من أفواه الحفظة من أبناء جلدته . وكانت وفاته بعد حوالي خمسة أشهر من وصوله الى القارة الأم ، فقد مات في السادس من يوليو ١٨٢٩ . وأبى سوء الحظ الا أن يلاحقه حتى بعد وفاته ، فقد ظلت قصته نسيا منسيا حتى قبيل أعوام قليلة ، حيث توفر لها باحث من شباب أمريكا ، منقبا ودارسا وجامعا ، حتى اكتملت له الصورة ، وتبينت له القصة ، وأعاد بناءها لتروي حكاية أمير مسلم جنى عليه الدهر ، وظلمته الأيام ، وتآمر عليه التاريخ أيضا . وما أكثر أمثاله ممن عمرهم طوفان سير الأقوام من الرجال . □

من المكتبة العربية



.. في تاريخ العرب والإسلام

تأليف د . عبداللطيف الطيباوي
عرض وتحليل : محمود بيومي

نشر ـ هذا الكتاب ـ باللغة الانجليزية ، بمعرفة المركز الاسلامي بلندن ثم نشرته مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت بنفس اللغة . وأعادت نشره باللغة الفرنسية ، وقام مكتب جامعة الدول العربية في روما بترجمته ونشره باللغة الايطالية .

والعرض التالي يقدم تاريخ المدينة المقدسة منذ القدم وحتى عام ١٩١٧

يقع الكتاب في ١٢٦ صفحة من الحجم المتوسط . ويتضمن ثلاثة عشر فصلا . وأضاف المؤلف بحثا جديدا لم تتضمنه الطبعات السابقة للكتاب ، سواء التي صدرت باللغة العربية ، أو التي ترجمت أو نشرت بلغات أجنبية . ويشتمل البحث على ستة فصول .

• تحدث المؤلف عن تاريخ القدس فقال : جاء في نصوص هيروغليفية وجدت في مصر . ان « يروشالم » كانت خاضعة للفراعنة في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وان هذا الاسم من أصل « سامي » ومعناه « مدينة السلام » .

وفي أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد تراخى حكم الفراعنة على أرض كنعان فدخلت بعض أطرافها من الشرق قبائل من « العبرانيين » جاءت من الصحراء ، ونزلت من البحر على سواحلها الجنوبية أفواج من الفلسطينيين فعرفت أرض كنعان باسمهم . ولكن مدينة « أورشليم » ظلت بأيدي « اليبوسيين » حتى أخذها داود عليه السلام حوالي سنة ١٠١٠ ق . م . وأسس فيها مملكة وراثية بنى فيها ابنه سليمان الهيكل

وانقسمت المملكة ـ بعد سليمان ـ الى مملكتين متحاربتين تعرضتا للغزو من البابليين والفلسطينيين والمصريين

تخريب الهيكل

في سنة ٥٨٦ ق. م حرب « نبوخذ نصر » ملك بابل المدينة والهيكل ، وبعد تغلب الفرس على البابليين سمح لليهود بالعودة وبناء الهيكل في ظل حكم فارسي دام حتى أزاله الاسكندر المقدوني

وتعاقب البطالسة في مصر ، والسلوقيون في سوريا على حكم اليهود الى أن عين «هيرودتس» ملكا على اليهود تحت الحكم الروماني وأعاد بناء الهيكل

وعندما ولد السيد المسيح كان يحكم اليهود بيلاطس البنطي ، ومن أهم أحداث القرن الأول الميلادي هدم مدينة « أورشليم » وحرق الهيكل في سنة ٧٠ ميلادية على يد «طيطس» وسحق الثوره اليهودية ، وحرث المدينة ، وانشاء مستعمره رومانيه على أنقاض « أورشليم » عرفت باسم « ايلياء » وبناء معبد « جوبتر » على أنقاض الهيكل في عام ١٣٤ ميلاديه ، وحرّم دخول المدينه على اليهود وعلب اسم « فلسطين » على البلاد منذ هذا التاريخ

تحولت مدينة « ايلياء » من الوثنيه الى اعتناق المسيحية بعد اعتراف الامبراطوريه الرومانيه الشرقيه البيزنطية - بالدين المسيحي في عام ٣١٣ ميلاديه ، وساعد ذلك على زوال الآثار اليهوديه فأنشئت الكنائس في البلاد ، حتى تقرر اقامة بطريرك للكنيسه الأرثوذكسيه في المدينة عام ٤٣١ ميلادية

وقد ترعرع الكيان النصراني سنة ٦١٤ ميلاديه ، عندما غلب الفرس الروم البيزنطيين ، وتطوع اليهود لمساعده الفرس ، واشتركوا معهم في ذبح النصارى وهدم الكنائس وبعد خمس عشرة سنة سيطر البيزنطيون على البلاد ، وهزموا الفرس وحرّموا على اليهود دخول مدينة « ايلياء »

وقد اشار القرآن الكريم الى هذه الحرب في سوره الروم بقول تعالى « الم غلبت الروم في ادنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين »

ينتقل بعد ذلك المؤلف لبيان العلاقات التاريخيه بين القدس والعرب قبل الاسلام ، فيقول عرف العرب قبل الاسلام أدنى الأرض أي أقربها الى الحجاز ، وهي جنوبي سوريه - فلسطين - ان بعض القبائل العربية جاورت مع الفلسطينيين الذين هاجموا « أورشليم » في سنة ٨٥٠ ق. م ، وأن العرب اشتركوا في الدفاع عن « غزة » أمام الاسكندر المقدوني وأن قبيلة عربية أقامت بالقرب من « ايلياء » واعتنقت النصرانية وأصبح شيخها مطرانا

ويقول المؤلف ان هاشما - من أجداد رسول الله ﷺ - كان في قافلة تجارية عندما توفي في « غزة » عرفت باسمه « غزة هاشم » ، وان كثيرا من العرب عرفوا فلسطين فلم يكن الفتح الاسلامي بداية للوجود العربي في فلسطين بل تأكيدا له

القدس والاسلام

قبيل الفتح الاسلامي لفلسطين رفع الله شأن بيت المقدس باسراء رسول الله ﷺ اليها وعلى الرسول أنزلت الآيه الوحيدة التي لم تنزل في مكة أو المدينة ، وهي قوله تعالى في سوره الزخرف « واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن الهة يُعبدون » وبذلك جعل الاسلام من بيت المقدس المدينه الثالثه بعد مكه والمدينه في القداسه

لقد عرف العرب فلسطين وبيت المقدس قبل الفتح الاسلامي ، وللمسجد الاقصى منزلة في نفوس المسلمين الفاتحين ، والعهد الذي أعطاه الخليفه عمر بن الخطاب لأهلها يعتبر نموذجا في التسامح في عصر اشتهر بالعنف

لقد كتب الوثيقه أو العهد معاوية بن ابي سفيان ، بحضور خالد بن الوليد ، وعبدالرحمن بن عوف ، وعمرو بن العاص ، وبعد اعطاء عهد الأمان دخل عمر بن الخطاب مع الصحابه الى ساحة المسجد الأقصى المبارك - وقد جعله الناس من قبلهم مزبلة - فنظفوه والخليفه على رأسهم ، وأذن بلال للصلاة وصلى المسلمون في ذلك المكان

وقد أمر عمر بن الخطاب ان يقام عليه مسجد تخليدا لذكرى الاسراء والمعراج وقد ظل هذا المسجد قائما الى ان تم بناء قبة الصخرة سنة ٧٢ هجريه ، وبناء المسجد الأقصى بعد ذلك بسنين في خلافه عبدالملك بن مروان وهذا يبين خطأ

الأوروبيين في تسمية مسجد قبة الصخرة بجامع عمر

ولم تفقد البلاد المقدسة ولا المدينة المقدسة مكانتها عند النصارى ، بل استمرت أفواج الحجاج تأتي اليها في حرية تامة في ظل التسامح الاسلامي

القدس في أيدي الصليبيين

ينتقل المؤلف بعد ذلك للحديث عن القدس بعد سقوطها في أيدي الصليبيين سنة ٤٩٢هـ ـ ١٠٩٩ ميلادية . فقتلوا المسلمين رجالا ونساء وأطفالا بلا رحمة قتلوا جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم . وأخلى الصليبيون مدينة القدس من المسلمين ، وسكنوا في بيوتهم ، وحولوا مسجد قبة الصخرة الى كنيسة ، وجعلوا المسجد الأقصى ثكنة لفرسانهم واصطبلا لخيولهم والغوا البطريركية الأرثوذكسية ، وأقاموا أخرى لاتينية مكانها ، اما سكان المدينة من اليهود فقد جمعهم الصليبيون في الكنيس وأحرقوها عليهم

ولما استطاع صلاح الدين الأيوبي تخليص القدس من ايديهم ـ بعد تسعين عاما ـ من الاذى والاضطهاد عام ٥٨٣هـ لم ينتقم من الصليبيين لما ارتكبوه من الجرائم الوحشية بل عفا وأعطاهم الأمان حتى يبلغوا مأمنهم في الساحل وهكذا خرج الافرنج من المدينة المقدسة

وكما فعل عمر بن الخطاب من قبل ، فعل صلاح الدين فأخذوا يزيلون اثار النجاسة من مسجدي الصخرة والاقصى ، وأقيمت الصلاة وهكذا عادت الى المدينة صفتها الاسلامية العربية ، وأعاد الدور الى مستحقيها كما أمر بترميم المسجد الأقصى ، وتم تزويده بمنبر « لم يعمل في الاسلام مثله ، وهذا المنبر هو الذي حرق في سنة ١٩٦٩ ميلادية بمعرفة الكيان الصهيوني

حائط البراق

هاجر عدد كبير من علماء المسلمين الى فلسطين واقاموا الى جوار المسجد الأقصى وقد وقف المسلمون العديد من الدور والممتلكات [illegible]

صيانة المسجد الأقصى وعلى طلاب العلم

ومن هذه الجماعات طائفة هاجرت من المغرب واستقرت بالقرب من الزاويه الخنثنيه حائط الحرم القدسي ، فعرفت بحارة المغاربه وقد أوقف الملك الأفضل ـ ابن صلاح الدين الأيوبي ـ في سنه ٥٨٩ للهجرة ارض حارة المغاربه عليهم وانشأ في الحارة مدرسة الأفضلية ، وحدود هذه الأوقاف من الجنوب سور المدينة ومن الشرق حائط الحرم الشريف ، ومن الشمال طريق باب السلسله المؤدي الى الحرم الشريف ، ومن الغرب حارة الشرف

وأوقف في سنه ٧٠٣هـ عمر بن عبدالله بن عبد النبي المصمودي أحد علماء المغاربه عدة أملاك

وفي عام ٧٢٠هـ أوقف شعيب أيضا ـ عدة أوقاف ، حتى صارت أوقاف حي المغاربه تعرف باسمه

ويعرف الحد الشرقي هذه الأوقاف بحائط البراق ، ويظن اليهود أن في حائط البراق بقيه من سور الهيكل الذي دمره الرومان سنه ٧٠ ميلاديه وهو الذي يعتقد اليهود أنه حائط المبكى

وقد أثبتت الحفريات عدم وجود اثار للهيكل المزعوم ، لذا فان صلاة اليهود عند الحائط هي من باب التمني لا من باب الواقع

وقد قام مجير الدين العليمي ، مؤرخ مدينه القدس وقاضيها ، بعمل احصاء للمدارس الاسلاميه في القدس عام ٩٠٠ هجريه فبلغ عددها ما يزيد على الخمسين مدرسه أهمها المدرسه الصلاحيه والمدرسه التنكزيه والمدرسه الاشرفيه

أما اول محاوله لاحصاء عدد اليهود في القدس فقد قام بها قاضي المدينه عام ٩٨٠هـ ـ ١٥٧٢ ميلاديه فبلغ عددهم ١١٥ يهوديا ، الا أن الاحصائيه قالت ان هذا عدد الذكور دون الاناث

وبعد قرن من الزمان اي في حوالي عام ١٦٧٠ ، تم اجراء احصاء شامل لسكان المدينه وبلغ عدد السكان ٤٦ الف معظمهم من المسلمين

ولم يزد عدد اليهود عن بضع مئات منذ عهد صلاح الدين الا قليلا ، لكن احتلال العرب واليهود [illegible]

الحماية الأجنبية لليهود

وعندما تأسست القنصلية البريطانية في القدس، جعلت احدى وظائفها « حماية اليهود » وسهلت لهم محاولة شراء قطعة ارض بقرب القدس، وفشلت المحاولة كما لم تفلح اليهود في الحصول على اذن سلطة « مبكى اليهود » لانه عقار جائز، للاصقته لحائط الحرم، ومحل ربط « البراق » وداخل في وقفه ابي مدين ولعدم وجود سابقة لليهود لتعميره، كما جاء ذلك في جلسات رفض مجلس الشورى هذه المشروعات اليهودية

وازداد تنافس الدول ذات الامتيازات في القدس ـ بعد انتهاء الحكم المصري في هذه البلاد ـ فادعت روسيا حماية الروم الارثوذكس، وادعت فرنسا حماية الكاثوليك. أما بريطانيا فقد اهتمت بحماية مصالح اليهود

وكثرت مصالح الاجانب في فلسطين اعتبارا من عام ١٨٥٦ ميلادية وراحت المؤسسات التبشيرية تمارس نشاطها، وتم بناء الكنائس، واتسعت مدينة القدس، وانتشرت المباني والأديرة والمدارس التبشيرية، وحصل اليهود على قطع من الأراضي لاقامة المباني عليها

وفي عام ١٨٦٩ ميلادية تغير الهيكل الاداري والتعليمي والاقتصادي لمدينة القدس، وبدأت المدارس التي تطبق نظام التعليم الاوروبي في فتح ابوابها لاستقبال التلاميذ وأهملت المدارس الاسلامية وفتحت القدس أمام الاجانب وأصبحت كلمتهم هي المسموعة، ومصالحهم هي الأولى بالتنفيذ وبدأت شخصيتها الاسلامية تذوب وسط طغيان الشخصية الغربية

وفي سنة ١٦٨٥ ميلادية تم اجراء احصاء لسكان مدينة القدس جاء فيه ان اجمالي عدد سكان القدس ١٨ الف نسمة، منهم ٨٠٠٠ من اليهود، و ٥٠٠٠ من المسلمين، ومثلهم من النصارى، وهذا يعني أن اليهود في القدس أكثر من المسلمين، وأكثر من النصارى !!

وتتناقض هذه الاحصائية مع احصائية أخرى صدرت عام ١٨٧٤ ميلادية، تقول أرقامها ان عدد اليهود ٣٠٠٠ نسمة وفي سنة ١٨٧٦ صدرت احصائية اخرى تقول ان عدد سكان القدس ٢٤٠٠٠ نسمة منهم ١٢ الفا من المسلمين و ٧٠٠٠ من النصارى و ٤٠٠٠ من اليهود

الهجرة اليهودية الى فلسطين

بدأت الهجرات اليهودية الى فلسطين منذ عام ١٨٨٢ ميلادية، فاختل التوازن بين سكان القدس بالهجرات اليهودية اليها من روسيا وقد ارسل المسلمون احتجاجا الى الصدر الاعظم ـ رئيس الوزراء ـ في اسطنبول عام ١٨٩١ ميلادية وكان الاحتجاج مبنيا على اسباب اقتصادية

ولكن الصفة السياسية للهجرة اليهودية الى فلسطين اتضحت معالمها بعد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ ميلادية، والمطالبة بوطن لليهود في فلسطين

وقد واجه العرب في القدس وفلسطين الهجرة اليهودية الجديدة وهدفها السياسي ثم مستقبل العرب والمسلمين في فلسطين وتدهور احوال الاوقاف الاسلامية

وبقيام الحرب العالمية الأولى في اخر يوليو ١٩١٤ ميلادية بأحداثها التاريخية المعروفة وتوقيع معاهدة سايكس ـ بيكو ـ بين بريطانيا وفرنسا والاتفاق بينهما على تصفية الحكم في العراق وسوريا وفلسطين، وجعل القدس منطقة دولية جاءت سنة ١٩١٧ ميلادية شؤما على فلسطين حيث وعدت حكومة بريطانيا ان تبذل جهدها لتسهيل تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين

وجاء الوعد البريطاني بمثابة حكم غيابي على العرب في فلسطين اصدرته حكومة لم يكن لها ـ حينئذ ـ حق السيادة على فلسطين أو على الأقل حق الاحتلال، حيث قامت القوات الانجليزية في ٣١ اكتوبر ١٩١٧ باحتلال جزء من الأراضي العربية في فلسطين

حماية الأماكن المقدسة

وحرصت الحكومة العثمانية على حماية الأماكن المقدسة في فلسطين، فأرسلت كتابا الى قادة الجيش الانجليزي في فلسطين جاء فيه « سقطت القنابل

على القدس الشريف المدينة المقدسة عند كل ملة ، ولما كانت الحكومة العثمانية حريصة على حماية الأماكن المقدسة فيها من الخراب فقد أمرت بسحب عسكرها من المدينة ، وعينت موظفين للمحافظة على الأماكن الدينية

وهكذا انسحب الجيش العثماني من القدس ليدخلها السير أدموند اللنبي في موكب يضم ممثلي الدول المتحالفة ، ولم يكن فيه ممثل للعرب ، وأصدر بيانا الى سكان القدس جاء فيه

« بما أن أتباع الديانات الثلاث الكبرى يحترمون مدينتكم ويحبونها وبما أن تربتها قد قدست بصلوات وزيارات من اتباع تلك الديانات ، أعلن لكم أن كل بناء مقدس فيها وكل بقعة مقدسة ، وكل مزار ، وكل أثر قديم وكل وقف خيري ، وكل مكان اعتاد اتباع تلك الديانات الصلاة فيه سيحافظ عليه وسيحمى بحسب عقائد وعادات الدين يعتقدون قداسته

وهكذا ينهي المؤلف كتابه بأحداث سنه ١٩١٧ لينتقل بعد ذلك لمناقشة الاحصائيات التي ورد ذكرها في كتابه بشأن عدد اليهود في القدس وذلك تحت عنوان « ملحق »ويورد نتائج الاحصاء الرسمي الأول الذي تم في ١٩٢٢ ميلادية بشأن سكان فلسطين كالآتي

المسلمون ٥٩٠ , ٨٩٠
النصارى ٧٣ , ٥٢٤
اليهود ٨٣ , ٧٩٤

أما سكان القدس فكانوا كالاتي

	المسلمون	النصارى	اليهود
المدينه القديمة	٩٣٤٥	٧٢٦٢	٥٦٣٠
المدينة الجديدة	٤٦٦٨	٧٤٣٧	٢٨٣٣٢
المجموع	١٤,٠١٣	١٤٦٩٩	٣٣,٩٦٢

مجموع سكان المدينة / ٦٢٦٧٤
مجموع المسلمين والنصارى / ٢٨٧١٢

وثائق اسلامية

واستعرض المؤلف مجموعة من الوثائق ، وهي حجج الأوقاف الاسلامية التي تؤكد أن حائط البراق له علاقة متينة باسراء رسول الله ﷺ الى القدس وأن الأرض الواقعه الى الغرب منه هي وقف اسلامي وأن أرض الرقاق الواقعه أمام الحائط التى عرفت« بحائط المبكى » هي جزء من ذلك الوقف وان المغاربة على تلك الأرض لهم حق الانتفاع من الوقف

وانه لم يسمح لليهود الا بزيارة المكان

هذا هو الوضع الشرعي القانوني عندما انتهى الحكم العثماني ، وبدأ الحكم البريطاني في ٩ كانون الأول سنه ١٩١٧ ميلادية

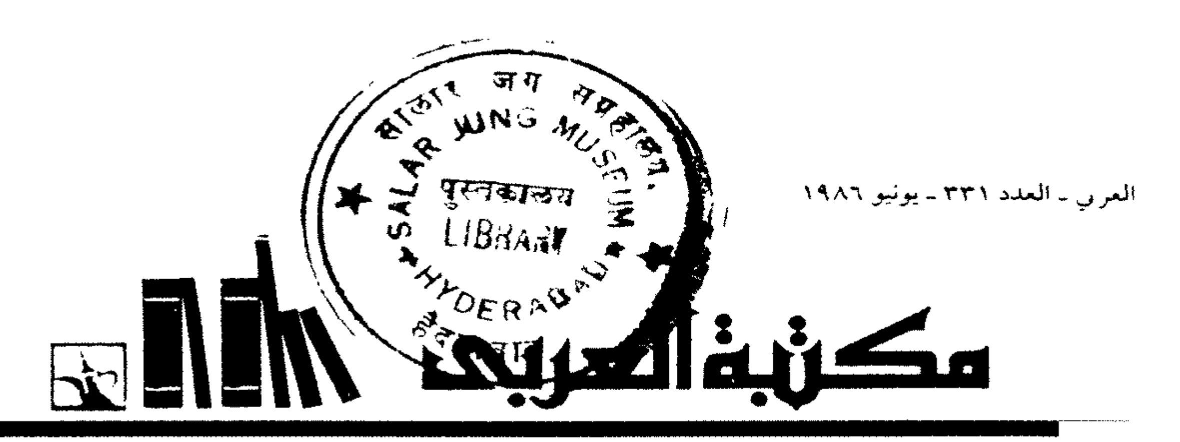
كما أورد قرارات اللجنه الدوليه في مسألة « حائط البراق » الصادرة عام ١٩٣٠ ومن أهم القرارات

- للمسلمين وحدهم حق ملكية الحائط الغربي لأنه جزء من ساحة الحرم الشريف وهي ملك من أملاك الوقف الاسلامي
- للمسلمين وحدهم حق ملكيه الرصيف « الرقاق » الواقع بين الحائط وحي المغاربه المقابل له لأنه جزء من وقف صحيح بحسب الشريعة
- لايجوز ان يعتبر « السماح » باحضار الأدوات اللازمه للصلاة ، ووضعها بجانب الحائط حجه لليهود لادعاء شيء من الملكية في الحائط أو الرصيف الواقع أمامه

هذه حقبة من تاريخ فلسطين والقدس الشريف ، عرضها المؤلف مدعمه بالحقائق التاريخية والاحصائيه لتعرف الاجيال قصة العدوان الصهيوني على أرض فلسطين وادعاءات الصهيونية الكاذبة بوجود هيكل سليمان الذي اثبتت حفرياتهم بأنه لايوجد الا في خيالهم فقط ☐

■ ينبغي أن أكون قاسيا ، ولكن لابد أن أكون رحيما (شكسبير) .

■ على قدر الهمم . . . تكون الهموم (أرسطو) .



مختارات

الكتاب/ ابن لص - رواية
المؤلف/ مانويل روخاس سيبولبدا
ترجمة/ رفعت عطفة
الناشر/ وزارة الثقافة - دمشق
عدد الصفحات/ ٤٩٣ ص القطع الكبير

ضمن عمليه الاهتمام الواسع بأدب أمريكا اللاتينية، تأتي هذه الترجمة لروايه من الارجنتين بعنوان ابن لص، لتضاف الى مجمل التراث الادبي الأرجنتيني، رغم كون المؤلف تشيليا بالأصل

وفي هذه الرواية يحكي ابيتينو ابنا حياة والده الذي كان لصا للمجوهرات، وحياة أصدقائه، ليرسم عالم الناس الهامشيين، في مجتمع يعيش حياة البؤس والفقر والمطاردة في ظل نظام مستغل وقاس

الكتاب/ صورة أب
المؤلف/ رفعة الجادرجي
الناشر/ مؤسسة الأبحاث العربية/ بيروت
عدد الصفحات/ ٢١٢ ص القطع الكبير

يحاول رفعة الجادرجي في هذا الكتاب رسم صورة قلمية لوالده، السياسي العراقي كامل الجادرجي، الذي لعب دورا مهما في حياة العراق السياسيه قبل وبعد ثورة ١٤ تموز في العراق عام ١٩٥٨، وفي النهاية، فقد رسم رفعة الجادرجي صورة حقة كامله وغنية من حياة العراق الذي كان يمور بالاتجاهات السياسية والفكرية، وبخاصة في أعقاب الحرب العالميه الثانية

الكتاب/ دفاعا عن الاغنية العربية
المؤلف/ الياس سحاب
الناشر/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر
عدد الصفحات/ ٢٧٠ ص القطع الكبير

ينطلق مؤلف الكتاب من أن الاغنيه العربيه استطاعت في كل حالاتها أن تكون مرآة للحياة العربيه في كل حالاتها ومستوياتها، ويقول المؤلف انه اختار عنوان الكتاب الذي عرض فيه لواقع الأغنية العربية محددا سماتها، مستعرضا نجومها، ومحللا تطورها، من منظور الدفاع عن الثقافه العربية التي تعتبر الأغنيه أحد مكوناتها وتجلياتها

والمؤلف، وهو كاتب سياسي بالأصل، ينطلق من رؤيه قوميه واجتماعيه شامله، رغم أن الكتاب يستعرض واقع الأغنية في بعض البلدان العربية فقط مع تركيز على مصر ولبنان

الكتاب : الحفلة - مجموعة قصصية
المؤلف : عبدالله باخشوين
الناشر : نادي جازان الادبي - جدة
عدد الصفحات : ١١٤ من القطع المتوسط

هذه المجموعة من القصص كتبها واحد من جيل الادباء السعوديين الشبان الذين يرسون أسس الكتابة الادبية هناك .

ويجمع الكاتب بين التجريب والسرد التقليدي لرسم صورة مدينة جدة السعودية القديمة بأزقتها الضيقة وأحيائها الشعبية النابضة بحياة بسيطة

الكتاب/ فاطمة تذهب مبكرة الى الحقول ـ شعر
المؤلف/ يوسف أبو لوز
الناشر/ اتحاد الأدباء العرب ـ دمشق
عدد الصفحات/ ٧٧ من القطع الصغير

يتعامل الشاعر في هذا الكتاب اساسا مع اليومي والعادي والبسيط ، باحساس فائق بمأساة الحياة الفلسطينية وحالياتها المعقدة ، وهو في محاولته برسم صورة الحياة الفلسطينية في عريها الكاشف ، ينحو الى أكثر من شكل من أشكال القصيدة الحديثة ، من التدوير الى الوزن الى القافية الى قصيدة النثر ، ثم تتوزع قصائد الديوان على مسافة زمنية تستوعب الأسماء العادية مثل محمد وفاطمة ، الى اسماء الشعر الجاهلي كالشنفرى ، وبينهما يظل حالة شروب المحاصرة عنوانا للزمن الفلسطيني الذي يحاول الشاعر أن يرسمه

الكتاب/ الغطاوي الكويتية
المؤلف/ د محمد رجب النجار
الناشر/ شركة الربيعان للنشر والتوزيع ـ الكويت
عدد الصفحات/ ١٨٢ من القطع الكبير

قام المؤلف في كتابه هذا بجمع وتدوين فن شعبي كويتي مهدد بالانقراض ، هو فن « الغطاوي » الذي يعني الأحاجي والألغاز ، ولم يقتصر دور المؤلف على جمع وتدوين هذه الغطاوي ، بل تجاوز ذلك الى تصنيفها ودراستها ، وابراز وظائفها الفكرية ودلالاتها الاجتماعية والفنية ، وذلك في أول دراسة من هذا النوع

الكتاب/ مساهمة في نقد النقد الأدبي
المؤلف/ نبيل سليمان
الناشر/ دار الطليعة ـ بيروت
عدد الصفحات/ ٢١٨ من القطع الكبير

في هذا الكتاب يتجه الناقد السوري نبيل سليمان الى حقل قلت فيه الكتابة الأدبية هو حقل نقد النقد ، ويختار الكاتب عددا من ابرز الكتاب والنقاد السوريين ، ويدخل معهم في سجالات تطرح جملة من بعض الاسئلة ، ويطرح امثلة اخرى ، لاغناء الحوار الادبي في سوريا ، ويقسم نبيل سليمان كتابه الى ثلاثة فصول ، يضم الفصل الاول من يرى ان كتاباتهم تنويعات على الشكلانية ، وفي الفصل الثاني ينافش من يرى ان كتاباتهم تمثل تنويعات على الاسلامية ، وفي الفصل الثالث ناقش التنويعات على الماركسية ، الى جانب ملحق وخاتمة ، تضافيهما الى الفصول الثلاثة الاولى

الكتاب/ نقد علم الاجتماع البرجوازي المعاصر
المؤلف/ س ي يوسف
ترجمة/ نزار عيون السود
الناشر/ دار دمشق للطباعة والنشر
عدد الصفحات/ ٢٠٠ من القطع المتوسط

في هذا الكتاب الصغير الحجم نسبيا ، يتولى الكاتب السوفيتي س ي يوسف مهمة محددة ، هي الرد على بعض اهم الافكار التي تسود في الغرب ، موجها نقدها الى الفكر الاسلامي عموما والتجربة السوفيتية بوجه خاص ، ويدخل المؤلف في سجال مع هذه الافكار وهؤلاء المفكرين ، اما حقل الصراع فهو علم الاجتماع الذي يرى الكاتب انه في الغرب « يعاني ازمة حادة ، فهو قمة بمجموعة من تنوع الاتجاهات واختلاف المدارس فيه ، ويتسم بزيفها الخارجي »

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٣١
يونيو ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت (مسابقة العربي الثقافية) العدد ٣٢٩ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا ـ ١٥ يوليو ١٩٨٦

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٣١

١ ـ يعمر الكلب ٢٧ فقره مقابل كل ٢٥ فقره يعمرها الثعلب فكم فقره سبق للكلب أن يعمر للحاق بالثعلب ولمحاورته ؟ اذا كان هذا الثعلب قد سبق له ان انطلق واستكمل قفز ٥٠ قفزه علما بان قفزات الحيوانين متساوية بالطول



٢ ـ رسوم ولوحات رائعة وجدوها على جدران الكهوف في جنوب فرنسا وشمال اسبانيا ترى الى أي العصور التاريخية تعود بنا هذه اللوحات ؟

* عصر النهضة الأوروبية الحديثة
* عصر الثورة الفرنسية
* العصور الحجرية المتقدمة



٣ - بحيرة صغيرة مياهها مالحة ، بل تغلي كالنافورة ، ترى أين تقع هذه البحيرة ؟ ؛
* عند خط الاستواء
* في القارة القطبية الجنوبية
* في نيوزيلندة

٤ - هل تزحزح الشلالات وتحرك عن مواقعها علما بانها صخور تدفق من فوقها المياه ؟

٥ - كتاب الجاسوس على القاموس من الفه ؟ وما الذي قصد اليه من تأليفه إياه ؟

٦ - رحالة من علماء التاريخ ، اسمه (سيدارتا جواتاما) امتدت حياته اكثر من مائة سنة (٥٦٣ - ٤٨٣ ق م) الا انه اشتهر باسم اخر غير اسمه الحقيقي هل تعرف من هو ؟

٧ - مدينة بومباي ، أكبر مدن الهند ، في غنى عن التعريف ترى أين تقع جزيرة بومباي ؟

٨ - من هو مخترع التلسكوب ؟
* هانس ليبرشي Lippershey صانع النظارات الهولندي وذلك سنة ١٦٠٨
* جاليليو الفلكي الايطالي الشهير وذلك سنة ١٦٠٩

٩ - يبلغ طول القطار ميلا واحدا ويبلغ المسافة التي يريد قطعها بين محطة (أ) ومحطة (ب) (٨) أميال

فاذا ركب القطار رحل في موخرته (القطار) وقد بدأ يتحرك من المحطة ( ) قاصدا المحطة (ب)
واذا كان الراكب المذكور لم يبق واقفا في القطار بل سار فيه حينما كان القطار يسير بين المحطتين فكم ميلا يكون هذا الرحل قد قطع مشيا على الاقدام ؟
وكم ميلا يكون قد قطع راكبا ؟ علما بانه وصل لمقدمة القطار في اللحظة التي وصل فيها القطار المحطة (ب)

١٠ - ايهما أكثر انخفاضا تحت سطح البحر البحر الميت ام بحيرة بايكال في روسيا ؟ ادعم جوابك بالارقام

١١ - لم نرى السماء زرقاء اثناء النهار ؟
* بسبب لون البحار فهو ازرق ينعكس على السماء
* لون السماء ابيض لا ازرق ، ولكن بصرنا يخدعنا فنراه ازرق
* لأن الاشعة الزرقاء في ضوء الشمس لا تصلنا في خط مستقيم كسائر الاشعة ، ولكنها تبعثرها ذرات الهواء الجوي فتصل الينا من كل جانب فيغلب اللون الازرق تبعا لذلك

١٢ - ما هو الزاووق علما بانه معدن كثر الحديث عنه في كتب السلف الصالح وعلماء الكيمياء منهم بخاصة ؟ □

جبل موناكيا

جبل افرست

سطح البحر

حل مس

١ ـ الشاعر الاول هو عبيد بن الابرص والشاعر الثاني هو امرؤ القيس

٢ ـ هذا هو صدر احد ابيات القصيدة البائية لابي تمام ، وهي التي نظمها بمناسبة فتح عمورية ، وظهور المذنب في تلك الاثناء

٣ ـ امرأة عقيم تجمع على نساء عقائم وعُقُم
رجل عقيم تجمع على رجال عقماء وعقام وعقمى

٤ ـ اسم الجبل هو موناكيا ويقع في جزيرة هواي (لاهاي كما ورد خطأ) فهذا الجبل يزيد ارتفاعه على ارتفاع جبل افرست بمقدار ٤٣٤٨ قدما ، هذا اذا قيس الارتفاع من قاعدة الجبل وهي مغمورة في ماء البحر فيما يختص بجبل موناكيا والصورة المرفقة توضح المقصود ، ولعلها تعيد الى الجبل المغبون بعض اعتباره

٥ ـ جزيرة ايستر (عيد الفصح) وهي جزيرة نائية معزولة ، تقع في المحيط الهادي على بعد ٢٣٠٠ ميل من التشيلي التي تحكمها منذ سنة ١٨٨٨ ، مساحتها ٦٤ ميلا مربعا ، وسكانها ٨٠٠ نسمة اكتشفها الهولنديون سنة ١٧٢٢ ، وذلك في عام عيد الفصح بالذات ، ومن ثم التسمية والتماثيل التي اشتهرت بها الجزيرة ما زالت مجهولة الأصل

٦ ـ هذه شجرة حقيقية ، وتوجد في كاليفورنيا ، وقد سموها (الجنرال شيرمان) يبلغ ارتفاعها حوالي ٩٠ مترا ، ولا يزيد ارتفاع برج بيزا على ٥٥ مترا ، وهي قديمة ، اقدم من توت عنخ امون ، ويبلغ عمرها ما بين ٣٥٠٠ ـ ٤٠٠٠ سنة

٧ ـ المكان المقصود هو قناة بناما فالمحيط الاطلسي يقع الى شمال المضيق ، والمحيط الهادي الى جنوبه والصورة المرفقة دليل على ذلك

٨ ـ انه نهر الجانجس في الهند والهندوس يقدسون هذا النهر ، ويقبلون على الاستحمام فيه ، بصرف النظر عما اذا كانت مياهه ملوثة أم لا وتجدر الاشارة الى أن هذا النهر يجري لا في الهند فحسب ، وانما في الباكستان أيضاً ويبلغ طوله ١٥٥٧ ميلا ويستفاد من النهر في الري الزراعي على نطاق واسع

٩ ـ تحتوي المكتبة على عشر كتب (١٠ + ١٠ + ٥ + ٧ = ٣٢)

١٠ ـ ١٣ قطارا

١١ ـ مجموع ما يقبضه من فلسات هو
٤ . ٢٩٤ , ٩٦٧ . ٦٤٨

١٢ ـ السفينة الأوروبية جيوتو وقد وقع هذا الاقتراب أو الاقتحام بالفعل يوم الخميس في ١٣/٣/١٩٨٦ وكانت السفينة الروسية (فيجا) قد اقتربت من مذنب هالي الى مسافة ٨٠٠٠ كم في يوم الخميس الواقع في ٦ / ٣ / ١٩٨٦ □

مسابقة العدد ٣٢٨ مـــارس ١٩٨٦

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٨
مـــارس ١٩٨٦

الجائزه الاولى فداء عبدالرحمن عبدالله الشهوان / الصفاه ـ الكويت
الجائزه الثانيه ناصر محمد السوادحة / الزرقاء ـ المملكه الاردنيه الهاشميه
الجائزه الثالثه كمال ابو اليزيد شاره/ كفر الزيات ـ مصر

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ عبدالله محمد سلمان / الظهران ـ السعوديه
٢ ـ حسن الفقيه رمضان / المهديه ـ الجمهوريه التونسيه
٣ ـ مبارك سلمان محمد احمد / ودمدني ـ السودان
٤ ـ الادريسي سيدي محمد / مدينه بنسليمان / اقليم الخميسات ـ المملكه المغربيه
٥ ـ محمد قاسم سومرو/ كمالديرو / كنديارو / سند ـ باكستان
٦ ـ رضى جميل جعفر / لسان الحنوى / مدينه السطيه
٧ ـ مهدي عباس هاشم / المنامه ـ دوله البحرين
٨ ـ عامر جاسم محمد / بغداد ـ العراق

معركة بلا سلاح

مباراة الثأر . . . متى وأين ؟

وأخيرا وبعد شهور طويلة من المشاورات والمداولات والخصومات والتحديات أعلن الاتحاد الدولي للشطرنج عن موعد مباراة الثأر بين بطل العالم الحالي جاري كاسباروف ومواطنه الروسي أناتولي كاربوف بطل العالم السابق للشطرنج وسيقام النصف الأول من مباراة الثأر التي تتألف كسابقتها من ٢٤ دورا في مدينة لندن في العاشر من شهر أغسطس الحالي وسيلتقي البطلان ثلاث مرّات في الأسبوع في أيام الاثنين والاربعاء والخميس من الساعة الخامسة حتى العاشرة مساء والذي يعني ان النصف الاول من مباراة الثأر سيستغرق خمسة أسابيع ، أما النصف الثاني من المباراة فمن الأرجح ان يقام في مدينة لينينغراد السوفيتية في موعد لم يتم تحديده حتى كتابة هذه السطور

ويضع إعلان الاتحاد الدولي لزمان ومكان مباراة الثأر حدّاً للخلاف الحاد بين رئيس الاتحاد فلورنسيو كامبومانيس الذي كان يصرّ على أن تقوم مباراة الثأر في العاشر من فبراير الماضي وبين الفائز الجديد ببطولة العالم جاري كاسباروف الذي كان يرفض فكرة لقاء كاربوف رفضا تامًّا متحدّيا بذلك قوانين الاتحاد ، وما في ذلك من تعريض نفسه لخسارة اللقب،وهو ما حدث للبطل الأمريكي بوبي فيشر عام ١٩٧٥ وقد نجم عن تأخير موعد مباراة الثأر تأخير موعد التصفيات النهائيه لاختيار اللاعب الذي سيلاقي البطل المهزوم في هذه المباراة حتى عام ١٩٨٧

وقد أسفرت التصفيات قبل النهائيه بين المرشحين للاقاء البطل المهزوم والمقامه في تبلسي ١٩٨٦ عن فوز البطلين السوفيتين سوكولوف ويوسوبوف بعد أن هزم اولهما مواطنه فاجانيان (٦ ـ ٢) ، وهزم الثاني البطل الهولندي جان تيمان (٥ ـ ٣) ، وبذلك تكون بطولة العالم للشطرنج قد استقرّت في الاتحاد السوفيتي للسنوات القادمه على الأقل

وسنورد فيما يلي الدور الحاسم الذي أدى إلى إقصاء آخر منافس غربي عن حلبة الصّراع الدولي على بطولة العالم ويعتبر هذا الدور من أقصر وأسرع الأدوار بين مرشحي التصفيات النهائية في تاريخ اللعبة وتعرف الافتتاحيه بدفاع جرونفلد

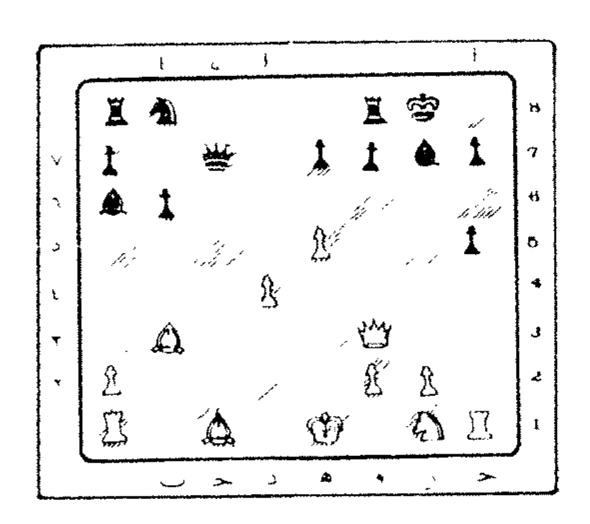
	أ يوسوبوف	ح تيمان
١	د ٤	ح - و٦
٢	حـ ٤	ز٦
٣	ح - حـ ٣	د٥
٤	حـ×د٥	ح×د٥
٥	هـ ٤	ح×حـ ٣
٦	ب×حـ ٣	ف ز٧
٧	ف - حـ ٤	ب٦ ؟؟

كان التبييت أفضل فالنقلة الحاليه تسمح للابيض بالاقتصاص على تحصينات ملك الأسود افتتة

٨	وزير - و٣	ت
٩	هـ ٥	ف - أ٦

لاغراء الأبيض بأخذ البرج بدلا من الفيل والحصول على موقف هجومي جيد

١٠	ف د٥	حـ ٦
١١	ف ب٣	و حـ ٧
١٢	حـ ٤	حـ ٥
١٣	حـ ٥	حـ×د٤
١٤	حـ×د٤	×حـ ٥ (لسكل)



معـرضا ملكـه اكثر من دى قبل ولكن ما سالبد من حيله

١٥	ر×حـ ٥	ف ب٧
١٦	و د٣	ر د٨
١٧	و×حـ ٧+	م و٨
١٨	ح هـ ٢	ر×د٤

منهيا باخر سهم فى جعبته

لو ١٩ ح×د٤ لكس ملك الابيض فى حـ ٣

١٩	ف حـ ٦	يستسلم

حل المسألة (٤٠)
عدد ابريل ١٩٨٦

١	ه ر٤+	ف× ٤
٢	ر×حـ ٦+	ر×حـ ٦
٣	ف ـ و ٧ كش مات	

الفائزون بحل المسابقة رقم (٣٩)

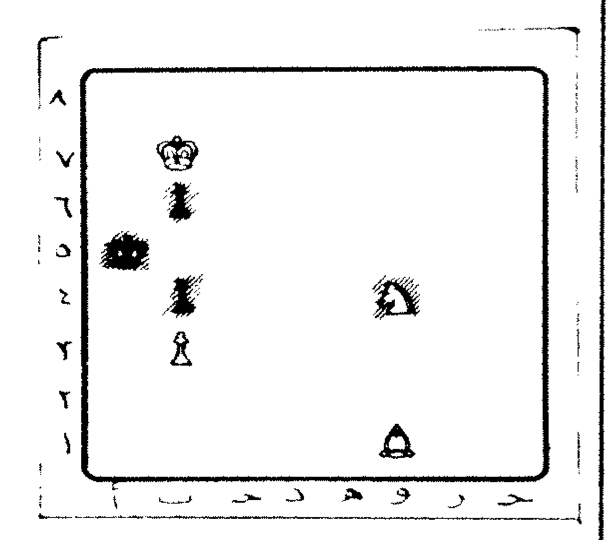
عن شهر مارس ١٩٨٦

الفائزون باشتراك سنه كامله

١ ـ الموعا لى يوسف ـ مراكش/ المغرب
٢ ـ عصـام السكـرى ـ العـريـسه ح م ع
٣ ـ فورى الكورى ـ طرابلس/ لبنا
٤ ـ خالد سعد ـ بيروت لبنان
٥ ـ محمد السبعه ـ روى/ عمان

الفائزون باشتراك ستة أشهر

١ ـ ياسر ابراهيم ـ البحيره/ ح م ع
٢ ـ عبدالمجيد الهولبلى ـ خريبعه/ المغرب
٣ ـ ممدوح عبدالناظر ـ صفاقس/ تونس
٤ ـ قيس حرابيل ـ السويد
٥ ـ محمد صوانه اربد/ الاردن



مسألة العدد
رقم (٤٢)

مات ٤

مهداه من القارئ محمد مهنا السبعه

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

تحيات كريمة للكويت في عيدها

الى أسرة تحرير مجله العربي

وددت أن أعبر لكم عن اعجابي بمجلتكم الجيده ، واني اتمنى أن تكون جميع المجلات التي تصدر في الوطن العربي بهذا المستوى الجيد ، وأرجو لكم التوفيق والنجاح في مهمتكم الكبيره

وبهذه المناسبه أتوجه بالتهنئه اليكم والى الشعب الكويتي الشقيق ، بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين للاستقلال ، وأتمنى للشعب الكويتي التقدم والنجاح والازدهار

حسام نعمه / دمشق / شارع بغداد

أحيانا تصلنا رسائل عديدة تعبر عن مشاعر القراء الكريمة حيال مجلتهم العربي ، وتقديرهم لدورها ، مع اعتزازنا بما تحمله هذه الرسائل من مشاعر طيبة ، فإننا في العادة لا ننشر هذا النوع من الرسائل ما دام لايتضمن سؤالا أو تعليقا ، أو وجهة نظر في قضية من القضايا التي تنشر في العربي ، ولكن رسائل عديدة في هذا الشهر وصلتنا ، تحمل الى حوار التحيات الطيبة أرق التهاني للكويت وشعبها الكريم ، بمناسبة العيد الوطني الخامس والعشرين ، وقد اخترنا من بينها هذه الرسالة الموجزة في كلماتها الكبيرة بما تعبر عنه ، ولا شك أنها بادرة طيبة من الاخوة القراء ، ولفتة كريمة يسعدنا أن ننقلها هنا لشعب الكويت العزيز ، ولكاتب الرسالة المنشورة ، ولكل الاخوة الذين كتبوا بهذه المناسبة الكريمة التحية والشكر

حـــول المدفئـــة

● في افتتاحية مجلة العربي ، حديث الشهر للدكتور محمد الرميحي ، عدد ماير سنة ١٩٨٦ ، وردت تسمية القمة المنعقدة في جنيف بين ريغان وجورباتشيف ، في شهر نوفمبر الماضي باسم « مدفأة النار » فما سبب هذه التسمية مع شكري الجزيل

عيسى عبدالله بغداد / حي ديالى القديم

الصحافة هي التي أطلقت هذه التسمية ، ولعلها تشير الى أن محادثات هذه القمة كانت نوعا من الحوار حول المدفئـــة ، وهو حوار يهدف الى مزيد من التعارف والتقارب ، ولا يتوقع أحد منه نتائج حاسمة .

لقاء مع محمود درويش

● تحية عربية صادقة لكل العاملين في مجلة العربي

أبدأ مباشرة بتقديم اقتراحي ، بأن تقدم المجلة في باب « وجها لوجه » لقاء مع الشاعر الفلسطيني

محمود دروس نكسف فه عن حوىب من حماته وفكره وارائه في القصايا القوميه والسياسيه و عسه و عتقد بي بذلك الافراج عد من زعماء لعا بد من القراء الدس هم سوق لم بد من التعرف على الشعراء مثال محمود درويس هولا الشعرا الدين بصبع قصائدهم سعارات على دفاترنا ومن خلال مجلتكم حب ان قدم تحيتي الى الشاعر الكبير محمود درويش وقول له شكرا ؟

وهنالك سؤال احب اتمنى ان تجيبوا عنه في باب حوار القراء وهو كيف نستطيع الحصول على كتب سلسلة من المسرح العالمي ، لاني لا اجدها في مكتبات بلدي ولكم الشكر

سنا الاسماعيل
سوريا / حمص

نشكر للقارئه اهتمامها ونود ان نبلغها ان اعداد حوار مع الشاعر الكبير محمود درويش هو ضمن مخططنا لباب وجها لوجه وهو امر نعتز به ونحرص عليه ونامل ان يتحقق ذلك في فرصة مناسبة قريبة . وبالنسبة للحصول على سلسلة كتب المسرح العالمي فيمكن للقارئة ان تكتب طلبا تحدد فيه ما تريده من هذه السلسلة الى وزارة الاعلام بالكويت ، باسم السيد الوكيل المساعد لوزارة الاعلام

حول أشعة الليزر

● في العدد ٣٢٠ من مجلة العربي نشرتم موضوعا عن اشعة الليزر للاستاذ رؤوف وصفي ، وقد قرات الموضوع بشغف واهتمام ، وشعرت برغبة قوية في صنع جهاز لاصدار اشعة الليزر (شعة مستمرة) وقد بدات فعلا بالبحث عن الادوات اللازمة لصناعة هذا الجهاز وهي

١ مس ىار حدهم عاىسه و لاحرى مسه عاكسه
٢ مادة اسوىدم لمد سه في مسعد حورسد الصودىوم
٣ سطلوىه من سفوت حساعي

لكني لم اجد في بلدي سوريا / حلب هذه المواد فهل يوجد مثل هذه المواد في الكويت ؟ وهل بامكانكم ارسال عنوان كاتب هذه الموضوع سبب به عن كيفية توفر هذه المواد لاجهزة وعن بعض المراجع عن صنعه لك

مل ب رده على سؤالي هذه في باب حوار مع فائق وسعد

يوسف حمصه / سوريا / حلب

يهدف العربي من نشر هذه الموضوعات الى تبسيط العلوم للقارىء وتعريفه بالتطورات الكبيرة في تطبيقاتها وما يتبع ذلك من بعث الاتجاهات العلمية وطرق التفكير العلمي لدى القراء ولكن صناعة جهاز لاصدار اشعة الليزر فلعله امر يخرج عن نطاق جهود فرد وبشكل عام فان المواد والاجهزة التي يسال عنها القارىء الكريم يمكن ان تتوفر في كلية العلوم قسم الفيزياء بالجامعة السورية او بعض النوادي العلمية التي قد تكون موجودة في دمشق
وبالنسبة لعنوان الاستاذ رؤوف وصفي كاتب المقال فهو الكويت الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب ص ب ٢٣١٦٧ الصفاة

مجرد استفسار

● نشرتم في مجلة العربي العدد ٣٢٧ موضوعا علميا شيقا تحت عنوان وهم بالوصلة في جسم مهدده للدكتور عبد المحسن صالح وكان الكاتب لكنه نشر مقال فقد د علمية جديدة

بالشرح والتحليل لأسسها وغاياتها باستثناء فكرة واحدة ، وهي انه عندما عرفنا بتلك الحجارة الموضوعة وسط الغابة في أول المقال والتي يبلغ سمكها الضيق ثمانين سنتيمترا ، وسمكها العريض ثلاثة أمتار ، وارتفاعها ما بين أربعة وخمسة أمتار ، ثم أخبرنا الدكتور بأن مشيدي هذه الأحجار الضخمة ليست الا حشرات ، والسؤال الذي يتبادر الى الذهن ، ونرجو من الدكتور توضيحه هو : ما نوع هذه الحشرات ؟ وكيف تمكنت من تشييد حجارة بذلك الحجم ؟؟

مجاهد بن عبدالرحمن الدار البيضاء / المغرب

لعلنا بنشر هذه الرسالة نتيح الفرصة للدكتور عبدالمحسن صالح أن يطلع عليها ويرد على القارىء الكريم في هذا الباب أو يستكمل ايضاح هذه النقطة في بعض مقالاته الممتعة القادمة

حوار القراء .. دوره ومكانه

باب حوار القراء هو حلقة الاتصال بين القارىء والمجلة وبين القراء وبعضهم .

واني اذا أشكر للمجلة ما تنشره من ملاحظات وتعليقات وآراء لقرائها في هذا الباب ، فاني أتساءل : لماذا يأتي باب حوار القراء في آخر صفحات المجلة ، ويكاد يضيع بين الاعلانات وبين صفحات مسابقة العربي الثقافية ، واذا كان هذا الباب له هذه الأهمية فلماذا لا يحتل مكانا في الصفحات الأولى للمجلة ؟

تنويه

● جاءنا من الدكتور محمد عبدالله المشاري تنويه يفيد فيه بأن كلام الصور المنشور في صفحتي (١٢١) و (١٢٢) من العدد رقم (٣٢٩) ابريل ـ نيسان ١٩٨٦ من المجلة قد حدث فيه شيء من الخلط ، فكلام الصورة ص (١٢١) هو مرض الصدفية وليس فطريات حلقية ، وكلام الصورة ص (١٢٢) هو فطريات حلقية وليس مرض الصدفية .

وبالعودة الى اصول الصور وجدنا أن ملاحظة الدكتور صحيحة ، وأن الخلط وقع عند تركيب الصور ، فشكرا للدكتور على ملاحظته .. وبذا لزم التنوية .

والدكتور محمد عبدالله المشاري حاصل على دكتوراه ، واستشاري في الأمراض الجلدية والتناسلية .

أرجو أن تنشر ملاحظتي في باب حوار القراء مع شكري الجزيل والعميق للدكتور محمد الرميحي ، ولكل من يسهم في اعداد هذه المجلة ، لكي تظهر بهذا المظهر اللائق .

معتز الأسعد ـ سوريا / ادلب

نشكر للقارىء العزيز اهتمامه وملاحظته ، وفي الواقع أن قيمة أي مادة منشورة لاتتحدد بالمكان الذي تنشر فيه بالمجلة ، فهناك أسباب عديدة لتحديد مكان النشر ، ليس من بينها قيمة المقال ...

فقيمة أي موضوع فيما يتضمنه ، وعلى كل حال سوف تكون ملاحظة القارىء موضع الاعتبار والبحث من مجلس التحرير بالمجلة . ☐



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

يونيو ١٩٨٦ م

الشخصية الإسرائيلية
والروح العدوانية

تأليف : الدكتور رشاد الشامي



الكتاب الثاني بعد المئة

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

تصدر عن كلية الآداب . جامعة الكويت

رئيس هيئة التحرير : د. عبد المحسن مدعج المدعج

دورية علمية محكمة، تتضمن مجموعة من الرسائل التي تعالج بأصالة موضوعات وقضايا ومشكلات علمية تدخل ضمن تخصصات كلية الآداب.

- تقبل الأبحاث باللغتين العربية والانجليزية شرط ألا يقل حجم البحث عن (٤٠) صفحة مطبوعة من ثلاث نسخ.
- أن يمثل البحث اضافة جديدة الى المعرفة في ميدانه الخاص وألا يكون قد سبق نشره.

توجه المراسلات إلى : رئيس هيئة تحرير حوليات كلية الآداب ص.ب ١٧٣٧٠ الخالدية - الكويت

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

صدر العدد الأول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥ تصل أعدادها الى ايدي نحو ٢٠٠،٠٠٠ قارئ

مجلة علمية محكمة

يحتوي كل عدد على مجموعة من البحوث والدراسات والتقارير المتعلقة بمنطقة الخليج والجزيرة العربية بأقلام نخبة من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشئون. وتقوم المجلة أيضا بإصدار مجموعة من الكتب العلمية المتصلة بالمنطقة، مع كتاب سنوي يضم مسحا للوثائق والتقارير المتعلقة بشئون المنطقة خلال تلك السنة

الاشتراكات

ثمن العدد ٤ فلس كويتي او ما يعادلها في الخارج
الاشتراك للافراد سنويا ديناران كويتيان او ١٥ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)
الاشتراك للمؤسسات والدوائر الرسمية سنويا ١٢ دينارا كويتيا او ٤ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي)

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

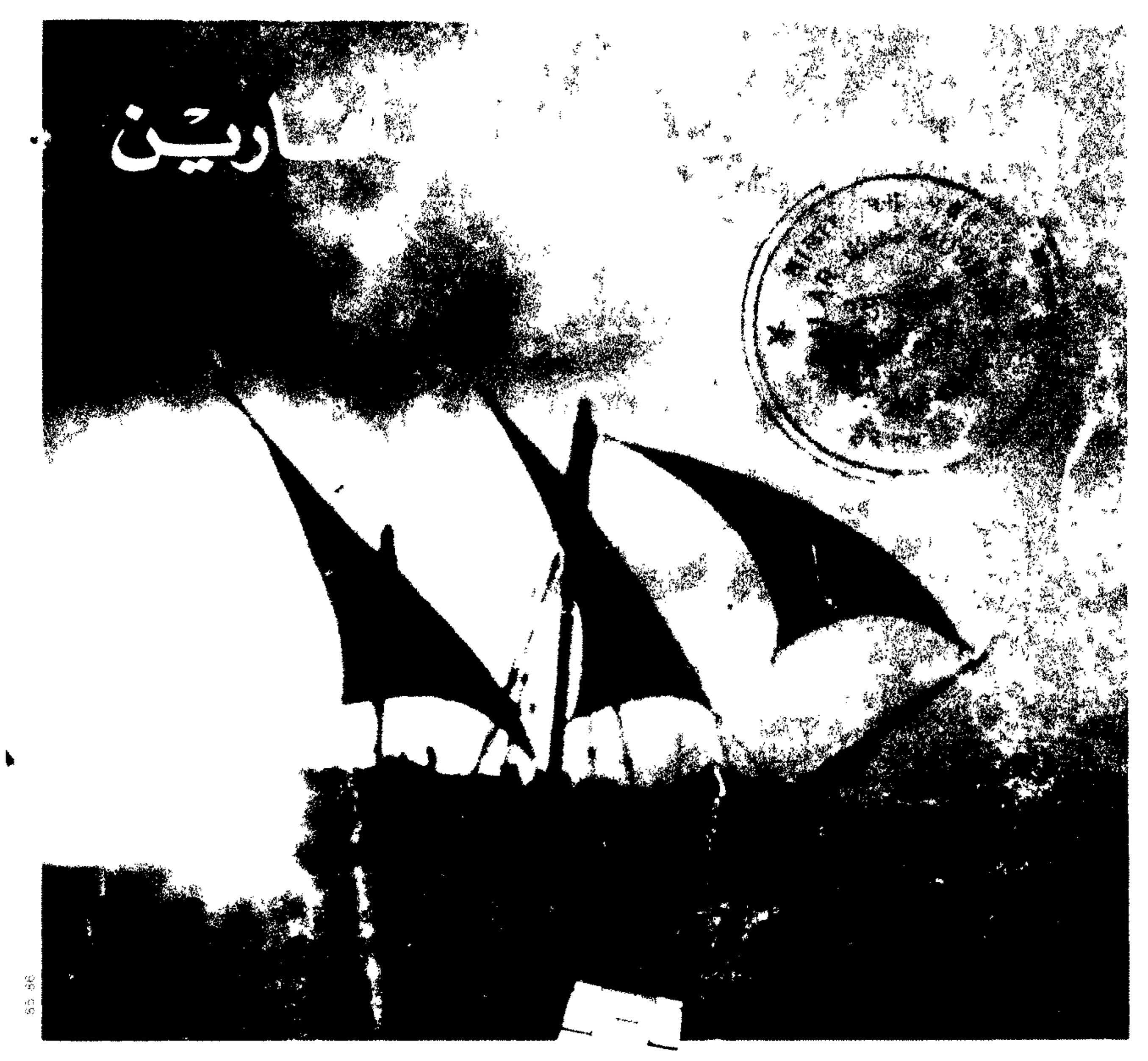
٢٠١ أول يونيو ١٩٨٦

من الأعمال المختارة

هنريك إبسن - ١

الأشباح

ترجمة وتقديم : د. عبد الله عبد الحافظ
مراجعة : د. نور شريف


ارين